رؤى إسرائيلية

في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي

تأليف

الدكتور رشاد الشامي

الدار الثقافية للنشر

http://kotob.has.it

الشامي، رشاد.
رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي.
رشاد الشامي - ط١ - القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧.
١٦٨ ص ، ٢٤ سم
تدمك ٩ - ٢١٣ - ٣٣٩ - ٩٧٧
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠٧/١١٩١٤
١ – الصهيونية واليهودية
رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي.
٩٥٦,٩٠١

الطبعـــة الأولـــى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر - الدار الثقافية للنشر - القاهرة
صندوق بريد ١٣٤ بانوراما ١١٨١١
تليفاكس ٢٤٠٢٠٥١٥ - ٢٤١٧٢٧٦٩
Email: info@dar-althakfia.com

http://kotob.has.it

مُقَدِّمَة

يضم كتاب "العهد القديم" أو " المقرا"، كما يسمى بالعبرية، بين دفافه، أصول وفروع العقيدة والشريعة اليهودية، وفصولاً كثيرة من التاريخ تؤرخ لتاريخ نشأة الخلق وتاريخ اليهود، منذ نزوح إبراهيم من أرض حاران فى العراق إلى أرض كنعان إلى ما بعد تدمير الهيكل الأول (٥٨٦ ق.م) ثم السبى البابلى والعودة من بابل، كما يضم هذا الكتاب الجامع أسفار أدبية تعبر عن روح الحكمة بين بلدان الشرق الأدنى القديم (أيوب ـ نشيد الأنشاد ـ الأمثال ـ الجامعة ..).

وقد بدأ تدوين أسفار العهد القديم منذ عودة بقايا اليهود من سبى بابل على يد قورش الفارسى إلى فلسطين فى القرن الخامس ق.م واستمر حتى القرن الخامس الميلادى، أى أن مرحلة التدوين استمرت عشرة قرون متوالية، إلى أن استقر النص "المقرائى" على ما هو عليه الآن، ليضم أربعة وعشرون سفرا فى أجزائه الثلاثة: التوراة ـ أسفار الأنبياء ـ أسفار المكتوبات، والتى تستخدم كمسمى لهذا المجلد الضخم فيطلق عليه اسم "تاناخ" (الحروف الأولى من أسماء أجزائه الثلاثة).

ونظراً لطول فترة التدوين من الناحية الزمنية، فإن طبقات كثيرة من الروايات والتقاليد التوراتية المتوارثة والتى تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، قد تداخلت فيما بينها واختلطت بالكثير من الإضافات والمبالغات أدت إلى خلق العديد من التناقضات والتضاربات والتكرارات سواء على المستوى التشريعى أو على المستوى القصص التاريخى للأحداث، وكذا سير الشخصيات الزمنية والتاريخية اليهودية، وهى الأمور التى أوجدت، فى بعض الحالات، إحساسا بالغموض لدى قارئ النص.

وعندما انفتحت أفاق الدراسة النقدية (النصية) لأسفار "العهد القديم" فى القرن التاسع عشر، على العلماء من المسيحيين واليهود على حد سواء، فى دول غرب أوربا، ظهرت أعداد هائلة من الدراسات والأبحاث، حول هذه القضايا، التى وجد

http://kotob.has.it

هؤلاء العلماء، أنها قضايا إشكالية، تحتاج إلى بحث ودراسة، للتوصل إلى إجابات شافية ومقنعة عقلانيا، لحل ألغازها، التى كشفت عنها أبحاثهم ودراساتهم على المستويين النصى واللغوى للنص "المقرائى".

وبالرغم من كثرة القضايا الإشكالية، التى تحفل بها قصص التوراة، اعتبارا من قصة الخلق ثم الطوفان، والبدايات الأولى لنشأة الشعب العبرى من خلال هجرة إبراهيم من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان وغيرها من الروايات. إلا أن قصة مثل قصة إقامة بنى إسرائيل فى مصر ثم خروجهم منها، وطريق الخروج الذى سلكوه عند خروجهم من مصر إلى ان أرض سيناء، ثم التيه فيها لأربعين عاما، ثم دخولهم إلى أرض كنعان، وما واكب عملية دخولهم هذه الأرض من عمليات غزو وقتل وتدمير وإبادة للشعب الكنعانى . كل هذه التفاصيل تعتبر من أكثر الفصول إثارة وغموضا وإشكالية فى مجمل تاريخ بنى إسرائيل فى العصور القديمة.

ومن هنا، فإن هذا الكتاب الذى أقدمه للقراء يدخل فى غمار هذه الإشكاليات على المستويين التاريخى والدينى، كما عبرت عنها نخبة من العلماء الإسرائيليين، كل فى مجاله. والكتاب مقسم إلى جزئين. يحمل الجزء الأول عنوان: قضايا إشكالية فى التاريخ اليهودى القديم، ويضم عددا من الدراسات التى كتبها علماء إسرائيليون متخصصون فى علوم العهد القديم (المقرا) والتاريخ اليهودى القديم، حول القضايا الإشكالية التى تتضمنها قصة خروج بنى إسرائيل من مصر، التى هى محور هذا الجزء، بالإضافة إلى قضايا إشكالية أخرى يحتويها هذا الجزء من الكتاب.

أما الجزء الثانى، الذى يحمل عنوان "قضايا إشكالية فى الفكر الدينى اليهودى"، فإن معظمه عبارة عن دراسات لعلماء اسرائيليين فى الفكر الدينى اليهودى، يتناول حزمة متنوعة من القضايا الإشكالية فى الفكر الدينى اليهودى، اعتبارا من إشكالية تفضيل اليهود عبر حياتهم لحياة الشتات، والعزوف عن الإقامة فيما يسمى "أرض الميعاد" (فلسطين)، وإشكالية تدوين التوراة، ثم إشكالية مدى صحة الوقائع الواردة عن غزو أرض كنعان فى سفر "يشوع "، ثم التطرق للمقارنة بين تصور العلاقة بين الله والإنسان، من خلال الرؤية اليهودية المتجسدة فى سفر

http://kotob.has.it

أيوب، والرؤية اليونانية المتجسدة فى كتاب "السياسة لأفلاطون"، ثم الانتقال إلى رؤية تفسيرية معاصرة من خلال الفكر الوجودى لقصة "سادوم وعمورة"، ثم لسفر " يونان" (يونس)، وأخيراً سرد وثائقى لأسماء المستوطنات الصهيونية فى القدس وفى الضفة الغربية وغزة، وفقاً لأسماء وفقرات وردت فى أسفار "العهد القديم" .

هذا هو كل ما يحويه هذا الكتاب بجزئيه، وقد قمت بجمع مادته لتقديمها للقارئ العربى، فى مبادرة علمية لتعريفه بهذا الجانب المعتم الذى لا يلقى أحد الضوء إلا نادرا، سواء من المتخصصين فى الدراسات العبرية، أو من غيرهم.

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فيما سعيت إليه

دكتور رشاد عبد الله الشامى

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الجزء الأول

قضايا إشكالية فى التاريخ اليهودى القديم

١ - قراءة دينية للتاريخ اليهودى

كانت النهاية الحقيقية للدولة اليهودية القديمة "يهودا" على يد نبوخذ نصر ملك الكلدانيين عام ٥٨٦ق.م، حيث دمر عاصمتها وأحرق الهيكل (وهو ما يعرف فى التاريخ اليهودى "بالخراب الأول للهيكل")، وساق كثيراً من حكامها وقادتها وجنودها مع الآلاف من سكانها أسرى إلى بابل، وهو ما يعرف "بالسبى البابلى" الذى استمر حوالى سبعين عاما.

وبالرغم من أن هذه الهزيمة التى حلت باليهود لم تكن حدثاً ذا شأن فى التاريخ العالمى، إلا أنها شكلت بالنسبة لليهود انقلاباً شاملاً، ليس فى تاريخهم السياسى فحسب، بل وفى تاريخهم الدينى أيضاً. وإذا كان نزول التوراة قد أذن ببداية الشريعة اليهودية بصورتها الرسمية، فإن السبى البابلى وسقوط دولة يهودا، قد شكل بداية التاريخ الحقيقى للشريعة اليهودية، ليس كما أنزلت، وإنما كما عرفتها البشرية فيما بعد.

وقد تميز أسرى بابل بأنهم كانوا أكثر الناس حرصاً على ديانتهم، وأرفعهم ثقافة. ولما لم يتدخل البابليون فى حياتهم فى فترة السبى، فقد ظل أغلب هؤلاء يتطلعون إلى أورشليم، وكانت عواطف الحنين، وذكريات الأيام المجيدة، التى تثور عادة فى الغربة، وراء ذلك. ومن هنا كان إلحاح المسبيين على الحنين إلى أورشليم وعلى الممارسات الدينية التى يمكن أن تميزهم وتعزلهم عن البيئة الجديدة. وقد تجلى هذا الإلحاح فى تمسكهم الصارم الدقيق بطقوس يوم السبت التى اكتسبت مغزى دينياً يتصل بالعقيدة اليهودية. واتخذ الختان أهمية كبرى تعبيراً عن عهد الله مع إبراهيم، وهو العهد الذى أصبح قوام تاريخ إسرائيل. ولم تدم سيادة بابل مدة طويلة، حيث قضى الملك الفارسى قورش على سيطرة بابل على منطقة الهلال الخصيب من آسيا الصغرى - وحتى الفرات فى أكبر وأوسع جماعة بشرية موحدة عرفها الشرق القديم. وقد فرض ملك فارس على حكام مقاطعاته (المزاربة) احترام العبادات المحلية كى يضمن سيطرته على إتباعه المتعددى المشارب، وأصدر عام ٥٣٧ق.م قراراً يسمح للإسرائيليين بإعادة بناء الهيكل وللمسبيين بالعودة إلى فلسطين.

http://kotob.has.it

وبفضل تعاون ارستقراطية اورشليم مع المحتل الفارسى أصبح كبار الكهنة الصدوقيون (الذين شكلوا ثيوقراطية كهنوتية) والذين كانوا قد شغلوا مناصب الكهنوتية أباً عن جد منذ عهد سليمان، مالكين لزمام السلطة العليا على أنهم موظفون وكلاء لملك فارسى. وقد حدث صراع فى تلك الآونة بين العائدين من بابل وبين الذين ظلوا فى فلسطين، إدعى خلاله المسبيون القدامى الذين انقطعوا عن فلسطين زماناً طويلاً أنهم وحدهم حملة التقاليد بها بصرامة ودقة. وقد ألح عزرا الذى كان مفوضاً بصلاحيات كبيرة من ملك فارس على أن يجعل الجماعة اليهودية مجتمعاً مغلقاً متعصباً لا يمكن اختراقه على النحو الذى حلم به مسبيو بابل، فلم يعد يكتفى بالالتزام بطقوس السبت ولا بممارسة الختان على أنه واجب مقدس، بل أصر على أن الممارسة الدقيقة الصارمة الحرفية لأبسط الطقوس لابد وأن تصب فى قوالب ومناهج. وقد كانت من بين الشرائع التى شرعها للوصول إلى الانكماش والانكفاء والتقوقع تحريم الزواج بالأجانب وألح على طلاق النساء الأجنبيات وطردهن مع أولادهن، ولم يعترض أحد.

وهكذا انتصر التعصب تحت وطأة عصا الكهنوت التى امتلكت بعد سقوط المملكة اليهودية جميع السلطات مدعومة فى ذلك بسلطة الفرس، وهى الفترة التى تمت فيها عملية إضفاء الطابع القانونى على الأسفار المقدسة، لا على التوراة وحدها، وبدأ حكم "المجامع الدينية" (هَكنيست) وأحبار الشريعة، وهى السلطة التى أوقعت اليهودية تحت سلطان شكلانية النصوص المقدسة وحرفية الشريعة، وتم القضاء على مستقبل الازدهار الرائع لثقافة الأنبياء، ونزعتهم الروحانية ذات التوجه الإنسانى العالمى.

وبعد عزرا أصبح على اليهود أن يعيشوا وفقاً "للقانون" أو "الشريعة"، وأصبح من الضرورى شرح وتفصيل هذا"القانون" كى يتسنى تطبيقه على حياة اليهود فى ظروفهم المتغيرة، ومن أجل هذه المهمة نشأت طبقة جديدة هى طبقة "الكتبة" (هسوفريم)، الذين أوقفوا حياتهم على دراسة القانون الدينى وتحليله، واستنباط الأحكام الفرعية منه.

ولما كانت النصوص تحتمل التأويل الذى يؤدى إلى تعدد وجهات النظر، وحيث أن الحياة اليهودية فى ظل السيادة الفارسية والرومانية بعد عزرا كانت غير مستقرة، فقد عرف المجتمع اليهودى خلال هذه الفترة العديد من الفرق الدينية، بدءاً من الفريسيين والكتبة والصدوقيين والأسينيين إلى السامريين والقرائين وغيرهم.

http://kotob.has.it

وبعد تدمير تيتوس الرومانى للهيكل فى أورشليم عام ٧٠م (الخراب الثانى للهيكل) وإنهائه للسيادة اليهودية فى فلسطين، كانت هذه هى الفرصة السانحة للأحبار والحاخامات، كى يبسطوا سيطرتهم على كامل الحياة اليهودية، وخاصة فى ظل غياب منافس حقيقى، ومنذ تلك الفترة أصبحت المدارس الدينية التى تعبر عن آراء الأحبار والحاخامات والتى تولى مؤسسوها قيادة المجتمع اليهودى فى فلسطين، هى المظهر الوحيد للحياة الدينية اليهودية فيها.

وخلال الحكم الرومانى الذى تلا دمار "الهيكل الثانى"، والذى استمر أكثر من خمسة قرون ألفت كتب دينية هامة، فظهرت "المشِنا" و"الجِمارا" و"التوسِفْتا"، وبهذا اكتملت عناصر التلمود، وبدأت اليهودية الحاخامية / التلمودية ـ والتى طبعت العقيدة اليهودية منذ ذلك الحين بخاتمها ـ سيطرت على الحياة اليهودية.

وقد استمرت سيطرة اليهودية الحاخامية التلمودية على الحياة اليهودية منذ أواخر القرن السابع وحتى ظهر "حركة التنوير" (الهسكالاه) فى القرن الثامن عشر الميلادى، وكانت هذه السيطرة هى نقطة التحول الأبرز فى التاريخ اليهودى، والأكثر تاثيراً على الحياة اليهودية، حيث عرفت هذه اليهودية التلمودية بالنظرة الضيقة والانفصالية التى نظر اليهود من خلالها إلى أنفسهم، فتولدت عندهم مفاهيم الاستعلاء والانعزال والعنصرية، بحيث أضحت تعاليم التلمود هى المعايير السائدة والمقبولة فى كل ما يتعلق بحياة اليهود ونشاطهم الفكرى.

ومنذ تدوين التلمود، انهمك الحاخامات والأحبار فى دراسته وتفسيره والتعليق عليه خلال مئات السنين، وهى الجهود التى أسفرت عن اجتهادات أخرى لاحقة تذكر منها كتاب "الهالاخوت" الذى ألفه فى الأندلس اسحق بن يعقوب الفاسى (١٠١٣– ١١٠٣) واستخرج فيه معظم الأحكام الفقهيه التلمودية، وكان بمثابة تلمود مختصر. ومن بعده قام موسى بن ميمون (رَمْبام) (١١٣٥ ـ ١٢٠٤م) بتأليف أشهر كتاب فى الشريعة اليهودية وهو "مِشْنه توراة" (تثنية التوراة) الذى ذاعت شهرته واحتل مكاناً مرموقاً منذ العصور الوسطى حتى اليوم. وفى منتصف القرن السادس قام الحاخام يوسف كارو (١٤٤٨ ـ ١٥٧٥م) بتأليف كتاب جامع للشريعة اليهودية مع إعادة تصنيفها عُرف باسم "شولحان عاروخ" (المائدة المضودة) عام ١٥٦٤م. وهو المرجع الدينى الذى أصبح الحجة التشريعية. وحظى بالقبول شبه الجامع لدى اليهود، وأصبح بمثابة تلمود مصغر لا يقبل

http://kotob.has.it

الجدل ولا المخالفة ولا التفسير تقبله اليهود التلموديين كأنه مفتاح الخلاص، وكفوا أنفسهم من بعده مؤونة البحث وعناء الدرس، ومازال حتى اليوم هو المصدر الرئيسى للتطبيقات والقوانين الدينية عند اليهود فى إسرائيل.

وقد أدى الجمود الروحى والدينى والتشريعى الذى بلورته الشريعة الحاخامية فى كتاب"الشولحان عاروخ" إلى صدام مع الأوضاع العصرية مع بداية عصر التنوير، وكان هدفاً رئيسياً لسهام أصحاب اتجاه الإصلاح الدينى فى اليهودية وخاصة "المسكيليم" (أتباع حركة التنوير اليهودية المعروفة باسم "الهسكالاه" فى شرق أوروبا، باعتباره رمزاً للتخلف اليهودى وهو الأمر الذى أدى إلى ظهور الحركات الإصلاحية والعلمانية داخل اليهودية.

ولم تكن سيطرة اليهودية التلمودية الحاخامية سيطرة مطلقة على مجمل الحياة اليهودية اعتباراً من القرن السادس عشر، وخاصة فى شرق أوروبا، وهى السيطرة التى انتقلت إلى فلسطين مع موجات الهجرة الصهيونية، ثم إلى دولة إسرائيل بعد ذلك، حيث واجهت قبل ذلك ظهور القرائين فى القرن التاسع الميلادى، وهم الذين لا يؤمنون إلا بالعهد القديم ويرفضون الاعتراف بالتلمود. كذلك واجهت اليهودية التلمودية ظهور حركة التصوف اليهودى (القبَّالاة)، والذى بالرغم من أنها استمدت مقوماتها من التلمود، إلا أنها نازعت اليهودية النفوذ على الواقع الدينى اليهودى، وأصبح كتابها "الزوهر" (الضياء) المصدر الثالث المقدس بعد العهد القديم والتلمود. وأدت إلى ظهور القرن الثامن عشر، وكانت هى الأخرى مناوئة لليهودية التلمودية وظهرت بشكل خاص بين يهود أوكرانيا وانتشرت بعد ذلك فى أوروبا، وأصبح مركزها الرئيسى فى أمريكا (حي بروكلين بنيويورك).

وفى نهاية القرن الثامن عشر (١٧٨٠م) ظهرت حركة "الهسكالاه"(حركة التنوير اليهودى) كحركة علمانية على يد موسى مندلسون فى ألمانيا، وكانت أكبر تحد واجهته اليهودية التلمودية فى تاريخها، واستطاعت هذه الحركة الإطاحة بسيطرة اليهودية التلمودية على جموع اليهود إلى غير رجعة. وأدت إلى ظهور اليهودية الإصلاحية التى هاجمت اليهودية التلمودية فى عقر دارها وسيطرت على الحياة اليهودية لأكثر من قرن من الزمان، مما اضطر اليهودية التلمودية إلى إعادة تنظيم صفوفها بما يعرف حديثاً باليهودية الأرثوذكسية، التى جاءت رداً على الحركة الإصلاحية، وأكدت تمسكها

http://kotob.has.it

بالفكر التلمودى الحاخامى. ومن أجل التوفيق بين هاتين النزعتين ظهرت "اليهودية المحافظة" كحركة وسطية فى أفكارها بين هاتين الحركتين، إلى أن ظهرت الحركة الصهيونية فى القرن التاسع عشر كحركة علمانية تجاوزت فى دورها وأهدافها حدود التأثير السابق لليهودية الارثودكسية على الواقع اليهودى فى "الجيتو" فى غرب أوروبا وفى "مناطق الاستيطان اليهودى " (تحوم هَموشاف) فى شرق أوربا.

٢ - بنو إسرائيل في مصر

ليس هناك حدث من بين الأحداث، التي يرويها العد القديم، حدث يمكن أن نعتبره لغزا كاملا، مثل قضية إقامة بني إسرائيل في مصر، وقضية الخروج من مصر. فبالرغم من أن قضية خروج بني إسرائيل من مصر، هي حدث من الأحداث الرئيسية في التاريخ الإسرائيلي القديم، وبالرغم من أنها وصفت بالتفصيل في "المقرا" (العهد القديم)، فإن الباحثين على اختلاف مناهجهم، لم يتفقوا حتى اليوم على رأي مقبول لا بالنسبة للحدث نفسه، ولا بالنسبة لخط سير عملية الخروج، ولا حتى بالنسبة لمكان العبور في البحر الأحمر أو "بحر سوف"، كما يسمى في العهد القديم، لأنه لم يتم العثور حتى الآن على براهين أثرية أو وثائقية، تؤكد وقوع مثل هذا الحدث . وبالرغم من أن بعض الباحثين قد حاولوا العثور على وثائق أو براهين، إلا أن هذه الوثائق أو البراهين لم تكشف عن غموض الحدث، ليس ذلك فقط، بل وخلقت تناقضات جديدة، لم يستطيعوا تفسيرها.

وبالنسبة لموضوع خروج بني إسرائيل من مصر، ينبغي أن نميز بين ثلاث نقاط أساسية، يرتبط كل منها بالآخر، وهي:

١) إقامة بني إسرائيل في مصر.
٢) تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر.
٣) نقطة الخروج من مصر، أو موقع أرض جاسان.

وبالرغم من أنه ليست لدينا أية معرفة، أيا كانت، فيما عدا تلك الواردة في التوراة، عن نزول بني إسرائيل من أرض كنعان إلى مصر، إقامتهم في أرض جاسان، وخروجهم منها بعد ذلك إلى أرض كنعان، فإن ما تقصه المرويات الشفوية في هذا الموضوع، في خطوط عامة أحيانا وبالتفصيل أحيانا أخرى، يثير أمامنا أحداثا تاريخية ترجع إلى

http://kotob.has.it

الألف الثاني قبل الميلاد، وهي أحداث لها أساس وجذور في المصادر المصرية، بالقدر الذي يدعم هذه المرويات، من الناحية الخاصة بدراسة رموز "المقرا". إن مسألة استيطان بني إسرائيل في أرض جاسان، والظهور المريب ليوسف فى بلاط فرعون، إلى أن عين مساعدا للملك (تك٤١ : ٤٠ ـ ٤٥، ٤٥ : ٨) "وجعلني آبا لفرعون وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر"، يرى كثيرون من الباحثين أنها قد حدثت خلال حكم الهكسوس لمصر(خلال السنوات ١٧٢٠ ـ ١٥٧٠ ق.م)، حيث كانت عاصمتهم هي صوعن التي في الدلتا الشرقية، أي في أرض جاسان، وكانوا قوما من الساميين، وظهر منهم حكاما ساميون قادوا مملكتهم (الأسر الخامسة عشرة والسادسة عشرة)، مثل يعقبهر، وعنتهر، وحين، وحمودي. وقد ربط بعض الأدباء الإغريق وعلى رأسهم مانيتو، والذي وصلت كتاباته إلينا عن طريق يوسف بن متتياهو، بشكل غامض بعض الشيء، بين احتلال الهكسوس لمصر وطردهم من مصر، وبين ظهور بني إسرائيل في مصر، خروجهم منها في زمن موسى (قارن أيضا الإشارة إلى تأسيس عاصمة الهكسوس، وتحديد مدى السنين حسب هذا الحدث، حسبما هو وارد في سفر (العدد ٢٢ : ١٣)، "وبنيت حبرون قبل صوعن مصر بسبع سنوات" . لكن لا يوجد في المرويات "المقرائية" أي دليل على علاقة من هذا النوع بالذات، وذلك، لأنها لا تستقيم مع التحديد الزمني، لمسألة الخروج من مصر. كذلك، فإنه الجو المصري الأصيل في حد ذاته، والذي يلوح في سياق قصص يوسف، يدل على زمن أكثر تأخرا.

إن نزوح بني إسرائيل من مصر، يمكن أن نربطه بشكل عام فقط، بتلك الحركة الدائمة، للعناصر السامية الغريبة من أرض كنعان إلى أرض النيل، وهي الحركة التي بدأت في نهاية الألف الثالث ق.م، وكان من بينهم من وصل في بعض الأحيان، إلى مركز ممتاز في حياة الدولة. والدخول السامي، على شكل جماعات صغيرة أو كبيرة، كان يتم أساسا بالطرق السلمية، وذلك لدوافع تجارية، حسبما تشير إلى ذلك، على سبيل المثال، وليمة التجار الموصوفة في النقوش المعروفة في القبر المصري القديم، في بني حسن في مصر الوسطى، أو بسبب القحط والجوع الذي كان يعم أرض كنعان/ أو بسبب بيعهم إلى المصريين، عبيدا، وهي ظروف ورد معظمها بشكل أو بأخر بوضوح، في سياق قصص الآباء.

http://kotob.has.it

ومن هذه الناحية، تلقي بعض الوثائق المصرية ضوءا حيا أيضا، وذلك مثل قائمة العبيد في ضيعة أحد الأشراف المصريين، التي ترجع إلى القرن الثامن عشر ق.م، أي قبل أيام الهكسوس، ومعظم هؤلاء لهم أسماء سامية غربية واضحة، وهي الحقيقة التي تذكرنا على الفور بمركز يوسف في منزل فوطيفار. وفي قائمة أخرى، ترجع إلى منتصف القرن الخامس عشر ق.م، ورد ذكر أشراف من أرض كنعان (المقصود مدن مثل مجيدو، وحاصور، وأشقلون)، من الموجودين في بلاط فرعون، للحصول على المحصول والعطايا، مثلما حدث عندما جاء أبناء يعقوب إلى مصر هربا من القحط والجفاف. وتشير القصص بصفة خاصة إلى نزوح أبناء يعقوب، وكذلك أسرة إبراهيم وإسحق إلى مصر بسبب الجوع الذي ساد كنعان، وهو ما يتفق مع البيان الذي أبلغه قائد حدود مصري إلى فرعون بشأن مرور قبيلة من الجائلين من جنوب فلسطين إلى الدلتا الشرقية.

وهناك دليل غير مباشر عن وجود بني إسرائيل في مصر، يمكن أن نعثر عليه في وجود مجموعات من الأشخاص في مصر ممن يسمون "العابيرو"، وهي المجموعات التي ورد اسمها في وثائق ترجع من منتصف القرن الخامس عشر ق.م، حتى منتصف القرن الثاني عشر ق.م. وليس هناك شك في أن الاسم "عابيرو" باللغة المصرية، هو الاسم "خابيرو"، الشائع الاستعمال في الوثائق الأكادية لمدة حوالي ألف سنة، اعتبارا من نهاية الألف الثالثة ق.م، مثل وثائق نوزي، وفي رسائل العمارنة. وهذه الاصطلاحات لها بالطبع صلة بالاسم "عبري"، والتي يرى بعض الباحثين، أن هناك تشابا بينها من حيث اللغة والمضمون، بشكل مطلق، بينما يرى البعض الأخر، أن هناك مجرد تقارب موضوعي أولي فقط، بينما هناك من يرفض هذا تماما. ومن هذا التنوع الواسع في تفسير ظهور "الخابيرو"، من حيث الزمان والمكان، من بابل في الجنوب، حتى الأناضول في الشمال، وفلسطين في الغرب، وفي معظم أسماء الأعلام عندهم، والتي اشتق معظمها من لغات مختلفة تماما، من كل هذا، يمكن أن نستنتج أننا لسنا أمام شعب أو مجموعة عرقية قومية، بل أمام اصطلاح ذو مغزى اجتماعي، اختلف الباحثون حول تحديده بدقة.

وقد اتضح أن المقصود غالبا بهؤلاء "الخابيرو"، طبقة اجتماعية ذات مرتبة منحطة، لم تكن ضمن الإطار الاجتماعي العادي، وذلك على غرار المتهودين في التوراة، وذلك إما لأنها كانت تضم عناصر أجنبية عن المكان الذي كانت تقيم فيه، أو لأسباب أخرى غير معلومة.

http://kotob.has.it

وإذا كانت هناك علاقة بين الاصطلاح المذكور وكلمة "عبري"، إذن فإن هذا الاصطلاح كان في الأصل اصطلاحا ذو مغزى طبقي. وتتناسب وجهة النظر هذه مع الاصطلاح الاجتماعي القانوني "عبد عبري" (خروج ٢١ : ٢)، ومع بعض التسميات مثل "إبراهيم العبري" (تكوين ١٤ : ١٣)، الذي كان غريبا في أرض كنعان، وليست له الحقوق الكاملة للمواطن، وبصفة خاصة مع المكانة المنحطة التي كان يحظى بها بنو إسرائيل في مصر، حيث كانوا مستعبدين لفرعون، وخاضعين لسطوته، وذلك حسبما تقول التوراة : "كنتم غرباء في أرض مصر".

وبسبب هذه الظروف التاريخية، ربما التصق بنو إسرائيل كجماعة بالاصطلاح "عبري"، ولكنه تحول في التوراة إلى اصطلاح ذو طابع عرقي واضح.والتسمية "عبريون" من أجل الإشارة إلى التبعية القومية لبني إسرائيل، وهي تسمية قاصرة على مجموعة قصص يوسف وموسى، وعلى قضية الصراع مع الفلسطينيين، كما أنه ظل قاصرا كذلك على موقف الصدام بين بني إسرائيل والأجانب (وبالذات ضد المصريين والكنعانيين والفلسطينيين).

ولا يمكن بالطبع أن نبني استنتاجات على أساس الجد الأكبر "عابر"، الذي اشتق اسمه عن الاصطلاح "عبري"،والذي أضيف إليه فيما بعد تفسيرا جغرافيا من كلمة "عبر النهر"، وذلك لأن التسمية "عبري" تستعمل بالفعل في العهد القديم للإشارة إلى إطار أوسع من شعب إسرائيل بمفرده. وفي مقابل هذا فإن التسمية "عبيرو" باللغة المصرية، والتي يمكن أن تشمل بني إسرائيل، كانت شاملة وتنطبق على عمال السخرة الأجانب، الذين عملوا في مصر بشتى أنواعهم والذين كان معظمهم ساميين من أرض كنعان .

وبالرغم من كل الشكوك حول إن كان المقصود بهذا هم بني إسرائيل حقيقة، فإن هناك اهتماما كبيرا برسالة قائد مصري تعود لفترة فرعون مصر رمسيس الثاني بشأن تزويد العابيرو بالغذاء: " وزع حصص الحبوب على الجنود والعابيرو الذين يسحبون الحجارة إلى معبد رمسيس". والمقصود بذلك أولئك الأشخاص الذين يعملون الأعمال الشاقة، في إقامة المعبد، حسبما يبدو، في مدينة رمسيس، وهي الحقيقة التي تثير على الفور ما هو وارد في التوراة عن بني إسرائيل: "فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم. فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس" (خروج ١: ١١).

http://kotob.has.it

وتبدو هذه المعلومات متسقة مع هو وارد عن أعمال الفراعنة الأوائل في الأسرة المصرية التاسعة عشر، الذين نقلوا لأسباب تتعلق بسياستهم الخارجية، التي كانت موجهة نحو كنعان، مراكز حكمهم إلى شرق الدلتا، إلى منطقة أرض جاسان، وهي "أرض رعمسيس"، وهي التسمية التي أطلقت عليها نسبة إلى رعمسيس في قصة يوسف (تكوين ٤٧ :١١)، أو "حقل صوعن" "قدام آبائهم صنع أعجوبة في أرض بلاد صوعن" (المزامير ٧٨ : ١٢)، حيث تميز رعمسيس الثاني، بصفة خاصة، بأعمال البناء الواسعة وذلك خلال مدة حكمه الطويلة (١٢٩٠ ــ ١٢٢٤ق.م)، واقام على غرار أبيه "سيتي الأول"، عاصمة مصرية جديدة أسماها باسمه "مابيت رعمسيس أى محب الإله آمون"، كما قام كذلك بتعمير المناطق التي تحافظ على مداخل شبه جزيرة سيناء، فأقام مدينة باسم "برآتوم" "بيت الإله آتوم" (هي حسبما يبدو تل الرطابة)، وهاتان المدينتان ليستا إلا فيثوم، ورعمسيس، اللتان وردتا في التوراة.

وعلى هذا الأساس، يمكن اعتبار أن رعمسيس الثاني، هو الفرعون الذي تم استعباد بني إسرائيل في مصر على يديه، وربما خرجوا أيضا في عصره من مصر. وإذا أعطينا أهمية تاريخية للمعلومة الواردة في سفر الخروج، الإصحاح الثاني الفقرة ٣٣، بشأن موت فرعون الاستعباد، فإن بني إسرائيل يكونوا قد خرجوا من مصر في عهد إبنه مرنبتاح. وتؤيد هذا الافتراض قائمة انتصار الفرعون مرنبتاح، والتي ترجع إلى السنة الخامسة لتوليه الحكم (عام ١٢٢٠ق.م تقريبا)، وفقا لها نزل هزيمة "بإسرائيل"، والمقصود بذلك بالطبع تلك المعارك التي دارت رحاها في كنعان، وليس في شبه جزيرة سيناء، حسبما يعتقد بعض الباحثين، حيث أن هذه المعلومات وردت مع الإشارة إلى احتلال أشقلون وجيزر وينو عام جنوب طبرية. وليس معروفا بوضوح، ما هو الإطار المقصود به اصطلاح "إسرائيل" الوارد في هذا المصدر الخارجي لأول مرة ــ هل يشمل إسرائيل، أم يشمل عدة قبائل فقط، أم أن المقصود هو شعب وليس بلد. وعلى أية حال، يمكن أن نستنتج من كل هذه المعطيات، أن قضية الخروج من مصر واحتلال أرض كنعان، أو على الأقل المرحلة الرئيسية من تلك الأحداث، قد حدثت في القرن ١٣ ق.م، وانتهت في الربع الأخير من هذا القرن.

وهذا الاستنتاج الزمني تعززه أدلة أخرى، قد يكون لها ما يبررها في التوراة. فحسبما هو وارد في التقويم الزمني في سفر الملوك الأول ٦ : ١، حدث الخروج من مصر قبل

http://kotob.has.it

تأسيس هيكل سليمان ب ٤٨٠ سنة (عام ٩٧٠ ق.م تقريبا). وهذا الرقم بالطبع ليس دقيقا، لأن المقصود به هو ١٢ جيلا، وذلك على اعتبار أن الجيل هو أربعين عاما وفق تحديد التوراة. ولكن إذا اعتبرنا أن الجيل هو ٢٥ سنة، فإن المقصود يكون ثلاثمائة عام ١٢×٢٥= ٣٠٠ عام. وبموجب هذا يكون الخروج من مصر قد حدث في النصف الأول من القرن الثالث عشر ق.م. ويمكن التوصل إلى هذا التحديد الزمني، على أساس ملاحظة القاضي يفتاح لملك بني عمون (القضاة ٢٦: ١١)، بشأن تواجد الاستيطان الإسرائيلي في شرق الأردن لمدة ثلاثمائة عام حتى أيامه، أي حتى الربع الأول من القرن الحادي عشر ق.م. وإذا طبقنا عدد السنوات وفق حساب الأجيال السابقة، فإن الرقم يحذف منه مائة وثمانين عاما بالتقريب، وتكون بداية الاستيطان الإسرائيلي في شرق الأردن هي النصف الأول من القرن الثالث عشر ق.م.

الخروج من مصر وجبل سيناء

يرجع عدم وجود أي نبأ صريح خارج إطار التوراة عن قصة الخروج من مصر واحتلال فلسطين إلى حقيقة أن هذه الأحداث لم تكن ذات وزن دولي، تجعل الشعوب تسجلها في مصادرها.

ولكن المرويات الشفهية بشأن خلاص شعب إسرائيل من "بيت العبودية ورحلة صحراء سيناء إلى "أرض الميعاد"، هي حجر الأساس في العقيدة الإسرائيلية، وليس في أسفار التوراة والأسفار التاريخية فقط، بل أيضا في فكر الأنبياء (مثل هوشع ١١ : ١، وعاموس ٩ : ٧، وارمياء ٢ : ٦)، ولدى شعراء المزامير (مثل مزمور ٨٧ :١٢ ـ ١٣، ٩١ : ٦).

وقصص الخروج من مصر والتيه في صحراء سيناء هي قصص يلفها بالفعل رداء من الخيال الشعبي والعديد من أعمال المعجزات، ولكنها مع هذا لا تفتقد إلى بعض الخطوط التاريخية التي تعززها بعض المعلومات الواردة في المصادر المصرية . ويتضح هذا من خلال يوميات القادة المصريين الذين كانوا على حدود مصر وشبه جزيرة سيناء في مطلع القرن الثالث عشر ق.م، والذين كانوا موكلين بالإشراف الدقيق على الحدود، وكان العبور في كلا الاتجاهين مرهونا بالحصول على تصريح من السلطة المصرية . وتتضح هذه الحقيقة بشكل زائد على ضوء عمليات التردد المتعددة التي كان يقوم بها موسى وهارون على

http://kotob.has.it

فرعون مصر، للسماح بخروج بني إسرائيل. ولكن هروب بني إسرائيل من مصر، بعد أن رفض طلبهم، وتوقيته بساعات الليل، هذا الهروب له ما يماثله في الوثائق، مثل القصة المعروفة للاجئ المصري "شنهات"، في فترة الأسرة المصرية الثانية عشرة، الذي عبر الحدود في الظلام، في طريقه إلى سيناء وكنعان، ورسالة قائد مدينة ثاكو، (هي، فيما يبدو، سوكوت التي تقع في أرض جاسان المجاورة للحدود، والمذكورة في بداية رحلة بني إسرائيل)، بشأن هرب عبدين إلى سيناء فيما وراء تحصينات الحدود التي تقع في شمال مدينة مجدل (المذكورة هي الاخرى في قصة الخروج من مصر)، وإرسال حملة عسكرية من حرس الحدود في أعقابهم من أجل إعادتهم (بردية أناستاسي الخامس نهاية القرن الثالث عشر ق.م). وهذه الرسالة تعتبر دليلا دامغا، حيث يتضح من هذا، أن تحصينات الحدود المصرية، كان من بين أهدافها منع هروب العبيد المصريين، ولكن يبدو أن هذا الحاجز لم يكن على الدوام ذو كفاءة كافية، حيث تشير المصادر المصرية، إلى هرب الأفراد، وقصة الخروج من مصر، لستمائة ألف من بني إسرائيل المسلحين بعائلاتهم (بشأن الرقم المبالغ فيه سنتحدث فيما بعد).

وبالنسبة لرحلة بني إسرائيل من مصر، يبدو مقنعا ذلك الزعم بأنهم لم يخرجوا في طريقهم إلى البلاد عبر الطريق الأقصر، "لم يهدهم الرب في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة، لأن الرب قال حتى لا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر" (الخروج ١٣ : ١٧). هذه القصة تبدو مفتقدة للمصداقية على أساس الواقع في تلك الأيام، لأن طريق أرض الفلسطينيين الممتدة على طول شاطئ البحر المتوسط، كانت جزءا من طريق دولي حصنه الفرعون سيتي الأول حوالي ١٣٠٠ ق.م بشبكة من الحصون، وهو الأمر الذي كان من شأنه أن يؤدي إلى فشل بني إسرائيل. وبناءا على ذلك، فإن رحلة بني إسرائيل قد سارت في طرق ملتوية ومعقدة. وبالرغم من قوائم المحطات التفصيلية، الواردة في سفر الخروج وسفر العدد، فإنه لا يمكن استعادة طريق تيههم، لأن الغالبية العظمى من هذه المحطات، كانت مجرد مواقع مؤقتة لا يمكن التعرف عليها بدقة. وينطبق انعدام المصداقية كذلك على تحديد موقع "بحر سوف"، وجبل سيناء، الذين يرى المفسرون القدامى، أن موقعهما ينبغي أن يكون في الجنوب، الأول في خليج السويس، أو في إحدى البحيرات المرة، أو في خليج إيلات، والثاني في جبل موسى، الذي يقع جنوب شبه جزيرة سيناء. وفي مقابل هذا يفترض كثيرون من الباحثين الجدد،

http://kotob.has.it

أنه لابد من نقل هذه المواقع إلى الشمال : بحر سوف إلى بحيرة البردويل، المتفرعة من البحر المتوسط، ذات المياه الراكدة والقابلة في بعض مواقعها لعبور الأشخاص، حيث يتواجد العابرون في مجرى الطرف الفاصل بين هذا الفرع والبحر المتوسط، بين بحر مياه من هنا ومن هناك (راجع سفر الخروج ١٤: ٢٩)، وجبل سيناء في إحدى التلال الواقعة شرق قاديش برنيع. وبالفعل فإن المعطيات الجغرافية القليلة، بقدر ما يمكن التعرف عليها، فيها ما يمكن أن يعزز الرأي الخاص بأن طريق الرحلة الشمالية، وكذلك خط الرحلة قد حدث عن طريق الالتفاف الواسع في الجنوب. وتشير إلى الطريق الشمالي المواقع المذكورة في بداية رحلة بني إسرائيل، أي مجدل وفم الحيروث وبعل صفون (الخروج ١٤ :٢) الذي كان موقعا مقدسا للنازلين عند البحر منذ العصور القديمة وحتى العصور الكلاسيكية. ولكن من ناحية أخرى تدل عدة مصادر عن وجود بحر سوف في خليج إيلات. وعلى أية حال، فإن المحطة الرئيسية في رحلة تيه بني إسرائيل، كانت في الواحة الصحراوية الهامة قادش برنيع، التي تقع عند تل قديرات في شبه جزيرة سيناء الغربية الشمالية، بجوار عين مياه متدفقة كانت كافية لإمداد الأسباط "أياما كثيرة" (التثنية ١ :٤٦).

وبالرغم من كل الغموض الذي يلف قضية الخروج من مصر ودخول أرض كنعان، فإن هذه الأحداث في حد ذاتها تتشابك مع ظروف العصر، وتتناسب مع المشهد التاريخي لتلك الفترة، وتبلور جماعات إثنية وتقرير مصيرها الذاتي في كيانات قومية تسعى إلى تحقيق إطار إقليمي سياسي. لقد قامت في تلك الفترة الزمنية تقريبا دول آدوم، وموآب، وعمون، التي انتظمت في ممالك، على خلاف إسرائيل، في المرحلة الأقدم. ويوجد التعبير الأعلى لتبلور إسرائيل من "انتماء عبري" إلى شعب حقيقي في الثورة الدينية، التي ينطوي عليها موقف جبل سيناء، الذي نظرت إليه الدراسات النقدية الحديثة للعهد القديم باعتباره مرويات تختلف عن البلورة الأدبية لقضية الخروج من مصر، وترى أنهما تضافرتا، في نسيج واحد في أجيال متأخرة. وعلى أية حال، فإن المرويات المقرائية تربط الثورة الفكرية الجديدة، بشخصية موسى المدهشة، الذي ينتمي إلى سبط لاوي، والذي حافظ الوعي اليهودي على ذكراه باعتباره سيد الأنبياء، والمشرع والقاضي، والقائد العسكري، والسياسي، والزعيم "الكاريزمي" لخروج شعب إسرائيل من العبودية إلى الحرية، والذي رأى خالقه أكثر من أي مخلوق آخر، وحظي بتلقي التوراة لشعبه،

http://kotob.has.it

وللعالم في مشهد جبل سيناء. وينطوي هذا التحول الديني على تجلي الروح القدس لموسى، والذي تطابق التقاليد المقرائية بينه وبين إله الآباء : "أنا الرب أبيك، إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب" (الخروج ٣ : ٦)، " وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم" (الخروج ٦ : ٣).

وقد حدث تخبط بين الباحثين حول تفسير اسم الرب وبصفة خاصة حول مصدره، وهناك من خمنوا أن مصدره هو المصطلحات الدينية القديمة للقبيلة العبرية. ولذلك فإننا نشاهد اليوم، أسماء شخصيات مختلفة في وثائق ماري تحتوى على الإسم ياهو، ولكن ما يثير الدهشة، أنه لا توجد بالذات في العبرية، أسماء مركبة من الاسم "ياهو" حتى فترة يوخيفيد، أم موسى. ومن ناحية أخرى، هناك الفرضية "المديانية القينية" بشأن أصل الإله يهوه، والتي تعتمد على أن مكان تجلي الإله لموسى هو جبل سيناء، والذي كان في منطقة مجال تحرك المديانيين، وكذلك أيضا الدور الفريد من نوعه، الذي تنسبه التقاليد المقرائية ليثرو، كاهن مديان، صهر موسى، في إتباعه نظم القضاء بين شعب إسرائيل (الخروج١٨) . ويمكن حاليا أن نجد تعزيزا آخر لهذا التخمين، في وجود منطقة من البلاد باسم "أرض الشوسيين ياهوا"، وردت في نقوش الفرعون أمنحتب الثالث قبل موسى بعدة أجيال، والفرعون رمسيس الثاني، بخصوص منطقة سيناء وأرض سعير، الواردة في "المقرا"، خارج نطاق قضية الخروج من مصر، باعتبارها منطقة ظهور الرب (التثنية ٣٣ : ٢، القضاة ٥ : ٤، حبقوق ٣ : ٣، المزامير ٦٨ : ٩) ولكن، ليكن مصدر الألوهية كيفما يكون، وإذ يكفي إنها تحسم التحول الديني الموضوعي الجديد، ووجهة النظر التوحيدية، والتي تعتبر بمثابة إرهاص إسرائيلي أصيل، لم تتم استعارته من العالم الوثني. فعلى خلاف إله الآباء الأسري والمتوحد، في الغالب، أي عبادة إله واحد مع وجود آلهة أخرى إلى جواره، فإن عقيدة التوحيد الخاصة بيهوه ترتكز على وجهة نظر قطبية لإله عالمي وكوني من ناحية، وذات تعبيرات وأهداف قومية واضحة، من ناحية أخرى. كذلك فإن العهد بين الرب وبين الشعب لا يقتصر هذه المرة على هدف "الشعب المختار" فحسب، بل يشتمل على بشرى أخلاقية اجتماعية وصلت إلى ذروتها بإعطاء الوصايا العشر . ويبدو أن ديانة التوحيد لم تكن ثمرة فكر ثيولوجي متأخر، وفقا لوجهة النظر المطلقة الخاصة بالدراسات النقدية للعهد القديم، بل هي وفقا لرأي حزقيال

http://kotob.has.it

كويفمان، كانت عاملا تاريخيا واجتماعيا حاسما، عمل منذ بداية ظهور إسرائيل كشعب وظل حيا في وعي الأسباط لدى احتلالهم لهذه البلاد، وهنا يكمن المغزى الحقيقي للخروج من مصر ومشهد جبل سيناء.

٣ - "يم سوف" بالعبرية هل هو البحر الأحمر؟

(أ)

يدل الاسم " يم سوف" بالعبرى بوضوح على البحر الأحمر فى جميع الكتب، التى تناقش عملية شق مياه البحر الأحمر عند خروج بنى إسرائيل من مصر. وبعض الكتب تقصد به خليج إيلات، كما جاء فى وصف "حدود إسرائيل" التى تمتد من البحر الأحمر حتى بحر فلسطين (واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين.....) (خروج ٢٣/ ٣١) وهو الجدل الذى دار من أجل معرفة أسطول الملك سليمان، وهو الأسطول الذى صنعه الملك فى صوعن جابر التى تقع على ساحل البحر الأحمر (ملوك أول ١/ ٢٦) ويبدو أن هذا هو ما تقصده المؤلفات التى تناولت بالدراسة موضوع رحلات بنى إسرائيل فى طريق البحر الأحمر قبل أن يدورون فى أرض آدوم (عدد ١٤/ ٢٦؛ ٢١/ ٤): "... وارتحلوا من جبل هور فى طريق بحر سوف ليدوروا بأرض آدوم..."، وفى (التثنية ١/ ٤٠) : " وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا إلى البرية فى طريق بحر سوف". وفى (التثنية ١/٢): " ... وارتحلنا إلى البرية عن طريق بحر سوف...". ويدل على هذا الأمر أيضاً ما ورد فى سفر القضاة حيث جاء: " لأنه عند صعود إسرائيل من مصر سار فى القفر إلى بحر سوف وأتى إلى قادش وأرسل إسرائيل رسلاً إلى آدوم". (قضاة ١١/ ١٦– ١٧). وهذا يقابل فى سفر العدد (٣٣/ ٣٥– ٣٧): "... ثم ارتحلوا من عبرونة ونزلوا فى عصيون جابر. ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا فى برية صين وهى قادش. ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا فى جبل هور فى طرف أرض آدوم". ونص هذه الكلمات يشبه النص الضمنى للفقرة: " فأدار الله الشعب فى طريق برية سوف" (خروج ١٣/ ١٨). وبمقتضى ذلك يحتمل أن ما عبر عنه هنا هو خليج إيلات أيضاً. ولكن هذا لا يعتبر حلاً حاسماً، لأن "بحر سوف" ذكر فى سفر العدد ٣٣/ ١٠ كمحطة ثالثة لبنى إسرائيل بعد عبورهم البحر، أى فى بداية رحلاتهم، عندما خرج بنو إسرائيل من مصر، ولذلك يحتمل أن ما كتب فى سفر الخروج ١٣/ ١٨، يقصد هذا المكان أيضاً.

http://kotob.has.it

ومن بين الخليجين المذكورين أيضاً يوجد خليج كبير وهو خليج السويس حيث يمتد من مضايق زبول حتى مدينة السويس، ويفصل بين شبه جزيرة سيناء وسواحل مصر الشرقية. ويبلغ طول الخليج ٣٠٠كم تقريباً، ويصل عرضه الأقصى إلى ٦٠كم. وكذلك يصل أقصى عمق له حوالى ٨٠م. بينما يمتد خليج إيلات بين مضيقى يطفه (تيران) وإيلات ويفصل بين شبه جزيرة سيناء وشبه الجزيرة العربية. ويبلغ طوله حوالى ١٨٠كم. ويصل عرضه النهائى إلى ٣٠كم، ويصل أقصى عمق له إلى ١٢,٥٠متراً.

(ب)

وطبقاً للمرويات التوراتية، فإن خليج السويس هو " بحر سوف" الذى شقه الرب أمام بنى إسرائيل (خروج ١٥/ ٤، ٢٢؛ تثنية ١١/٤؛ يشوع ٢/ ١٠، ٤/ ٢٣، ٢٤/ ٦؛ مزمور ١٠٦/ ٧، ٩، ٢٢؛ مزمور ١٣٦/ ١٣؛ نحميا ٩/ ٩). وينعكس هذا الاعتقاد، أولاً فى الترجمة السبعينية التى تترجم "بحر سوف" فى نفس الأسفار، بالبحيرات، ثم بعد ذلك عند يوسف بن متتياهو (قدمونيوت ٢، ١٥، ٣)، ويتمسك به أيضاً الرحالة المسيحيون فى القرون (٩ — ٥ قبل الميلاد)، الذين يحددون مكان شق مياه "بحر سوف" فى شمال خليج السويس، جنوب البحيرات. وقد أثير أول شك فى هذه العملية من الربط، فى نهاية القرن الثامن عشر عن طريق العالم ريختر، وفى القرن التاسع عشر زاد عدد الذين يعترضون عليها، وحددوا مكان البحر الأحمر الذى عبره بنو إسرائيل إلى اليابسة ـ بجميع البحيرات التى تقع على تخوم مصر الغربية، فى الجهة اليمنى من البحيرات المرة أو فى شمالها فى بحيرة التمساح، أو حتى فى احدى البحيرات التى تقع على المصب الشرقى لنهر النيل فى ضواحى فيلوسيون، ومن هنا اتجهوا إلى شرق البحيرة البربونية التى تقع فى شمال شبه جزيرة سيناء. وقد استمر هذا الجدل فى عصرنا بمناسبة تجدد أسباب هذا الوصف أو ذاك. وعلى ما يبدو، فإن أساس تبادل الآراء، هو عدم وضوح موقع الأماكن الثلاثة، التى ارتحل إليها بنو إسرائيل قبل أن يعبروا البحر، وهى فم الحيروث ومجدل، وبعل صفون. وثمة سبب هام فى اختلاف الآراء على عبور بنى إسرائيل من البحر، وهو عدم حسم الموضوع الذى ثار الخلاف حوله، وهو ما إذا ما كان بنو إسرائيل قد عبروا إلى جزيرة سيناء من الجنوب أو من الشمال.

http://kotob.has.it

إن جميع فرضيات الربط مصحوبة بمحاولات إيجاد تفسير لسبب حدوث عملية شق البحر. فقد زعم أفسفوس، أنه من الممكن أن يساهم بمعلوماته عن دورة المد والجذر فى خليج السويس، أى أن بنى إسرائيل عبروا البحر أثناء عملية الجذر، وأن المصريين غرقوا أثناء عملية المد. وبعده لاحظ الباحثون المحدثون، الذين يصرون على عملية الربط التقليدية (آخرهم سرڤين) إن الفرق فى كمية المياه أثناء عملية المد والجذر تصل إلى مترين تقريباً، على العكس من ذلك فى البحر المتوسط حيث أن الفرق لا يزيد عن ٤٠سم فقط. ثم لاحظوا أيضاً أن الجذر فى مياه الخليج يعود بسرعة، مثلما حدث عندما عبر جيش نابليون البحر الأحمر لكنه نجا من الغرق بصعوبة. لكنهم وجدوا صعوبة بالنسبة للريح الشرقية الشديدة التى هبت طيلة الليل قبل أن يعبر بنو إسرائيل البحر (خروج ١٤/ ٢١). ونظراً لأن الرياح الشرقية التى تهب على مصر من ساحل البحر المتوسط، تقل كلما اقتربت من خليج السويس، فإن أصحاب هذا الرأى يستندون أيضاً على المؤلف الذى يقول، بأن بنى إسرائيل رحلوا من طريق البرية فى البداية، قبل أن يرتحلوا إلى "بحر سوف" ... كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر...) (خروج ١٤/ ٢) وورد فى (عدد٣٣/ ٧): "ثم ارتحلوا من إيثام ورجعوا على فم الحيروث التى قبالة بعل صفون أمام مجل. ثم ارتحلوا من أمام الحيروث وعبروا فى وسط البحر إلى البرية..." ثم تتضح هذه الظاهرة حسب رأيهم من خلال افتراض، أن بنى إسرائيل ضلوا فى طريق الصحراء ووصلوا إلى الساحل الغربى لخليج السويس، وعندما أرادوا أن يرحلوا من أجل الوصول إلى الساحل الشرقى من اليابسة، كان الجيش المصرى قد أغلق الطريق أمامهم ومنعهم من العبور إلى الاتجاه الشمالى من الخليج. هذا ويوجد بين أصحاب نظرية الارتحال من الجنوب باحثون ينقلون البحر الأحمر إلى البحيرات المرة، التى تقع فى شمال خليج السويس (آخر هؤلاء الباحثين بوردون) أو إلى بحيرة التمساح (آخرهم ـ فيلون) التى تنحرف أكثر إلى الشمال، ولديهم دليل على ذلك، وهو أن بنى إسرائيل أسرعوا من أجل الابتعاد عن مصر إلى الشرق، ولم يقوموا برحلات طويلة فى الاتجاه الجنوبى داخل مصر. وهذه الآراء تحتاج إلى دليل على افتراضهم، التخمينى المبلبل من بدايته، بأنه كان هناك اتصال طبيعى بين البحر الأحمر وبين هذه البحيرات عند حدوث عملية الخروج من مصر، وبذلك يكونوا، وطبقاً لرأيهم، قد طبقوا قوانين المد والجذر فى البحر الأحمر على

http://kotob.has.it

البحيرات المرة وعلى بحيرة التمساح أيضا. ثم يزعمون بأن نظريتهم تعتبر تفسيراً كافياً بأن الاسم هو " يم سوف" أو البحر الأحمر، حيث لا يوجد نبات البردى على سواحله إلا فى قليل من الأماكن، حيث تنضب فيه المياه العذبة، بينما تمتلئ سواحله الداخلية بالكثير من البردى. ومن هنا، فإنهم توصلوا إلى أن اسم "بحر سوف" كان يطلق أولاً على البحيرات أو على بحيرة التمساح، وبعد فترة من الزمن أطلق على البحر الأحمر أيضاً، وذلك بسبب الصلة الطبيعية بينه وبين البحار الداخلية. ولكن هذا التفسير رفض بكامله، إذ أنه الصعب قبول الرأى، الذى يقول بان بحراً كبيراً، سمى باسم بحيرات ذات أهمية بسيطة. وأيضاً فإن هذه الآراء ليس فيها ما يمكن أن نعتبره إجابة كافية على السؤال التالى: لماذا رجع بنو إسرائيل من طريقهم فى البداية قبل أن يرتحلوا إلى ساحل البحر الأحمر؟ والذين يربطون البحر الأحمر بالبحيرات المرة يحددون أن مكان الانشقاق حدث فى قطاعه الجنوبى، حيث تنضب المياه ويمكن العبور. ولكن طبقاً لهذا الرأى، يكون من الصعب أن نوضح من أين رجع بنو إسرائيل من طريقهم قبل أن يرتحلوا إلى "يم سوف". وبينما يعتقد الذين يرجحون عملية الربط ببحيرة التمساح، أن بنى إسرائيل، قد وصلوا فى طريقهم إلى الجانب الشرقى لنفس البحيرة ثم رجعوا لسبب ما إلى ساحلها الغربى، ربما لأنهم اصطدموا بحصن تخم مضيقى.

وبصدد ربط "بحر سوف" بالبحر الأحمر أو مع البحيرات المرة أو بحيرة التمساح، فإن بنى إسرائيل، بناء على ذلك، يكونون قد اتجهوا إلى جنوب سيناء، بما يتعارض مع النظريات المبنية على افتراض أن بنى إسرائيل عبروا إلى شبه جزيرة سيناء من الشمال، حيث تربط "بحر سوف" بإحدى البحيرات التى تقع عند مصب نهر النيل الشرقى بالقرب من فيليسون (رأى أولبرايت)، أو بالخليج السيربونى فى شمال سبه جزيرة سيناء (رأى ج. أرفيس، أيسفلدت. نوث).

وقد واجه هؤلاء الباحثون، سؤالاً صعباً، رغماً عنهم، وهو: ما السبب فى تسمية البحر الأحمر "بيم سوف"، كذلك على بحيرة على ساحل البحر المتوسط؟. وقد جاء فى الافتراض، الذى قُدم أخيراً بواسطة نوث، الذى لم يؤيد الاعتقاد القديم بشأن الخروج من مصر، ولكنه تحدث عن شق البحر المبهم، الذى لم يوضح اسمه، فربط ربط هذا البحر بيم سوف، أى البحر الأحمر، وذلك من أجل المبالغة فى الثناء على الرب الذى شق بحراً شاسعاً وكبيراً أمام بنى إسرائيل.

http://kotob.has.it

ويجد هؤلاء الباحثون سنداً ضئيلاً لرأيهم هذا فى النصوص المختلفة الواردة فى سفر العدد ٣٣، حيث جاء فى الفقرة رقم ٩: " وعبروا من البحر إلى الصحراء"، وبينما يذكر فى الفقرة ١٠ من نفس الإصحاح: "وارتحلوا إلى بحر سوف"، كما لو كان البحر الذى عبروه يختلف عن "بحر سوف" المذكور فى بقية القصة. وهم يرون أن الفقرات التى تذكر شق "بحر سوف" تقصد البحر الأحمر. ولكن يجب أن نرفض شهادتهم كشهادات متأخرة ومفصلة، كما يجب أن نحدد البحر الذى عبره بنو إسرائيل، دونما أن ننظر إلى تلك المعتقدات. ويستند أصحاب هذه الآراء على ما جاء بان ريحاً شرقية هى التى تسببت فى شق البحر، ويستعينون فى سائر تعليلاتهم أيضاً بأقوال إسترابون، والذى يقول، إنه أثناء إقامته فى مصر فاض البحر وغطى الساحل من مصب نهر النيل الشرقى حتى الخليج السيربونى. بينما يذكر الذين يميلون للربط مع الخليج السيربونى، أن هذا الخليج، الذى ينفصل حالياً عن البحر المتوسط بواسطة اللسان البرى، يكون جافاً فى معظم أيام السنة، إلا عندما تفيض مياه البحر أحياناً من خلال اللسان فتغمر الخليج.

إن ما كتب عن رجوع بنى إسرائيل من طريقهم قبل أن يجيئوا إلى "بحر سوف"، قد فُسر" حسب هذا الرأى" باعتبار أن بنى إسرائيل ارتحلوا فى البداية نحو الجنوب داخل الصحراء، لكنهم ارتدوا من الصحراء ورجعوا فى اتجاه الشمال إلى ساحل البحر الأحمر.

وقد وجه لهذه العملية من الربط نقداً، وهو أن الطريق فى شمال شبه جزيرة سيناء لم يكن يمر على الخليج السيربونى عندما حدثت عملية الخروج من مصر. ولكن هذا التعليل يقوم على افتراض أن بنى إسرائيل سلكوا إحدى الطرق البرية الكبيرة، وهذا الرأى لا يتفق ورأى يوسف بن متتياهو، الذى يرى أنهم تحاشوا مثل هذه الطرق خشية الجيش المصرى. ويربط جاردنر بين بحر "سوف" وكلمة " سوف" العبرية، التى تعنى "النهاية"، والتى وردت فى وثيقة عن مدينة رعمسيس وفى (بردية إنستاس ٣/ ٢، ١١– ١٢): عن أنه مكان غنى بالبردى (بردية انستاس ٤– ١٥– ٦) والكلأ (بردية تليه ٢، ٤، ٩) وتقع هذه المنطقة فى جنوب شرق الدلتا، ويجب اعتباره جزءاً من منطقة بحيرة المنزلة. ويتفق هذا الوصف تماماً مع الوصف التوراتى: لأن بنى إسرائيل خرجوا من أرض جوشن، وهى أرض رعمسيس (تكوين ٤٧/ ١١ "...فى أفضل الأرض فى أرض رعمسيس كما أمر فرعون..."، أما رعمسيس التى فى صوعن فقد ذكرت كمحطة أولى عند الخروج (خروج ١٢/ ٣٧ ...): "فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس

http://kotob.has.it

إلى سكوت...)، أى أن طريق الارتحال كان فى تخوم بحيرة المنزلة ويوجد في هذا الرأى ما يفسر، إلى حد ما، لماذا اعتمدت الرواية على ضياع جيش فرعون ومركباته فى هذه المنطقة المغرقة.

٤ - طريق الأيام الثلاثة فى الصحراء

دكتورن. ر. جينور*

لقد اتجه بنو إسرائيل الذين هربوا من "بيت العبودية"، (يقصد مصر ـ حسب الوصف الذى جاء فى سفر الخروج ـ المترجم) إلى الجنوب وليس إلى الشرق، وقاموا "بسفر ثلاثة أيام" فى قلب المنطقة المصرية ـ ولكن ليس عبر الطريق الرئيسى، حتى منطقة السويس الحالية.

وقضية الخروج من مصر هى حدث أساسى فى التاريخ الإسرائيلى، وبالرغم من أنها موصوفة فى " المقرا" بالتفصيل، ولكن يبدو أنه ليس هناك حدث فى التاريخ يثير خلافاً فى الرأى على هذا النحو. ولم يتوصل الباحثون حتى اليوم إلى رأى عام يكون مقبولاً لدى الجميع لا بالنسبة للحدث نفسه، ولا بالنسبة لخط سير عملية الخروج، ولا حتى بالنسبة لمكان العبور فى البحر الأحمر، كما انه ليست هناك وثائق بيوجرافية أو اكتشافات أثرية قديمة تدل على حدث كهذا.

وقد حاول بعض الباحثين بالفعل العثور على وثائق، ولكن هذه البراهين لم تكن كافية، بل أدت إلى خلق تناقضات لا يمكن تفسيرها.

وبالنسبة لقضية الخروج من مصر، لابد من التمييز بين نقطتين أساسيتين مرتبطتين ببعضهما البعض:

أولاً: نقطة الخروج، أى، مكان أرض " جوشن" (جاسان).

ثانياً: تاريخ الخروج.

وإذا كان هناك إقرار بأن جوشن تقع فى منطقة دلتا نهر النيل، فإن هذا الأمر يترتب عليه أن عملية الخروج ما كان من الممكن أن تحدث قبل عام ١٢٠٠ق.م، لأنه من المعروف أن هذه المنطقة لم تكن فيها عملية بناء واسعة قبل هذا التاريخ، وهى فترة

* نشر هذا البحث فى صحيفة "معاريف" الإسرائيلية، بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٩٧٨.

http://kotob.has.it

رعمسيس الثانى، وذلك لأن بنى إسرائيل، هم الذين بنوا مدن فيثوم ورعمسيس. وإذا التزمنا بأن أرض جوشن تقع فى مكان من وسط مصر، فإن تاريخ الخروج لابد وأن يرجع إلى فترة قديمة جداً.

وتقول " المقرا" أن بنى إسرائيل أقاموا فى أرض جوشن. ويربط كل من يوسف بن متتياهو والترجمة السبعينية بين جوشن وأون هليوبوليس، أى منطقة القاهرة الحالية. ومن ناحية أخرى، فإن جوشن تسمى أيضاً " أرض رعمسيس". واستنتج الباحثون من هذه التسمية أن رعمسيس الثانى هو فرعون الاستعباد، ومن هنا فإن الفرعون مرنفتاح، الذى خلفه، يكون هو الفرعون الذى تمت فى عهده عملية الخروج من مصر. ولذلك فقد اتجهوا إلى البحث عن أرض جوشن فى منطقة الدلتا، حيث كانت توجد فيها عملية بناء واسعة ترجع إلى عهد رعمسيس فصاعداً. ولهذا السبب ولغيره من الأسباب الأخرى، أصبح شائعاً الآن اعتبار أن منطقة جوشن تقع ضمن منطقة الزقازيق ووادى الطوميلات، بين سفط الحنا والإسماعيلية.

أما بالنسبة لتاريخ الخروج من مصر فهناك من يجعلونه متقدماً وهناك من يجعلونه متأخراً، وهناك من يقدمونه إلى أيام تحتمس الثالث (١٥٠٠ تقريباً قبل الميلاد) أو أمنحتب الثالث (١٤٥٠ ق.م) ؛ وهناك من يرجعونه إلى أيام الفرعون رعمسيس الثانى أو الفرعون مرنبتاح (القرن ١٣ — ١٢ قبل الميلاد).

وهناك من يزعمون بأنه كانت هناك عمليتان للخروج من مصر — الأولى تحت قيادة منفردة أو مشتركة لكل من موسى ويشوع أو بقيادة "اللاويين" و " اليوسفييم " (نسبة إلى يوسف) أو أسباط راحيل وأسباط ليئة.

لقد خرجوا من منطقة القاهرة

وهنا يجد المرء نفسه تائهاً أمام تعدد الآراء المتضاربة وربما تكون القصة المقرائية قد روت الأحداث كما حدثت. ففى بداية سفر الملوك (٦ : ١–٢) يرد تاريخ الخروج من مصر صراحة : " .... وكان فى سنة الأربع مئة والثمانية لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل فى شهر زيو وهو الشهر الثانى أنه بنى بيت الرب". ومن هنا، وحسب ما هو وارد فى العهد القديم، فإن الخروج من مصر يكون قد حدث فى سنة ١٤٤٦ق.م. لأن بداية حكم سليمان كانت فى عام ٩٧٠ق.م تقريباً.

http://kotob.has.it

ونحن نقرأ عن الخروج من مصر " ... فى ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من مصر. هى ليلة تحفظ للرب من جميع بنى إسرائيل من أجيالهم" (خروج ١٢/ ٤١– ٤٢). وكما هو مفهوم فإن النص يتحدث عن ليلة ١٥ من نيسان (إبريل)، التى تعتبر تاريخ الخروج من مصر حسب ما جاء فى "المقرا". لكن " المقرا" تروى أنهم مشوا على الأقل ثلاثة أيام حتى وصل بنو إسرائيل إلى "يم سوف"، الذى أصبح شائعاً عنه أنه نهاية لمنطقة مصر. ويستنتج من هنا، وبناء على "المقرا"، أن "أرض مصر" ليست إطلاقاً هى منطقة مصر وإنما هى مكان محدود، وهو المكان الذى تركه بنو إسرائيل فى ليلة ١٥ من نيسان (إبريل). ونحن نجد أيضاً أرض بنيامين، وأرض أفرا يم، وأرض مديان، وأرض جوشن فى مصر وغيرها. وحتى اليوم فإن مدينة القاهرة وتسمى " منطقة أون العتيقة"، وفى لغة الحديث " مصر" (مصرايم)؛ والمدينة القديمة (الفسطاط) تسمى مصر القديمة وتسمى القاهرة الجديدة" مصر الجديدة" أو "مصر القاهرة" وأيضاً فإن مصر كلها تسمى " أرض مصر".

والنتيجة هى أن " مصر" كانت اسماً لإقليم أو اسماً لمدينة إقليمية وبمرور الزمن أطلق على الدولة الواسعة، ولذلك فإن إقامة بنى إسرائيل على تخوم مصر يجب أن تفهم على أنهم كانوا يقيمون على تخم المدينة الإقليمية.

لقد ساروا بوادى موسى :

أما عن خطوط سير رحلة بنى إسرائيل من مصر. فإننا نقرأ فى " المقرا" (سفر الخروج ١٣/ ١٧) : " ... إن الله لم يهديهم فى طريق أرض فلسطين مع أنها قديمة ... فأدار الله الشعب فى طريق برية بحر سوف...". ولا مجال هنا للاهتمام بالتفاصيل، التى ترويها هذه الفقرة. ونحن نستنتج من هذه الفقرة ببساطة، أن بنى إسرائيل لم يسلكوا الطريق المؤدى إلى أرض فلسطين، لأنه كان قريباً من مكان الإقامة؛ ولكنهم سلكوا الطريق الصحراوى لكى يصلوا بهذا الطريق إلى "يم سوف". ومشوا حتى وصلوا البحر. والصحراء التى تقع فى وسط الإقليم المصرى، والتى مشوا فيها ثلاثة أيام حتى وصلوا إلى "يم سوف" هى الصحراء العربية، التى ينتهى طرفها عند ضواحى القاهرة الحالية. ومن هنا، يجب علينا أن نتتبع خط سير بنى إسرائيل حتى وصلوا إلى "يم سوف" فى الجنوب منها وليس فى شمالها. فإلى الجنوب من القاهرة يمر فى عرض الصحراء

http://kotob.has.it

الوادى الذى يعرف باسم "وادى التيه" أو "وادى موسى". وإذا ما قلنا أنهم اجتازوا الصحراء العربية فى ثلاثة أيام، فإن هذا يحتم أنهم خرجوا من ـ جوشن ـ التى كانت ضمن منطقة القاهرة الحالية، أى أون القديمة. وهذا الوصف يتفق مع وثائق يوسف بن متتياهو ومع الترجمة السبعينية.

وكما يقول العهد القديم، فإن ثلاثة أيام انقضت منذ أن ترك بنو إسرائيل جوشن، حتى خرج المصريون لملاحقتهم. إذاً لماذا انتظر المصريون حتى وصل بنو إسرائيل إلى " يم سوف"، ولما لم يهبوا لملاحقتهم من قبل؟. إن عملية الخروج من مصر تتضح بناء على خط سير عملية الخروج، حيث نقرأ فى (سفر الخروج ١٤ /٥): " ... فلما اخبر ملك مصر، أن الشعب قد هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب". " ... فقالوا ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا...". إذاً لقد كان هناك حديث سابق عن إطلاق الشعب فى مواقع أخرى من النص ـ فلماذا فجأة " فلما أخبر ملك مصر أن الشعب قد هرب"؟

ولعل الأمور تتضح من الحوار الذى دار بين موسى وفرعون. فموسى يطلب "سفر ثلاثة أيام نسير فى البرية ونسبح للرب إلهنا" (خروج ٨/ ٢٣)، فسأل فرعون: "ومن الذين يذهبون" (خروج ١٠/ ٨) ــ فيجيب موسى: "بفتياننا وشيوخنا". واستمر هذا الحوار، ولكن فرعون رفض، وحينئذ حلت الضربات العشر على المصريين، وفى النهاية يتوسل فرعون موسى ويقول: "قوموا واخرجوا من بين شعبى" ... إلخ

خرجوا عن طريق جبل عتاقة

ما الذى يتضح إذاً من القصة القرائية؟ إن موسى يطلب من ملك مصر أن يوقف العمل لفترة زمنية لكى يحتفلوا بالرب فى البرية ـ البرية قريبة من جوشن. وهى التى أصبحت الآن الصحراء العربية. ثم يوافق فرعون أخيراً، لأنه لم يكن يتصور أنه من الممكن الهروب من البرية فى قلب الإقليم المصرى. ولكن الرواية تقول أنهم تجنبوا الطريق الرئيسى ومشوا فى عرض البرية وظهروا بعد مضى ثلاثة أيام على الجانب الآخر منهم بالقرب من "يم سوف". وكان الممر فى " وادى موسى" الذى يبدأ من منطقة القاهرة الحالية وينتهى بجوار جبل عتاقة. ومن هنا كان طلب موسى" سفر ثلاثة أيام نذهب فى البرية".

http://kotob.has.it

وعندما خرج بنو إسرائيل إلى جبل عتاقة، كانوا قريبين من الطريق الرئيسى فى جزئه البعيد. وعندئذ فقط أدرك المصريون هدف بنى إسرائيل، الآن فقط، وبعد مضى ثلاثة أيام على خروجهم من جوشن، خرج فرعون وراءهم من أجل إعادتهم.

وهذا التضليل من جانب موسى، كما هو واضح، يشكل الأساس التكتيكى للحدث، باعتبار أن جوشن تقع فى منطقة القاهرة الحالية. ويستنتج أنه حدث فى منتصف القرن ١٤ق.م؛ وهو الحدث الذى حولته المرويات الشفهية الإسرائيلية إلى عقيدة تحرر من العبودية، بحيث يجب على كل فرد من أبنائه فى كل الأجيال "أن يتخيل نفسه كما لو كان خارجاً من مصر".

٥ - الخروج من مصر ـ نظرات جديدة

تاهوا أربعون عاماً فى أفريقيا

يوسف إيدلبرج*

لقد اتجه بنو إسرائيل الذين هربوا من بت العبودية فى مصر إلى الغرب وليس إلى الشرق، وقضوا أربعون عاماً فى الصحراء الكبرى وفى دول أفريقيا ثم عادوا إلى آسيا عن طريق باب المندب، وذلك لأن أسماء جميع المحطات الإسرائيلية فى الصحراء هى نفسها الموجودة فى أفريقيا وهناك أيضاً يوجد جبل سيناء.

ولا يوجد بين الأحداث التى يرويها العهد القديم حدث يمكن النظر إليه باعتباره لغزاً كاملاً مثل قضية الخروج من مصر. فقد ورد فى العهد القديم: " وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق أرض فلسطين مع أنها قريبة" (خروج ١٣/ ١٧). ولكننا لا نعرف إلى أين اتجه العبريون بعد خروجهم من مصر. فكل خطوة من رحلة الأربعين عاماً الخاصة بالعبريين من مصر إلى كنعان مدونة فى العهد القديم، ولكن لا يوجد أبداً أى دليل يمكن أن يشكل تعزيزاً للخروج من مصر على النحو الوارد فى العهد القديم. والأدلة الوحيدة والمصدر الوحيد للمعلومات عن هذا الحدث توجد داخل صفحات العهد القديم.

---

* نشرت هذه الدراسة فى صحيفة "معاريف" الإسرائيلية بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٩٧٨م.
وهى عبارة عن فصل من كتاب نشر بالولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٧٨ن تحت عنوان: "ظهور الأسباط العشرة المفقودة" للمؤلف يوسف إيدلبرج.

http://kotob.has.it

ونظراً لأنهم ليس لديهم أدلة قوية، فليس من السهل أن نؤمن بأن قصة الخروج من مصر هى حقيقة مؤكدة. فلابد وأن هناك تفاصيل زائدة عليها وأن الحدث رسخ بعمق فى العقيدة العبرية، لدرجة عدم الشك فى خلفيته التاريخية. ومن المحتمل أن تكون هنا أو هناك أخطاء بسيطة فى تنظيم الأحداث، ويحتمل أيضا أن أسماء الأماكن قد تداخلت مع بعضها، ولكن التفسير كله على وجه العموم، وبدون شك مبنى على الأحداث التى وقعت.

وحسب الرأى الشائع، فإن بنى إسرائيل هربوا من مصر فى أيام الملك رعمسيس الثانى، حوالى ١٢٥٠ق.م. وفى تلك الفترة كانت مصر قد أقامت قصوراً عظيمة على طول نهر النيل وكانت فى حاجة إلى مئات الآلاف من العبيد لهذا العمل: " فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف، ومرروا حياتهم بعبودية قاسية..." (خروج ١/ ١٣ –١٤). وعندما رأى موسى الحياة الصعبة التى يعيشها إخوانه فى مصر، استشار أخاه هارون، وقررا سوياً تخليص العبرانيين من استعبادهم. وبعد أن وافق كل شيوخ بنى إسرائيل، جاء موسى وهارون إلى فرعون وقالا له: " فقالا إله العبرانيين قد انتقانا فنذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا" (خروج ٥/ ٣). فرفض الملك فى البداية أن يطلق العبريين؛ ولكن بعد مفاوضات مستمرة، صحبتها عدة معجزات، وافق شريطة ألا يتوغلوا فى الصحراء أكثر مما يجب.

وبالفعل فى يوم الرابع عشر من شهر أيار الأول، فى منتصف الليل خرج العبريون فى: " سفر ثلاثة أيام فى البرية" ـ ولم يعودوا. ويبدو، كما هو مفهوم أن: " رحلة الثلاثة أيام فى البرية" استخدمها موسى كحجة لحيلته، حيث لم يكن ينوى العودة إلى مصر لكى لا يستعبد الشعب ثانية، وكانت غايته هى إفساح الوقت حتى يبعد الشعب عن قبضة الجيش المصرى الجبار. ويبدو لى أن الطريقة الوحيدة، التى كان يستطيع بها موسى أن يدافع عن العبريين ضد ملاحقة الجيش المصرى له، هو إخراجهم إلى الصحراء الكبرى. ولكن العقبة الأولى فى طريق العبريين إلى الصحراء الكبرى كانت بحيرة كبيرة من المياه العذبة، تعرف فى العهد القديم باسم "يم سوف" ويستحيل أن يكون هذا البحر هو البحر الأحمر، لأن مياه البحر الأحمر مالحة، وذلك لم تكن أوراق بردى تنبت على ضفافها؛ لأن البحر الأحمر لم يكن مؤهلاً لنمو أوراق بردى قبل ٣٢٠٠ سنة، وذلك على نفس النحو الذى هو عليه الآن. ومن ناحية أخرى توجد لدينا أدلة، وهى أنه كانت

http://kotob.has.it

توجد على الضفة الغربية لنهر النيل بحيرة كبيرة من المياه العذبة، حيث كان ينزح فيها جزء من ماء النهر، وكانت البحيرة غنية بأوراق البردى، وكانت البحيرة، فيما يبدو، مسطحة ويمكن عبورها على الأقدام، ولكنها كانت تعتبر عقبة حقيقية بالنسبة لمركبات الجيش المصرى. وهكذا، فإن :" رحلة الثلاثة أيام" أعطت بالتأكيد للعبريين مهلة زمنية كافية لعبور البحيرة سيراً على الأقدام بحيث أنه عندما قرر الجيش المصرى الخروج للمطاردة كان الوقت متأخراً، حيث فاضت البحيرة ـ سواء بالصدفة أو قصداً ـ فغرق الجيش المصرى الذى يطارده. وبعد أن عبر العبريون " يم سوف" بسلام، دخلوا إلى الصحراء الكبرى فى رحلة الأربعين عاماً. ويحصى الإصحاح ٣٣ من سفر العدد الأماكن التى مر بها العبريون فى طريقهم ويصل عددها إلى حوالى خمسون مكاناً، وسنحاول أن نتعقبهم. إننا إذا استطلعنا خريطة أفريقيا، لوجدنا أن:" جبل تاحت" هو أحد العلامات البارزة فى الطريق إلى الصحراء الكبرى، ويقول عنه الإصحاح — ٣٣:" ورحلوا من مقهلوت، ونزلوا فى تاحت"، وبقع جبل تاحت، الذى يبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠م فى منطقة هوجر، حوالى ٢٥٠٠كم غرب مصر. ولكى يقطع العبريون مسافة كبيرة على هذا النحو فلابد أنهم قد استراحوا فى أماكن كثيرة. ويبدو أن المعسكر الأول كان فى "إييلم"، وهى "إيليم" فى التورة :" وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك". وكانت إيليم قريبة جداً من مصر، ولكن يبدو أن المكان لم يكن آمناً فى نظر العبرانيين. وبعد راحة قصيرة واصلوا مسيرتهم إلى "هوآريه"، وهى "فم الحيروث" فى المقرا (خروج ١٤/ ١)، ويمكن أن تكون "فم الحيروث" هى تحريف بسيط للتعبير العبرى "فم الحيروت"، أى "لغة الحرية" ــ ويحتمل أن العبريين عندما جاءوا إلى "هوآريه" شعروا فى النهاية "بلغة الحرية" واستخلصوا لذلك تعبيراً هو الاسم الذى خلد المكان.

معنى عامود النار

وعندما واصل العبريون مسيرتهم من هوآريه، سار الرب أمامهم :" نهاراً فى عامود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلاً فى عامود نار ليضئ لهم، لكى يمشوا نهاراً وليلاً" (خروج ١٤/ ٢١). وفى الفترة التى سار فيها العبريون فى هذه المنطقة، إلى جوار أملوسنة، كان البركان العظيم أمى ـ هوس ثائراً، وكان ارتفاعه يبلغ ٤٠٠م، وعرض

http://kotob.has.it

فوهته ٢٠كيلو متر. أما الآن فقد خمد هذا البركان ولكنه كان ثائراً فى تلك الأيام، وعندما كان يثور، كان يبدو كعامود نار ليلاً وعامود دخان نهاراً، وعندما يشاهد أحد النيران التى تتصاعد داخل فوهة عرضها ٢٠كيلو متر. فمما لا شك فيه أن يكون منظره جذاباً.

وفى الصحراء منطقتان تسميان "أوبرى" وكلتاهما مذكورتان فى " العهد القديم". فعندما رحل العبريون من أملوسنة نزلوا إلى أواى فى أوبرى الجنوبية وهى التى تسمى فى الإصحاح ٣٤ "جزر العبريين"، وهى صورة عبرية لأواى الأوبرية. وقد ذكر الاسم "جزر" فى الإصحاح ٣٥، حيث يعنى "خرابات". ويحتمل أنهم وجدوا هناك أماكن مهجورة، ثم أطلقوا على المكان "جزر"، خربة.

ثم غادر العبرانيون أواى ونزلوا فى مجل (جزيزة مجدل ـ الإصحاح السابع، ثم واصلوا مسيرتهم فى أتبة { هى يطبات ـ الإصحاح ٣٣}، وهى المنطقة التى ذكرت فى سفر التثنية الإصحاح ١٠/ ٧) " أرض أنهار ماء". ولكنها لم تعد الآن " أرض أنهار ماء". ولكن لا تزال هناك مياه كثيرة تكفى حياة السكان المقيمين فى الواحات الصحراوية الكثيرة. وقد اغتسل العبريون فى مياه يطبات واستراحوا، ثم واصلوا مسيرتهم حتى وصلوا وادى إيل، الذى يحتمل أن يكون هو "قبور الشهوة" (َقَبروت هَتَّأوة) التى يتحدث الإصحاح ١١ من سفر العدد بشيء من الإسهاب. ومما لاشك فيه أن عملية السير المستمرة كانت تجربة صعبة جداً بالنسبة للعبريين. ومما لا شك فيه أيضاً أن الكثيرين منهم تذمروا على موسى " قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن " (عدد١١/ ٥ – ٦). وبينما هم متذمرون توصلوا إلى هبة وهى أسراب كبيرة من السلوى ـ " وقام الشعب كل ذلك النهار وكل الليل وكل يوم الغد وجمعوا السلوى". مما لا شك فيه أنهم فرحوا جداً بهذه العطية، وانشغل الجميع فى طبخ السلوى وأكلها. "وإذا كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع حمى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً؛ فدعى اسم ذلك المكان قَبَروت هَتأوة لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا" أو، بالعكس فإن مكان مقابر الذين اشتهوا" دعى "قَبَروت هَتأوه".

http://kotob.has.it

أرض مبتلاة بالأفاعى

إن السلوى طائر شارد، يأتى من أوربا إلى أفريقيا، وليس من المستبعد تماماً، أن أسراب السلوى كانت تصل إلى المعسكرات العبرانية. وخلال السنوات (١٩٣٠– ١٩٣٤) اكتشفت بعثة إيطالية مدينة كبيرة للموتى، عثر بها على ٤٥ ألف مقبرة مبعثرة على طول "وادى إيل" على مسافة ١٦٠كم. ولم تحفر جميع المقابر، ولكن تلك التى تم فحصها تدل على أن وادى إيل كان يسكنه شعب ذو حضارة بربرية تاريخية متقدمة. وعند وصول العبرانيين إلى "وادى إيل"، يحتمل أنهم وجدوا مقابر كتلك، ومن ناحية أخرى يحتمل أن يكون بين كثير من القبور الأخرى قبور "الذين اشتهوا" . وبعد أن دفن بنو إسرائيل موتاهم فى قبروت هتأوه واصلوا مسيرتهم فى شمال منطقة أوبرى، التى تسمى فى المقرا "جبال عَبَاريم" (الإصحاح ٣٣/ ٣٧)، ونزلوا إلى جت، التى تسمى فى المقرا " ديبون حاد" (الإصحاح٣٣/ ٤٥) وبعد أن قضى العبريون فترة راحة فى جت، استأنفوا طريقهم وجاءوا إلى جبال هوجر. التى تسمى فى المقرا " جبل هور" (الإصحاح ٣٤/ ٨). وجبال هوجر هى سلسلة جبلية تمتد على مساحة ٣٧٥ ألف كيلو متر مربع. وتعتبر من أخصب أجزاء الصحراء الكبرى، ويحتمل أن العبريين أخذوها مكاناً للراحة من مشقة السفر الطويل فى الصحراء لكى يستعدوا لمواصلة الرحلة. ولذلك أقاموا معسكراً فى تحت (الإصحاح ٢٦). ومن جبل تحت فى منطقة هوجر مر العبريون على هضبة منبسطة فى تدميت، وجاءوا إلى حاس موإينا (حشمونة) (الإصحاح ٢٩)؛ ومن هناك اتجهوا إلى الجنوب بجوار قهل (قهلتا) (الإصحاح ٢٢) وجاءوا إلى ترحصة (ترح) (الإصحاح ٢٧). ومن ترحصة حيث لا يوجد خطر خارجى من "مناجم الملح". واصل العبريون مسيرتهم إلى الجنوب. ولأن الطريق الصحراوى ممل ومتعب فليس من العجيب أن تضيق نفس الشعب فى الطريق": وتكلم الشعب على الله وعلى موسى: "قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البرية؟" (عدد ٢١/ ٥). ثم كان غضبة الرب، فعاقب الشعب: فأرسل الرب على الشعب" الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل" (عدد٢١/ ٦).

ووادى الأفاعى ليس بعيداً عن تخوم مملكة جنة القديمة، والتى تم القضاء عليها فى القرن ١١ ق.م. ونحن لا نعرف أصل اسم "وادى الأفاعى" وربما يكون قد حفظ فى ذاكرة سكان المنطقة من العصور القديمة. ولكن عندما كتب العالم الجغرافى العربى الإدريسى

http://kotob.has.it

فى القرن ١٢ كتابه "وصف أفريقيا وأسبانيا"، قال " أن الصحراء التى يمر بها المسافرون بها إلى جنة يوجد بها أفاعى كبيرة وغليظة وعجيبة". ويبدو أن المنطقة كانت معروفة منذ زمن بعيد بأنها أرض مبتلاة بالأفاعى؛ وإن الأفاعى التى وجدها العبريون فى الصحراء، كانت الحيات "الطويلة والغليظة" التى يصفها الإدريسى، وكانت بدون شك حيات غير حميدة، ومن حسن الحظ أن موسى كان موجوداً فى المكان؛ وعندما خاف صرخ الشعب قائلاً: " قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصل للرب ليرفع عنا الحيات" (عدد ٢١/ ٧). وصلى موسى لطرد الحيات، وشفى الشعب من لدغة الحيات. ثم واصلوا طريقهم إلى ألسو. وعندما رحلوا إلى ألسو، يبدو أن العبريين أصبحوا على مقربة من أرض الجيرة الغامضة، التى لم ير أحد من قبل مواطن من سكانها، ولم يعرف احد أين تقع هذه البلاد. وقد وصفها الإدريسى بأنها جزيرة كبيرة تبلغ مساحتها حوالى ٢٥٠ — ٥٠٠ كيلو متر، ممتلأة دائماً بمياه نهر النيل (وفى تلك الأيام كانوا يعتقدون أن نهرى السنغال والنيجر هما فرعى نهر النيل). وطبقاً لكلام الإدريسى فإن النهر كان يطغى على الجزيرة كل سنة ويغرقها بكميات كبيرة من الذهب، وعندما تجف المياه يخرج السكان لجمع الذهب ـ كل واحد حسبما يرزقه الله.

مصدر الذهب الدائم

ولم يسكن أهل نيجيريا فى الجزيرة. ويبدو أن منطقتهم كانت مختبئة بين الغابات ومحاطة بالأنهار، لدرجة أنها كانت تبدو كالجزيرة. ولذلك؛ فإن سكان نيجيريا الأثرياء بالذهب، استطاعوا إقامة علاقات تجارية مختلفة مع العالم الخارجى، تجارة صامتة. ويصف الجغرافى العربى المسعودى، رجل القرن العاشر، هذه التجارة قائلاً: " وعلى ضفة النهر كان يقطن الشعب الذى أقام تجارته بصورة نادرة، حيث كان التجار يأتون للاتجار، فيضعون بضائعهم فى ميدان واسع بالقرب من النهر؛ ويعلنون لسكان نيجيريا بأن البضاعة جاهزة للفحص، ثم يبتعدون لمسافة كبيرة، وفى الليل عندما يخيم الصمت على جميع أرجاء المنطقة، يخرج رجال نيجيريا من مخابئهم من عبر النهر، ويضعون بجوار كل وعاء به بضاعة كميات من الذهب، تعادل البضاعة فى رأيهم، ثم يعودون إلى مخابئهم. وعندما يعود التجار فى الغد يقومون بفحص، كمية الذهب التى وضعت بجوار بضائعهم، فإذا اقتنعوا بها فإنهم يحملون كل شئ ويرحلون، وإذا لم يقتنعوا، فإنهم

http://kotob.has.it

يتركون كل شئ فى مكانه، ويصيحون بأصواتهم ثم يختبئون، فى إشارة لرجال النيجر، بأن التجار يطالبون بكميات أكبر من الذهب مقابل بضاعتهم. وعندما تسدد جميع الصفقات، ثم يعود التجار إلى الحافة دون أن يشاهدوا على الإطلاق نقاء بضاعتهم. وكانت البضاعة بوجه عام عبارة عن كتل من الملح المنحوت "ترحصة".

وقد ساعدت وفرة الذهب وكثرة الغابات الاستوائية فى نيجيريا على تأهيل المكان لبناء خيمة الاجتماع. وطبقاً للتفاصيل الدقيقة عن خيمة الاجتماع، فقد دخلت كميات الذهب تقريباً فى جميع الأدوات المقدسة مثل الحية (خروج ٣٨/ ٢٤). وكان من الممكن أن تكون نيجيريا مصدراً ممتازاً للإمداد بالذهب.

ومن التفاصيل أيضاً " طول اللوح عشرة أذرع، وعرض اللوح الواحد ذراع ونصف"، (خروج ٢٦/ ١٦)، فمن الواضح أن بناء خيمة الاجتماع كانت فى منطقة غابات كبيرة. لأن ألواحاً كتلك، والتى يبلغ طولها أربعة أمتار وعرضها ٦٠ سنتيمتراً، يحتمل أن تكون قد قطعت من جذوع الأشجار التى يبلغ قطرها على الأقل متراً. ومثل تلك الأشجار الشامخة لا يمكن أن تكون قد تمت فى الصحارى، وبطبيعة الحال، ولكنها توجد بكثرة طبعاً فى الغابات الاستوائية.

وبعد إتمام المسكن أستأنف العبريون رحلتهم، فعبروا نهر النيجر ونزلوا فى منطقة أسباط أقان ـ التى تسمى فى المقرا بنى يعقان (الإصحاح ٣١). وتقيم قبائل أقان الآن فى دولة غانا، وعندما وصل بنى إسرائيل إلى المنطقة، قطن بنو يعقان أو بنى آقان على ما يبدو بالقرب من المصب العظيم لنهر النيجر.

باب المندب

وفى ارض أسباط آقان ارتحلوا إلى "جدجود"، التى تسمى فى المقرا "الجدجود" (تثنية ١٠/ ٧) و(العدد ٣٣: ٣٣– ٣٤)، ثم واصل العبريون مسيرتهم إلى سكوتو وهى "سُكوت" ـ (الإصحاح ٦)، ثم ارتحلوا إلى قرطوس (هى قادش ـ الإصحاح ٣٦) ثم ارتحلوا إلى أرض بورنوا، التى تسمى " قادش برنيع" وهى قوطوس بورنو، بلغة المنطقة (تثنية ١/ ٢٠). ثم ارتحلوا من برنيع إلى موقولو (مقهالوت ـ الإصحاح ٢٥)، ومن هناك جاءوا إلى موسورو (موسروت ـ الإصحاح ٣٠) ومن هناك جاءوا إلى قورطورو. ولم يذكر هذا ذلك المكان فى المقرا. ولكن يبدو أنه يعنى فى لغة المنطقة " برعانيق" (ثور عانيق)،

http://kotob.has.it

وليس من المستبعد أبداً أن من هنا نبعت قضية العجل الذهبى، وليس من المستبعد أيضاً أن قروطورو هو المكان الذى يسمى "حوريب" فى سفر التثنية. فهو ليس بعيداً عن بركان أميقوس. حيث يلائم وصف "الجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب" (تثنية ٤/ ١١). فصعد موسى الجبل بأمر من الرب، ومكث هناك أربعين نهاراً وأربعين ليلة. " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل، فاجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل، الذى أصعدنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه" (خروج ٣٢/ ١). وكانت خطيئة العجل الذهبى خطيرة فى نظر الرب. وكان الرب بل وموسى غير مستعدان للعفو عن هارون. فمات ودفن فى موسور (موسير ـ تثنية ١٠/ ٦)، وهى ليست بعيدة عن قورطورو حيث اخطأ بصنعه العجل الذهبى. فبعد أن دفن العبريون هارون، رحلوا من قروطورو ونزلوا إلى أردة (حردة ـ الإصحاح ٢٤). ثم جاءوا إلى مبا (الإصحاح ٨) ثم مروا على جبل باشار (جبل شبار الإصحاح ٢٣). ثم جاءوا إلى أوبوت (الإصحاح ٤٣) ومن هناك جاءوا إلى جبال فونان ـ التى تدعى مرتفعات فونون فى أمهاريت و فنون (فى سفر العدد ٤٢). والآن يبقى لهم أن يعبروا فقط البحر الأحمر من مضيق باب المندب، لكى يعسكروا مرة واحدة فى داؤقا (وبالفعل أقاموا فى دفنة ـ الإصحاح ٢١) ــ وهكذا تنتهى الرحلة وبعد أربعين سنة من التشرد وصل بنو إسرائيل إلى أرض كنعان.

كيلو متر ونصف فى اليوم

وهنا نلفت النظر نظر القارئ إلى، أن نظام الأسماء الواردة فى الخريطة لا يتفق مع نظام الأسماء فى الإصحاح ٣٣ من سفر العدد. وليس من الصعب أن نفهم هذا إذا ما تذكرنا أن قضية الخروج من مصر ثم تناقلها عدة مرات على مر الأجيال قبل تدوينها. ولكن الأمر الطبيعى هو أن القصص القائمة على الشريعة الشفهية يوجد بها تحريفات عن المصدر الأصلى.

وقد استمرت رحلة العبريين من أرض مصر إلى أرض كنعان حوالى أربعون سنة تحوى ١٤,٦٠٠ يوم. وقد قطعوا فى هذه الفترة حوالى ٢٠ ألف كيلو متراً ـ نصف الكرة الأرضية. ولذلك كانوا مضطرين لأن يسيروا بسرعة لا تقل عن كيلو متراً واحداً فى اليوم.

http://kotob.has.it

وبعد الخروج من مصر بفترة قصيرة قسم موسى العبريين إلى ١٢ سبطاً، وكان جميع المعدودين ست مئة ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ — ٥٠ سنة (عدد ١/ ٤٦).

وإذا كان جمع مثل هذا يسير على هيئة ثمانية صفوف، ويفصل بين الصف والصف الذى يليه مسافة تبلغ متراً. لامتدت الرحلة على مسافة تبلغ حوالى ٧٥ كيلو متراً، حيث أن "مسيرة" العبريين فى الصحراء كانت تضم نساء أيضاً، وأطفال، وبهائم ومما لاشك فيه أن الطابور كان أطول بكثير. ومسيرة كتلك كان من المستحيل أن تحدث لفترة أربعون سنة فى المنطقة، التى نسميها الآن سيناء.

٦ ـ عواصف شديدة أظلمت النهار*

آريه إيسار

ينكر معظم علماء الآثار والمؤرخين، بشكل شبه قاطع، تلك الأحداث التي صاحبت قصة الخروج من مصر، لدرجة أن أكثرهم تطرفا، وهم أنصار المدرسة السوسيولوجية، يعتقدون أن أحداث دخول بني إسرائيل مصر، والخروج منها، واستيطان أرض كنعان، لم تقع قط، وأن كل ما حدث، هو تمرد طبقات منحطة ضد مضايقيها في أرض كنعان القديمة. أما القصة المقرائية، فهي مجرد كتاب وضعه مؤلف فى فترة الهيكل الأول؛ بهدف اختلاق ملحمة قومية .

ويتفق الباحثون الأقل تطرفا، على أن أسباط بني إسرائيل، قد نزحوا إلى مصر إبان حكم الهكسوس في بداية القرن السابع عشر ق.م. وبعد انتهاء الحكم الأجنبي عادت الأسباط أدراجها، وفرضت سلطتها على أرض كنعان؛ من خلال عملية تسلل بطيئة استمرت عدة أجيال. أما ما اتفق عليه كلا المعسكرين من الباحثين فهو إنكار المعجزات التي وقعت للخارجين من مصر؛ حيث لم يسبغوا عليها أهمية علمية. وكان هذا هو نفس رأيي في الموضوع قبل أن أغيره؛ بسبب ظهور بعض الاكتشافات المدهشة، سواء بعد البحث الذي أجريته على منابع المياه في سيناء بعد حرب ٦٧، أو البحث الجديد الذي أعمل به الآن عن تغيرات المناخ. إن تلك القصص تبدو لي الآن كصدى لسلسلة من

* نشرت هذه الدراسة في صحيفة "ها آرتس" الإسرائيلية بتاريخ ٣ / ٤ / ١٩٩٦، ص ٧ .

http://kotob.has.it

التجارب العديدة التي خاضها أجدادنا منذ ما يقرب من ثلاثة آلاف وبضع مئات من السنين. وقد انتقلت تلك القصص، من الآباء إلى الأبناء، ومن جيل إلى جيل، حتى قرر ملوك بني إسرائيل في عصر معين، تجميع تلك القصص وتدوينها.

ولا شك أنه قد حلت بعض التغيرات على تلك القصص خلال هذه الفترة؛ لأن عملية التجميع، والتدوين كانت تتم بشكل يتلاءم مع تصور الملوك والكهنة والكتاب . ولكن بالرغم من معيار الزمن الذي يؤدي إلى تشويش الحقائق، فإنني مقتنع بوجود أصل تاريخي لتلك القصص. وقد بدأ اقتناعي بهذا الأمر بعد حرب ٦٧، بعد ظهور عدة اكتشافات في منطقة البحر الميت والبادية، أدت إلى افتراض وجود تجمع مائي مغلق تحت أرض سيناء. ولهذا نظمت بعثة لكي تأخذ عينة من هذا التجمع.

وعندما وصلنا إلى منطقة عيون موسى شرق قناة السويس، والتي تنبع من عمق هائل بطول شق جيولوجي، قمنا بتذوق المياه، وإذا بها ذات طعم مر. وقد أوضح التحليل الكيميائي لها أنها تحتوي على نسبة ضئيلة، ولكنها ذات أهمية، من الملح الإنجليزي (سلفات ماغنيسيوم). وهذا الملح يميز كل المياه في هذا التجمع، والذي يمتد حتى البادية. ومازال سكان البادية يتذكرون هذا الطعم، كما يتذكرون تلك المياه المسببة للإسهال، في الفترة التي سبقت وجود محطات لتحلية مياه الشرب.

وعندما تذوقنا تلك المياه للمرة الأولى في عيون موسى تذكرت الفقرة التي تقول : "فجاءوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر لذلك دعي اسمها مارة" (خروج ١٥ : ٢٣). ولعل تأكيد القصة القرائية على أن المياه كانت مرة وليست مالحة، هو الذي دفعني إلى الاعتقاد، بأن هناك من مر بهذا المكان منذ عدة أجيال، واضطر للشرب من تلك المياه، ثم حكى لولده، الذي حكى بدوره لولده، وهكذا دواليك.

في تلك الفترة، بعد حرب ٦٧، اقتضت الضرورة البحث عن مياه في جبال الجرانيت جنوب شبه جزيرة سيناء. وقد أظهر الاستطلاع الأول في جزيرة سانت كاترين أن صخور الجرانيت متصدعة للغاية، وأن متوسط معدل الترسيب السنوي هناك حوالي ٨٠ ملليمتر، حيث تتسرب مياه الأمطار سريعا إلى التصدعات، وتتراكم تحت الأرض، ثم تخرج من بين الهضاب كينابيع صغيرة . وقد اكتشف ترسيب جيري من الأملاح التي كانت ذائبة في مياه تلك الينابيع، مما أدى إلى إغلاق الصدع، وسد الينابيع في بعض المواضع .

http://kotob.has.it

ولقد اعتاد بدو قبيلة "الجبلية" تعقب تلك الصدوع إلى أن يصلوا للمكان الذي تنكسر فيه صخور الجرانيت بجوار جدار صخري هش. ويؤدي ثقب الجذور الهشة التي تجاور الصدع إلى الوصول لنبع المياه المترسب في هذا الموضع.

وكنت في أثناء تجوالي في المنطقة، أسمع أحيانا أصوات معاول البدو، تحفر في الصخور؛ لاستخراج المياه، حينئذ كنت أتساءل عن انطباع البشر الذين اعتادوا على الحياة على ضفاف النيل، أو أحد روافده، وكانوا يستقون بكل بساطة من تلك الروافد، عندما يأتون أرضا قاحلة، وكلما أرادوا مياه، كان لزاما عليهم أن يحفروا في الصخر لاستخراجها.

سأصف هاهنا إحدى التجارب التي مرت بي في سيناء، أثناء التنقيب عن المياه في منطقة "رأس نصراني" شمالي شرم الشيخ. فقد تجرأت ذات يوم على دخول إحدى الملاحات بسيارتي "الجيب"، وذلك بعد أن قمت بفحص القشرة الحجرية، التي تغطي المنطقة، عن طريق التجول فيها على الأقدام، وتأكدت أنها صلبة بما يكفي. ولكن اتضح لي أن القشرة التي مشيت عليها (ولا أعد من ضمن خفيفي الوزن) لم تحتمل ثقل السيارة، التي غاصت حتى إطاراتها. وعندما صرخت طلبا للنجدة، أدركت الخطأ الذي وقع فيه المصريون القدماء، عندما حاولوا مطاردة الهاربين إلى داخل الملاحة.

غير أن تلك الانطباعات لم تمنعني من التشكك في المغزى التاريخي لقصة الخروج من مصر، وقد أيدت مقولات علماء الآثار، تلك الشكوك عندما تحدثوا عن عدم وجود اكتشافات أثرية إسرائيلية في سيناء، ترجع لتلك الفترة، وكذلك عدم ورود أي ذكر لقصة الخروج من مصر في أية وثائق مصرية ــ باستثناء الإشارة التي وردت على نقش مرنبتاح (الأسرة ١٩ ــ حوالي عام ١٢٣٠ ق.م)، والتي تشير إلى محاربة إسرائيل وإبادته.

لكنني غيرت رأيي، في إثر نتائج بحث قمت به في العقد الأخير، تحت رعاية منظمة اليونسكو، والذي كان يهدف إلى تقدير اثر ارتفاع حرارة المحيطات (نتيجة ارتفاع منسوب الغازات الصناعية في الجو) على مصادر المياه في العالم. وكان المبدأ الأساسي لهذا البحث هو :" أن الماضي مفتاح للمستقبل". وهكذا تم فحص الشواهد المختلفة، التي تجمعت بخصوص التغيرات المناخية في العصور التاريخية وأثرها على مصادر المياه في تلك العصور.

http://kotob.has.it

ومن خلال البحث تبين أنه، في فترة نزوح الآباء وبني إسرائيل من مصر، أي في نهاية الألف الثانية ق.م، كانت هناك حالة من الارتفاع الحراري والجفاف في الشرق الأوسط كله. وفي مقابل ذلك كانت فترة تحرير مصر من الهكسوس، والتي بدأت منذ عام ١٣٠٠ ق.م وحتى ٩٠٠ ق.م تقريبا، هي فترة شديدة البرودة. وهناك عدة اكتشافات اعتمد عليها تكرار تأثير التغير المناخي، سأذكر فيما يلي بعضا منها.

على سبيل المثال، يرجع اجتياح الرمال للسهل الساحلي في فترة الحكم الإسلامي، إلى ارتفاع حرارة الإقليم. ويجدر بي الاعتراف هنا بأن، تغير رأيي بخصوص قصة الخروج المقرائية، يستلزم أن استعيد النتيجة التي توصلت إليها في بحث الدكتوراه، الذي أعددته في الخمسينيات، حول مصادر المياه في السهول الساحلية (ولكن نظرا لأنها لم تكن النتيجة الرئيسية في البحث، فأتمني ألا تسحب مني درجة الدكتوراه).

لقد أتضح لي وقتها أنه توجد تحت الكثبان الرملية، طبقة من الأرض الطينية الخصبة، والتي تحتوي على شظايا طينية ترجع للعصر الروماني ــ البيزنطي. ويستنتج من هذا الاكتشاف أن اجتياح الرمال، تزامن مع دخول العرب للمنطقة. ومن أجل تفسير هذا الاكتشاف الحديث قرأت بعض المقالات والكتب التي وضعها علماء آثار بحثوا في موضوع نزوح السكان من النقب في فترة الحكم العربي، وأتضح لي أنهم اتفقوا على أن خضوع "أرض إسرائيل"، الذي بدأ في القرن السابع الميلادى، قد حدث بسبب اجتياح العرب.

وطبقا لهذا الرأي، قمت بتفسير اجتياح الرمال على أساس أن المحتلين العرب قد تسببوا في تدهور الزراعة، وبهذا هدموا السد الذي يقف في سبيل اجتياح الرمال الآتية من البحر. ولكنني غيرت رأيي بعد حرب ٦٧، عندما أتضح لنا أن هذه أن هناك مياه جوفية تحت أرض سيناء، وقد تراكمت هناك في العصور الجليدية قبل التاريخ، حين هطلت الأمطار في تلك المنطقة ووصلت للجنوب حتى منتصف سيناء. حيث تلت العواصف الرملية الشديدة أمطار غزيرة، وأدى المطر إلى إغراق تلك الرمال التي تجمعت عبر عشرات الآلاف من السنين، في طبقات نجدها في النقب و سيناء. وقد أوضحت تلك الاكتشافات أنه مع انتهاء العصر الجليدي، وبدء ارتفاع الحرارة (منذ حوالي ١٥ ألف سنة) قلت تلك العواصف بل وكادت تتوقف، وبدأت الكثبان الرملية في التغلغل لشمال سيناء والسهل الساحلي.

http://kotob.has.it

وعندما توصلت إلى تلك النتيجة، تساءلت عن احتمال كون اجتياح الكثبان للسهل الساحلي في نهاية العصر البيزنطي ليس سوى نتيجة لارتفاع حرارة الإقليم وتصحر المنطقة . وهنا نتساءل أنه ربما لا يرجع تصحر النقب للبدو، ولكن بسبب التغير المناخي الذي حدث في نهاية العصر البيزنطي. وإذا كان هذا الافتراض سليما، حينئذ يكون اجتياح الكثبان الرملية وتصحر النقب هما وجهان لنفس الظاهرة المناخية.

ولكي أعضد ذلك الافتراض، بدأت في جمع المعطيات من عدة أبحاث مختلفة، عن منسوب المياه في البحر الميت. وقد أكدت الاكتشافات أنه في العصور التاريخية التي يفترض أنها باردة وممطرة، ارتفع منسوب مياه البحر الميت، بينما انخفض ذلك المنسوب في العصور الحارة واليابسة، إلى درجة جفاف الجزء الجنوبي من البحر. وفي نفس الوقت أظهرت البحوث الأثرية، التي أجريت على بقايا التجمعات بطول السهل الساحلي، أنه في العصور الباردة الرطبة، هبط منسوب المياه في البحر المتوسط نتيجة لهبوط منسوب المحيط ــ في إثر تجمع كتل جليدية ــ وعلى العكس، في العصور الحارة ارتفع المنسوب بسبب انصهار الكتل الجليدية . كما أظهر لقاح النباتات في قاع البحيرات، وتركيب نظائر الأكسجين في أعماق بحيرة طبرية أن جدول التغيرات المناخية الذي اقترحته مازال ساريا.

وفي ذات الوقت طلب مني اليونسكو تقديم بحث حول تأثير المناخ، على مستقبل مصادر المياه، وكانت فرصة سانحة لجمع معطيات حول عدة مناطق أخرى. وهنا أتضح أن التغيرات المناخية تحمل مغزى عالمي؛ فإذا كان ارتفاع الحرارة في المناطق الواقعة تحت تأثير الرياح الموسمية، مثل الصين، يعني ازدياد الأمطار، بينما تجلب العصور الباردة معها القفر والمجاعات .

لقد أظهرت الاكتشافات أن الفترة من حوالي ٢٠٠ سنة قبل الميلاد، كانت فترة حرارة وتصحر في تلك المنطقة، وإذا تأملنا الشواهد التاريخية، عندما اجتاحت قبائل "الأموري" بلاد الرافدين، وحطمت مملكة أشور، سنجد أنه في نفس الوقت حدث عملية تمليح للتربة، وقد اتهم علماء الآثار جماعات "السومريين" بأنهم بلغوا في عمليات الري. ولكن التفسير الحديث لا يتهم السومريين، بل المناخ الذي تسبب في انخفاض تدفق دجلة والفرات، ونقص مياه الري، وازدياد الأملاح.

http://kotob.has.it

وتتحدث المقرا عن تلك الفترة المقفرة، التي تسببت في هجرة الآباء إلى مصر، وكانت مصر في تلك الفترة، وفقا للنموذج المناخي الحديث، أكثر خصوبة لأن النيل كان يختزن مياه أمطار الرياح الموسمية، وليس أمطار البحر المتوسط، وكانت تلك الأولى تشتد كلما ارتفعت حرارة المناخ.

ولكن ما أدهشني، هو أن المعطيات المتاحة أشارت إلى أنه، قد بدأت فترة باردة للغاية حوالي عام ١٣٠٠ ق.م، واستمرت حتى عام ٩٠٠ ق.م . وقد تسببت تلك الفترة، على ما يبدو، في اتجاه العواصف المطرة إلى الجنوب، وقد أعقب ذلك هبوب عواصف ترابية شديدة على صحراء ليبيا ومصر، أدت إلى إظلام النهار، ثم هطلت بعدها أمطار غزيرة، تصحبها عواصف رعدية، مع ظهور برق وبَرَد. وقعت تلك الأحداث في الشتاء، ولكنها استمرت حتى منتصف الربيع. وتسببت العواصف في حدوث فيضانات قوية في شمال مصر، وتدفقت المياه من الجبال إلى النيل.

إن النيل يكون صافيا نسبيا في الشتاء، لأن مياه الفيضانات تأتيه في فصل الصيف من المنطقة الاستوائية، ومن جبال الحبشة، ويأتي معها طمي الأرض السوداء ــ التي سميت بالمصرية القديمة "كاما"، أي أسود. أما الفيضانات التي تنتج عن العواصف الآتية من البحر المتوسط فتجلب معها طمي الأرض الحمراء، والتي تسمى بالمصرية القديمة "رشرط"، أي أحمر. ويمكن للقارئ أي يتخيل رد فعل المصريين، عندما تلون النيل فجأة باللون الأحمر في الفترة التي يجب أن يكون النيل فيها صافيا، بعد أن ركد الطمي الأسود فيه.

لقد تسببت الرطوبة التي تجلبها العواصف أثناء الجفاف، في اجتياح جماعات من الضفادع، كما شوهدت تلك الظاهرة في النقب. ونكاد نجزم أيضا أن تلك الرطوبة، قد تسببت في تفشي الأوبئة والأمراض الجلدية . وبحسب ما سمعت من طبيب بيطري خبير، أن ارتفاع نسبة الرطوبة يمكن أن يؤدي إلى تفشي حمى الوادي المتصدع، وموت الأبقار والأغنام. كما أثبتت الأبحاث التي أجريت على الجراد، أنه يزداد انتشارا بعد مواسم الشتاء، التي تكون الصحاري فيها رطبة للغاية.

ولا أظن أنه يجب تفسير كل ضربة من الضربات العشر، حيث سبق الحديث عنها منذ زمن طويل، ولكن يمكن أن نستنج إجمالا أن وصف الضربات العشر، هو وصف لمجمل الأحداث، البيئية التي شهدتها مصر في تلك الفترة التي واكبت انخفاضا عالميا في درجات الحرارة.

http://kotob.has.it

لقد تسببت غزارة الأمطار واتجاه العواصف جنوبا، في تحول صحراء سيناء إلى اللون الأخضر، مما دعا زعيما مجتهدا لأن يقنع بني شعبه بترك الأرض التي تعذبوا فيها، ومحاولة العودة للأرض التي قال الآباء أنها تدر لبنا و عسلا. وبينما سارت الأسباط في طريق الخروج من مصر كان جيش الفرعون يطاردهم، ثم نجحوا في الوصول لمستنقعات منطقة البحيرات، تلك المنطقة التي تنبع منها الأنهار نتيجة لتفجر المياه في الأعماق، وتلك الأنهار محاطة بالبوص (إن "بحر سوف" في لغة "المقرا" هو أيضا كيان مائي كبير).

وقد تسببت العواصف الترابية، التي سبقت العواصف المطرة، في تعطيل تقدم المطاردين، ومع دخول الفارين إلى منطقة المستنقعات، نجحوا في اجتياز المنطقة فوق طبقات الملح والجبس اليابسة، والتي تكونت بسبب رياح الجنوب اليابسة. وعندما أراد المصريون عبور منطقة المياه، دخلوا مرغمين إلى المستنقعات في إثر الهاربين، فانغرزت المركبات في طبقات الملح والجبس وصارت تدور بصعوبة، وفي أثناء ذلك وصلت العواصف المطرة لذروتها، مصحوبة بالبرق، وهطل مطر غزير على المنطقة، فأغرق المستنقع وبداخله جماعة المطاردين.

وقد ترك هذا التسلسل في الأحداث، انطباعا عميقا لدى الهاربين، وصلتنا أصداؤه عبر القصة التوراتية. ولا شك لدي أن هذه النظرية لن تلاقي استحسانا لدى العلماء الذين يرفضون التعامل مع قصص المقرا باعتبارها مادة علمية. ومن ناحية أخرى، ستهاجمني الدوائر الدينية باعتباري أكفر بالمعجزات. أما العلماء فردي عليهم هو أنني كعالم، أحاول التغلب على أفكار قديمة، وضعها علماء علمانيون، أما رجال الدين، فردي عليهم هو أنه، من الناحية العلمية، لا يمكنني الاستعانة بالمعجزات الإلهية لتفسير الظواهر الطبيعية، لأنني إذا فعلت ذلك لن يبقى لي ما أصنعه.

http://kotob.has.it

٧- المصريون اعتبروهم من البربر

ميرف نيشر

هناك، في المنطقة الخصبة بشرق دلتا النيل، توجد فيلا مبنية على طراز بلدان البحر المتوسط، وهذه الفيلا البيضاء التي تشذ عن طراز المعمار في المنطقة، يملكها وفد للتنقيب عن الآثار، يرأسه البروفيسور "مانفريد بيتك"، من جامعة فيينا، وقد رأس عالم الآثار النمساوي، إحدى بعثات التنقيب الطويلة، التي ذهبت إلى مصر منذ ثلاثين سنة، في موقع "تل الضبعة"، وأكدت الحفريات أن هذا التل، كان عاصمة لأسرة الهكسوس.

وفى تل الضبعة، لا يمكن رؤية بقايا أثرية كثيرة واضحة، حيث جرت العادة تغطية بقايا المناطق المحفورة في مصر، بعد الانتهاء منها، لكي تعد للزراعة. وهكذا غطيت معابد الهكسوس بعد الانتهاء من تنقيبها. وفي هذا الشهر يبدأ موسم التنقيب القادم، وسيقوم طاقم البروفيسور "بيتك" باستكشاف القلعة والقصر. ويعمل الطاقم في ظروف قاسية، حيث يصعب العثور على الآثار في الأرض الطينية، ويستلزم الأمر سحب المياه، كما أن هناك صعوبات أمنية تضايق العاملين، وقد توقف الحفر إبان حرب ٦٧.

إن الهكسوس، جماعات سامية، هاجرت من منطقة أرض كنعان، وما حولها في عصر الأسرة ١٢، ١٣ المصرية (أي منذ بداية الألف الثانية، وحتى القرن ١٨ ق.م). وفي القرنين ١٧، ١٦ ق.م، استوطنوا صعيد مصر وأقاموا "مملكة الدلتا". وطبقا لسفر الخروج، تعتبر منطقة نفوذهم، هي المكان الذي استقر به بنو إسرائيل وعرف باسم أرض "جاسان".

ويرى البروفيسور اليعيزر أهارون (قسم "المقرا"* ودراسات الشرق القديم في جامعة بن جوريون، ورئيس أكاديمية كندي لآثار الشرق القديم) أن المصريين اعتبروا الهكسوس غزاة أجانب، احتلوا مصر في إحدى فترات التدهور، كما اعتبروهم من البربر. ومال الباحثون كذلك لوجهة النظر المصرية، وهكذا ظلت المعلومات الواردة عنهم مغلوطة. ولكن في السنوات الأخيرة، أثير موضوع الهكسوس، ومنطقة "تل الضبعة"، التي تعتبر المصدر الرئيسي للمعلومات الأثرية الخاصة بتلك الثقافة .

---

* "المقرا"، هي الاسم العبري لكتاب العهد القديم، ويشمل التوراة (أسفار موسى الخمسة)، وأسفر الأنبياء وأسفار المكتويات (٢٤ سفرا).

http://kotob.has.it

أنشأ ملك مصر "حيتي"، (الأسرة ١٠)، مدينة "أورايس" في الألف الثالثة ق.م . ثم دمرها أمنمحات الأول،(الأسرة ١٢). ويحتمل أن ملوك تلك الأسرة قد شجعوا هجرة الجنود المرتزقة من كنعان. وفي نهاية تلك الأسرة، في القرن ١٨ ق.م، استوطن بعض أهل كنعان في تلك المنطقة. ويعتقد "بيتك" أن الجند استخدموا كجنود مرتزقة، أما القادة فقد حكموا المنطقة. وما أن حكم الأجانب الساميون منطقة الدلتا، حتى تحولت المدينة عاصمة للأسرة ١٥ التي تنتمي للهكسوس، والتي حكمت صعيد مصر، وجنوب أرض كنعان، ومنتصفها لقرن من الزمان، ما بين ١٦٥٠ ــ ١٥٥٠ ق.م.

وكان يوسف بن متتياهو، هو أول من ربط بين الهكسوس وبني يعقوب، الذين هبطوا إلى مصر، ولكن وجهة نظر الباحثين اختلفت الآن. فمثلا يرى أهاورن أنه :"لا يجب اعتبار، أن الهكسوس هم بنو إسرائيل، لأنه لم يتم العثور حتى الآن على إثبات أثري لقصة بني إسرائيل "المقرائية". ولكن في كلتا الحالتين، تستخدم نفس عناصر القصة، من نزوح أهل كنعان والبدو إلى مصر في أيام المجاعة، واندماجهم مع الجماعة البشرية والكيان السياسي للمنطقة . حيث تتكرر هذه الظاهرة منذ فجر التاريخ وحتى الآن".

وقد امتدت عاصمة المملكة الكبيرة على مساحة أكثر من ٢٥٠٠ دونم، وأنشئ فيها ميناء كبير رست فيه مئات السفن، التي كانت كنعانية على ما يبدو. ومما يثبت هذه الحقيقة الاكتشافات الآثرية، ونصب "كامس" التذكاري، (المعروض في متحف بالأقصر)، الذي يصف كيف استرد كامس ــ آخر ملوك الأسرة ١٧ في صعيد مصر ــ المدينة بعد حصار طويل.

وقد كان سكان مدينة "أواريس" مختلفي الجنسيات، وكان معظمهم كنعانيين، أو من بدو سيناء، مصريين، وآخرين. ويرى "بيتك" أن الرجال كانوا أصحاب مهن، كانوا بحارة، جنود مرتزقة، فنانين، حدادين. كما كان أكثرهم من أسرى الحرب، ومن العبيد الذين جلبوا من آسيا، واستخدموا كعمالة رخيصة. أما النساء فقد جئن من منطقة أخرى، أو كن من أهل المنطقة.

ويشهد الطراز الكنعاني لأحد المعابد الضخمة في المدينة على العنصر الكنعاني الغالب في السكان. وقد تم الكشف كذلك عن قبور وضعت بها عظام حمير، وهو أسلوب دفن كنعاني تم ذكره على سبيل السخرية في "المقرا". ومع ذلك فقد اكتسب الهكسوس بعض تأثيرات الثقافة المصرية، وتم الكشف عن قبور بها جعران وأوان خزفية.

http://kotob.has.it

وقد تأثر الهكسوس بالثقافة المصرية، بوجه خاص، في معبد الآلهة (البانتيون). وجلبوا معهم من كنعان عبادة البعل، الذي يساوي الإله "ست" المصري (إله الصحراء والعواصف)، وعبادة النار. ومن بين المكتشفات في المدينة، خاتم عليه صورة الإله السوري "بعل صافون"، والذي كان إله العاصفة، وقد انتشرت عبادته في الدلتا، ويشهد على ذلك اسم إحدى المحطات في طريق الخروج من مصر "بعل صافون".

وفي منتصف القرن ١٦ ق.م، أغار "كامس" على أواريس، وطرد الهكسوس منها. ويشير "بيتك" إلى عدم وجود دليل على حدوث دمار شامل، ويبدو أن سكان المدينة قد هجروها بالكامل. وقام "أحمس" أول ملوك الأسرة ١٨ باستكمال طرد الهكسوس، وبنى قصرا مصريا على أنقاض قصر الهكسوس. ولم يتم اكتشاف هذا القصر بعد، إلا أنه تم العثور على بعض أجزاء منه مؤخرا في "تل ــ الضبعة"، وهي عبارة عن آلاف القطع من جدار مكسو بالملاط، وتوجد عليه لوحات جدارية من الملاط، وكانت تزين القصر، وتنتمي هذه اللوحات للطراز المينيوي (وهي ثقافة انتشرت في العصر البرونزي)، وتتناول هذه الصور، مصارعة الثيران وألعاب البهلوانات.

ويرى "بيتك" أنه في ايام حكم "أحمس" اتسعت المملكة وتوطدت الصلات بين البلاط الملكي المصري وبين البلاط الملكي في "كنوسوس"، العاصمة المينوية، ويحتمل أن هذه العلاقات قد توجت بالمصاهرة . كما يرى "بيتك"، أن الصلة بين مصر وبلدان البحر المتوسط بدأت في فترة الهكسوس. بينما يرى "أورن" أن "أواريس"، كانت إحدى مراكز "السوق المشتركة"، في حوض البحر المتوسط. وكذلك تم اكتشاف آنية في حفريات "تحوشا" ــ عاصمة "الحيتيين" في بلد الروم "الأناضول" ــ مدون عليها اسم "حيان"، وهو من ملوك الهكسوس. كما اكتشفت بقايا لوحات جدارية على الطراز المينوي بين أطلال أحد القصور في سوريا.

وبعد فترة من التدهور، انتعشت المدينة من جديد في أيام "رمسيس الثاني" (الأسرة ١٩ ــ القرن ١٣ ق.م)، وأصبحت عاصمة الدلتا، وأطلق عليها "بيرعمسيس". ويعتقد الباحثون أنها هي مدينة "رعمسيس" "المقرائية".

http://kotob.has.it

٨- الدين والسياسة فى دولة المكابيين اليهودية

سعى أنطوخيوس الرابع إلى تحقيق تماسك إمبراطوريته عن طريق ربط مشترك بواسطة الحضارة اليونانية. و كانت سوريا، قلب الإمبراطورية، تمتد من الساحل و نهر العاصي إلى نهر الفرات، بما في ذلك المدن اليونانية و هي: إنطاكية، سلوقيا، ولاديكيا، (اللاذقية الحالية)، وأباميا. و في فلسطين تحول السهل الساحلي إلى منطقة يونانية امتدت عليها المدن اليونانية : بطليموسية (عكا الحالية)، أبولونيا، و بويا (يافا)، وأزوتس (أسدود) وعسقلان وأنتيدون، وغزة ورافيا (رفح) واستوبولوس (بيسان). و كانت هذه المدن تضم كثيرا من السكان اليونانيين.و أعيد بناء سيبيت (السامرة) على النمط اليوناني، و كان في شرق الأردن عشر مدن يونانية (أطلق عليها اسم ديكابولس) هي: فيلادلفيا (عمون أو عمان الحالية)، وجدار (أم قيس)، و هيبوس، وبوسرا . و كان هذا التدفق اليوناني سببا في تغير التكوين السلالي لسوريا و لبنان و السهل الساحلي في فلسطين حتى يومنا هذا[١].

و كانت يهودا دولة معبد، و كان هناك كثير مثلها في الإمبراطورية و كان الحاخام الأكبر يلتزم بالضرائب الإمبراطورية للحاخام السلوقي . ويعزى التدخل السلوقي إلي دسيسة يهودية محلية، حين تشاجر شمعون (سيمون)، أحد موظفي المعبد، مع أونياس الثاني الحاخام الأكبر، واقترح على الحكومة السلوقية أن تستولي على كنوز المعبد، فهوجم الضابط، الذي أرسل للتحقيق في ذلك الأمر وأصيب بجراح نتيجة لذلك.

و في أثناء ذلك، كان صبغ أورشليم بالصبغة اليونانية قد بدأ على أيدي اليهود أنفسهم، و لم يكن ذلك من قبيل التنكر للديانة اليهودية، بل لأن اليونان كانت هي الدولة القائدة في ذلك الوقت، (على نحو ما أصبحت عليه الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى ذلك فإن تقليد اليونانيين كان يعتبر تعصرا، و عدم تقليدهم يعتبر تخلفا و تأخرا.

و سرعان ما بدأت مكيدة أخرى، لقد أغرى جاسون (لاحظ الأسماء الإغريقية) شقيق أونياس الثاني، الحكومة السلوقية لتنصيبه حاخاما اكبر (الكاهن الأعظم) في المنصب الذي كان يشغله شقيقه. ولقاء ذلك يؤيد الذين يريدون إدخال الهللينية إلى أورشليم.

١- تاريخ كمبريدج القديم، المجلد السابع، الفصل الخامس.

http://kotob.has.it

وأخذ الفتية اليهود يلبسون القبعات اليونانية (قبعة الإله عطارد) و يزاولون الألعاب الرياضية و هم عراة في (الجيمنيزيوم)، مما أثار سخط اليهود المحافظين المتزمتين، لأن أبناء شعوب الشرق الأدنى القديم كانوا شديدي التحفظ و التزمت بالنسبة لعري أجسامهم. كما اشترك وفد يهودي في احتفال هرقل في صور. وهكذا، فإن مبادرة صبغ أورشليم بالصبغة اليونانية لم تكن فكرة انطوخيوس، بقدر ما كانت بمبادرة من فئة من اليهود أنفسهم[1].

و في عام ١٧٢ ق.م، أحس أنطوخيوس بنية بطليموس غزو فلسطين فتحرك على رأس جيش إلى يوبا، و زار أورشليم حيث لقي ترحيبا ملكيا من جاسون في أحتفال كبير بالمشاعل، ولكن دسائس جديدة مزقت أورشليم. ففي عام ١٦٠ ق.م. أعزى "مينيلوس" وهو شقيق "شمعون" الذي سبق ذكره، إلى الحكومة لكي تجعله حاخاماً أكبر (الكاهن الأعظم)، مع أنه لم يكن ينتسب حتى إلى سبط ليفى (سبط الكهنة اليهود) . وفر جاسون إلى عامون.

وبينما كان أنطوخيوس يقوم بحملته في مصر عام ١٦٩ ق.م.، عاد جاسون و استولى على أورشليم و ذبح أنصار مينيلوس. وانزعج أنطوخيوس من هذه القلاقل التي وقعت في غيبته، خاصة و أنه كانت في أورشليم جماعة موالية للمصريين. وقد وقع الملك، الذي كان عادة رجلاً ودوداً، في خطأ فاحش. فقد كانت الإمبراطورية تضم عدد كبيراً من المجموعات الدينية الصغيرة تدين لها بالولاء، أما في يهودا فقد بدا أن الدين هو الذي كان يثير عدم الولاء. وكان سبب جميع القلاقل، هو تنافس المطالبين بوظيفة الحاخام الأعظم. ونظرا لوجود حزب هيليني بالفعل في أورشليم، فقد صمم انطوخيوس على أن يعجل بصبغ البلاد بالهللينية بالقوة، بالإضافة إلى أنه بدأ فى محاولة لطمس الديانة اليهودية. وربما كان أنطوخيوس سينجح، لو أنه اقتصر على حركة صبغ البلاد بالهللينية وترك الديانة وشأنها. و لكنه تعجل الأمر، وكانت روما تترصد به .

وقد احتلت القوات حصنا على جبل صهيون، و حرمت عملية الختان، واعتبر تحريم أكل لحم الخنزير جريمة لا تغتفر، وفي شهر ديسمبر سنة ١٦٧ ق.م، منعت القرابين اليومية عن المعبد و نصب تمثال جيوبتر في الهيكل، فكان هذا العمل اضطهاداً

١- تاريخ كمبريدج القديم ، المجلد الثامن.

http://kotob.has.it

دينياً. و لم يقدم أنطوخيوس على هذا العمل لأنه كان يحبذ أية ديانة أخرى، لكنه أقدم عليه لأنه ظن أن الديانة اليهودية هي مصدر القلاقل السياسية.

دولة المكابيين وموقف اليهود المتشددون دينيا (الفريسيون) من الدولة

في القرن الثاني قبل الميلاد (١٦١ ق.م.) حكمت اليهود في (منطقة يهودا) فى فلسطين أسرة من الكهنة/ الملوك، تعود نشأتها إلى أيام الملك السلوقي "أنطوخيوس أبيفانس" حاكم سوريا الهلليني، الذي فكر في استعادة عظمة إمبراطورية الإسكندر، فبذل جهده لنشر الحضارة الإغريقية بين اليهود، وأوقف عبادة "يهوه" ثم أجبرهم على تقديم القرابين للآلهة اليونانية. و لكن عامة الشعب من اليهود رفضت النفوذ الثقافي الأجنبي ؛ و دعا الكاهن "ماتياس" و أبناءه اليهود للثورة.

"وكان السبب المباشر للثورة، هو بناء محراب وثني في قرية تدعى "موديعين"، و هي القرية التي كان يعيش فيها الكاهن "ماتياس الحشمونائي". وكان على الجموع، التي احتشدت أمامه أن تقدم القرابين. و عندما قام أحد الوجهاء المحليين لتقديم القرابين حتى يقلده الجمهور، انقض عليه الكاهن ماتياس و ذبحه، ثم تحول هو وأبناؤه الخمسة نحو مندوب الملك فقتلوه . وبعد أن هدموا المحراب فروا إلى التلال و تبعهم أكثر عناصر اليهود ورفعوا علم الثورة"[1].

"وقد أتقن اليونان استخدام طريقة استراتيجية بسيطة للغاية ضد اليهود فكانوا يهاجمونهم في اليوم الذي يرفضون فيه الدفاع عن أنفسهم، وهو يوم السبت. وفي أحد أيام السبت حوصرت إحدى جماعات الثوار واستسلمت للقتل حتى أخر رجل، وذلك حتى لا ترفع إصبعا واحدا للدفاع عن نفسها، وكان من البديهي، أنه بتكرار هذا الحادث، يكون القضاء على الثورة مسألة وقت فحسب"[2] .

"و قد كان ل"ماتياس" القوة الكافية ليتخطى النظم الدينية المتبعة فأعطى تعليمات لرفاقه، بأن يعتبروا القتال في حالات الدفاع الشرعي عن النفس جائزا حتى في يوم السبت الذي أمر الله فيه بالراحة"[3].

---

1 Roth Cecil: History of Jewish People P.85

2 - Ibid, P.85

3 - Ibid.

http://kotob.has.it

وهكذا أصبح العنف الذي أراد "ماتياس" أن يستخدمه من أجل الدفاع عن الدين خروجا عن الدين وتدنيسا لأصوله، وأصبح "ماتياس" يدعو للعنف للدفاع عن الدين وعن الله. وهو العنف الذي جعله يخالف شريعة الله، و هكذا اتبع "ماتياس" أسلوب الحضارة اليونانية وهو يناضل ضد اليونانيين باستخدام القوة الغاشمة. و بعد أحداث كثيرة تتابعت فيها الانتصارات والهزائم بين الطرفين. هزم ماتياس وهرب ومات، فتولى بعده ابنه يهودا المكابي[1] أو "ماكبياس" قيادة الثائرين عام ١٦١ ق.م. وقد وقع المكابيون معاهدة السلام عام ١٤٣ ق.م.، وأصبح "شمعون المكابي الحشموني" كاهنا أعظم له سلطات الملك، و بذلك ظهر مرة أخرى حكم الكهنة الملوك وارتباط السلطتين الروحية والزمنية. وبعد موت "شمعون" خلفه ابنه الثالث "هركانس" . وإذا كانت الثورة قد احتفظت في أثناء حياة "يهودا" بقناعها الروحي و الديني، فقد سقط هذا القناع بعد موته، وظهرت النوايا الحقيقية لإخوته، والتي لم يكن لها علاقة بالدفاع عن الدين اليهودي أو المبادئ الجوهرية للتوراة .

وعلى نحو ميلاد دولة إسرائيل العسكرية العدوانية فى العصر الحديث من رحم الاضطهاد النازي، أحالت المقاومة الأصيلة ضد "أنطوخيوس الرابع" "يهودا" إلى ولاية عسكرية عدوانية متعصبة . لقد هاجم "يوحانان هيركانوس" كل جيرانه، الذين كانوا، حتى ذلك الوقت، يشكلون ولايات تابعة للإمبراطورية السلوقية، وكانوا يفتقرون إلى التنظيم العسكري. كما قام بغزو الأدوميين الذين كانوا يعرفون في ذلك الوقت باسم "الأيدوميت" والذين كان مقرهم في الخليل والجنوب. ولكي يزيد "يوحانان" من أعداد جيشه، حول الأدوميين قسرا إلى الديانة اليهودية، وهي سياسة تؤكد بطلان أية ادعاءات يهودية بالوحدة الجنسية العرقية لليهود، وحوالي عام ١٠٨ ق.م. استولى

١- المكابي : هناك آراء متعددة حول أصل إطلاق تسمية "المكابي" على هذه الأسرة . فهناك رأي ينسبه إلى "ماكبياس" الابن الأول لماتياس والذي تولى قيادة الثائرين بعبوديته. وهناك رأي آخر يرى أن أصل التسمية، هي الكلمة العبرية "مقبي" أي "المطرقة الحديدية" ، وبذلك يكون المقصود :" أصحاب المطرقة الحديدية" ، والرأي الثالث يرى، أن الكلمة هي اختصار للحروف الأولى التي وردت في نشيد انتصار موسى على فرعون والتي تقول" من كمثلك بين الآلهة يا رب"(مى كموخا بيلوهيم أدوناى) و الحروف هي: (م . ك . ب . ي) ، ويلاحظ أن الياء حلت محل الألف في "أدوناي" لأن أصل الكلمة هي "يهوفاه" (يهوه) و لكن يحرم على اليهود نطقها و ينطقونها "أدوناي".

http://kotob.has.it

"هيركانوس" على مدينة " السامرة"، وكانت أغلبيتها السائدة من اليونانيين، فذبح جميع سكانها، كما لقيت نفس المصير مدينة " سيتوبوليس"(بيسان الحالية).

وقد كتبت عنهم المؤرخة اليهودية "**سيسل روث**":

"لقد كانوا أكثر عدوانية و أكثر طموحا، فاخذوا يتوسعون عن عمد في البلدان التي تخضع لهم، و كانوا يتبعون أخلاقيات الحرب الجامحة، التي كانت تسيطر على العالم في هذا العصر. و لم تكن الشعوب التي تهزم تتوقع منهم أي اعتبار أو تقدير، و في حالات كثيرة كانت هذه الشعوب تطرد، و حالات أخرى كانت تجبر على اعتناق اليهودية ... وإلى جانب هذه المكاسب أضاف "شمعون" الميناء البحري الهام "يافا" و طرد منه سكانه من غير اليهود"[1].

وهكذا أصبحت الإمبراطورية هي المضمون الرئيسي لسياسة "هيركانوس" الذي خلف "شمعون" : "وفي حكم هيركانوس (١٣٥ –١٠٤ ق.م.) أصبح التوسع شعارا للسياسة القومية. لقد عاد فوسع حدود الدولة من كافة النواحي، و أرغم شعوب البلاد التي غزاها على اعتناق اليهودية"[2].

"وبعد موت "هيركانوس "هام ١٠٤ ق.م. تبعه ابنه الأكبر "يهودا" أو "أرستوبولس"، واستمر في سياسة التوسع التي انتهجها والده. و بعد الثورة المكابية بقرن كانت مساحة الدولة اليهودية قد بلغت أضعاف حجمها الأول"[3].

وهكذا، فإنه إذا كان المكابيون قد نجحوا فى التوسع وبسط النفوذ، بمعنى أن كانت لهم سياسة خارجية ناجحة، فقد كانت سياستهم الداخلية أقل نجاحاً. لقد نجح "ماتياس" وأبناؤه في إثارة جموع اليهود من المتشددين دينياً والذين ناصروه وآزروه طويلاً، لأنهم كانوا قد وضعوا التحرر الديني هدفا للنضال. ولكن مواصلة ممارسته كعنصر رئيسى فى سياسة المكابيين جرهم إلى السلطة والملك والسيادة. وبما أن سيادة البشر تتعارض جوهريا مع تعاليم التوراة، فإن كل إنسان أو مجموعة من اليهود تريد الوصول إلى السلطة، لابد و أن تجد من يعترضها و هي في طريقها إلى الملك، من أتباع التوراة. وهكذا أصبح "الحشمونائيم" الذين ناضلوا ضد السلطة اليونانية صورة من هذه السلطة، وشغلوا بالنسبة لجماهير اليهود ذات المكان الذي كان يشغله اليونانيون .

---

1 - Roth, Cecil, op.cit, P.93

2 - Ibid

3 - Roth, Cecil, op.cit .

http://kotob.has.it

وترى "**سيسل روث**": "أنه خلال هذه الفترة اتسعت الهوة بين البيت الحاكم و بين بعض أفراد الشعب. لقد استولى الإخوة "الحشمونائيم" على السلطة كقادة لثورة شعبية، وقد منحهم المجلس المكون من الكهنة والشعب وقادة الأمة و كبار شخصيات البلد، الصفة الوراثية لأسرتهم، وكانت عناصر الحكم الديمقراطي– على الأقل– ما تزال قائمة. ومن المعروف أنه، منذ العودة من بابل كانت أعلى سلطة في الدولة اليهودية، هي سلطة الكاهن الأعظم الذي يرجع تأثيره و نفوذه إلى وظيفته الروحية. وقد اتخذ "أرستوبولس" وورثته من بعده، لقب "الملك" فأدخلوا بذلك عنصرا لم يكن موجودا في الشريعة اليهودية. وقد ندد جزء كبير من الشعب بهذا التركيز الساحق للسلطة في يدي فرد واحد"[1].

و قد واصلت مملكة "الحشمونائيم" نفس الطريق بعد "أرستوبولس"، بعدما تولى العرش من بعده أخوه "الاسكندر جانيوس" (١٠٣ — ٦٧ ق.م.)، الذي خلفته زوجته "الكسندرا" و "أرستوبولوس الثاني"، فاستولت الأولى على العرش عنوة، واحتمى الثاني بالرومان الذين حسموا المسألة بطرد "هيركانوس الثاني" وتنصيب أخيه ملكا. ثم دخل "بومبي"، القائد الروماني، فلسطين منهيا بذلك حكم "الحشمونائيم" (٦٣ ق.م.)، وأصبحت "يهودا" خاضعة للرومان وكان الدرس الذي استخلصه حاخامات اليهود من هذه التجربة، هو أن الهدف الرئيسي لثورة "المكابين" كان هو الرغبة في تحرير اليهود من الضغوط الفكرية و التأثيرات الثقافية و الدينية الإغريقية و ممارسة دينهم دون قيود، والرغبة في عدم الخضوع لحضارة أجنبية هي الحضارة الهللينية (اليونانية) . ولكن ما إن انتصرت ثورتهم الشرعية، حتى أصبحوا مثل أعدائهم يطبقون الأساليب نفسها توسعا في الأرض، و طردا للشعوب غير اليهودية من أراضيها، و تغييرا إجباريا و جماعيا للدين والشعب المقيم في أرض "الأدوميين"، وقمعا قاسيا ووحشيا لكل حركة شعبية يهودية . وهكذا أصبح "المكابيون" أنفسهم سلطة ظالمة وخالفوا أهم المبادئ الأساسية للعقيدة اليهودية التي ثاروا من أجلها.

وقد تمخضت معارضة جزء كبير من الجماهير اليهودية لملوك دولة "الحشمونائيم" ، و لوجود الدولة اليهودية ذاتها، عن ظهور جماعة الفريسيين. وكان لظهور هذه الجماعة أصداء واسعة بشأن موقف اليهودية المتشددة من قضية الدولة اليهودية .

---

1 -Ibid

http://kotob.has.it

فكيف تكونت هذه الجماعة ؟ و من أي طبقة من اليهود نشأت ؟ و ما هي الأهداف التي سعت إليها ؟

لكي نوضح جذور نشأة هذه الجماعة سوف نعود تاريخيا إلى فترة السبي البابلي (٥٨٦ ق.م). ففي فترة المعبد الأول، و حتى بعد العودة من بابل كان الكهنة يعتبرون بمثابة الأمناء الرسميين للتعليم و العقيدة. و كان واجبهم هو تفسير التوراة و صياغة الأحكام الشرعية التي تتعلق بالنقط الصعبة في الشريعة و في التطبيق العملي . و لكن منذ عهد "إسدراس"، أصبحت التوراة ملكا للشعب بأكمله، و كانت التوراة تقرأ و تفسر في كل المدن و القرى . و قد انتقل التكريم الذي كان يحاط به الكاهن إلى كل من كان يبدي مهارة في شرح النصوص المقدسة (كان تلاميذهم يدعونهم بكل احترام"ربي" أي "أستاذي و معلمي") .

و قد اتسعت الشريعة عن طريق الفقه و أحكام القضاء، وأصبحت القرارات أو الخبرات العملية للـ"ربي" تتبعها الأجيال التالية، و بذلك تكونت مجموعة كبيرة من التعاليم الشفوية التي تدعم النص الديني و تفسره، و امتزجت الأفكار الجديدة و أخذت صبغة يهودية (و هو ما جمع بعد ذلك فيما عرف باسم "التلمود" الذي يتكون من: (١)"المشنا– أي: الجانب التشريعي أو "الهالاخا"– و(٢) "الجمارا"— أي: التفاسير التكميلية التي لم تدخل في متن "المشنا"– و(٣)" الهاجادا" أي: الجانب الذي يضم القصص و الحكايات الأسطورية المكملة لـ"الهالاخا") .

و هكذا تكونت هيئة من الحاخامات (الربيون) أكثر تطورا وأكثر مرونة وأكثر اتصالا بالحياة من طائفة الكهنة الذين كانوا يخدمون المعبد . و كان تفسير "المقرا" (العهد القديم) كما يراه الربيون اقل تقيدا في الشكل، و كانت قراراتهم فيما يتعلق بالأمور المباحة تميل إلى تساهل أكبر، و لم يترددوا عند الضرورة في إحلال قصص واضحة (هاجادا) مطابقا للشريعة محل المعنى الحرفي الصارم للتوراة. و كانوا يخففون من وطأة تقلب الأحداث الدنيوية بنظرية خلود الروح وبعث الموتى التي كان الكهنة يرفضونها تماما (لعدم امكانهم الاستناد إلى نص من التوراة في هذه النقطة).

و من الناحية العملية كانت القرارات المقابلة في المسائل المباحة تعكس المصالح المتباينة للطبقتين، الطبقة الأرستقراطية التي تملك العقارات من ناحية، وطبقة الصناع و صغار الملاك،؟ من ناحية أخرى.

http://kotob.has.it

و هـذا تكـون حزبـان في الدولـة، أحـدهما يعتـبر المعبـد مركـزا للإرشـاد وللـشعائر القربانية، في حين كان يبحـث الحـزب الآخـر عـن النـور أينمـا وجـد، و كـان أحـدهما محافظا، و الآخر اختياريا، سواء كان ذلك بالنسبة للأمور النظريـة أو الأمـور العمليـة. و كان أحدهما يتكون من الكهنة الذين تدعمهم الطبقة الأرستقراطية و الملاك العقـاريين، في حين كان الآخر طبقة الدنيا و الطبقة المتوسطة. و كانـت الجماعـة الأولى تـساند الملكيـة المطلقة التي آلت وراثيا إلى كبار الكهنة، و كانت الأخرى تميل للديمقراطية.

وتـدريجيا أخـذت الجماعـة الأولى اسـم أسـرة "صـادوق" الكهنوتيـة، و هـم أجـداد "الحشمونيين"، و أصبح أتباعهم يعرفون باسم "الصدوقيين" ، في حين أخـذت الجماعـة الأخرى اسم "الفريسيين" أو "المنشقين"[1].

و الفارق بين الجماعتين لا يتضح من خلال اسم كل منها، الذي أصبح يعـرف بـه في التاريخ، لأن معاني الأسمـاء ليـست واضـحة بالتأكيـد. لقـد كانـت كـل مـن الجمـاعتين مرتبطة بالتوراة و الشريعة، ولكن بينما كـان "الـصدوقيون" يؤكـدون علـى أهميـة الأمـة، فـإن"الفريـسيين"، مـع كـل التـزامهم تجـاه الدولـة، كـانوا يعطـون الأولويـة للتـوراة. و الاختلاف بينهما في هذا الإطار هو مدى و طبيعة السلطة التي ينبغي أن تمارسـها التـوراة في الدولة. فقد كان "الفريسيون" يريدون أن تحكم كل شئون الدولة وفقا لأحكام التوراة، بينما كان "الصدوقيون" يرون انه لا مـانع مـن أن تكـون التـوراة هـي الدسـتور الأساسـي للدولة، و لكنه من المستحيل فرضها على حكومة لابـد و أن تأخـذ في الاعتبـار الظـروف المتغيرة، ولكنهم كانوا يعطون أهمية خاصة للقانون الشفهي (التلمود) و تفـسيراته لمـا هـو وارد في التوراة، ويعتبرونه مكمـلا للتـوراة ويعطـي الفرصـة لاستكـشاف المعنـى الحقيقـي للنص المكتوب بما يتفق مع احتياجات العصور المختلفة.

كذلك فإنه من الفروق التي ميزت مـابين "الفريـسيين" والـصدوقيين"، نظـرتهم للـرب .فالرب بالنسبة لـ"الصدوقيين" هو إله قومي، رب إسرائيل فقـط ؛ بينمـا بالنـسبة لـــ "الفريسيين"،إله عالمي، إله كافة البشر،و هـذا هـو مـا قـاد "الفريـسيين" إلى اعتقـاد في العلاقة الفردية برب و المـسؤولية تجاهـه، و اعتقـدوا بالتـالي في خلـود الـروح الفرديـة، والثواب و العقاب في آخرة الأيام، و هو ما اعترض عليه "الصدوقيون"[2].

1- Roth, Cecil: op.cit, P.96

2 – Epstein, Isidore: Judaism, Cox & Wyman Ltd, G.B. , 1979, ch.II, PP.96-97

http://kotob.has.it

و قد ظهرت جماعة "الفريسيين" أثناء مملكة "الحشمونائيم" في فترة حكم "هيركانوس"، حيث اضطربت نهاية فترة مملكته، بسبب منازعات دينية انزلق إليها هذا الملك و شارك فيها. و في عهده حدث شقاق بين أهل "يهودا"، و كان المظهر العام للدولة لا يعني شيئا كبيرا بالنسبة لهم، لذلك كانوا يكرهون الحرب و يفضلون السعادة في الآخرة عن كل سعادة فوق الأرض، فكانوا يمتنعون تماما عن كل عمل تحرمه التعاليم الدينية المكتوبة أو التعاليم الشفوية و يتفادون الاحتكاك بالوثنين الذين كانوا سببا في شقائهم، وبسبب هذا الامتناع المزدوج وصفهم خصومهم بأنهم "فريسيون" (منشقون) .أما "الصدوقيون" فقد كانوا في أغلب الأحيان من الأسر الثرية التي كانت لها صلات بالوثنيين وبالشعوب المجاورة للمملكة اليهودية . ولشعورهم بأنهم مقيدون أكثر من اللازم بالتطبيق الدقيق للشريعة والتعاليم اليهودية حاولوا التخلص من التعاليم الشفوية التي لم يرد نص عليها في التوراة، و من العقاب في الحياة الأخرى، و كان البريق الخارجي للدولة يبدو لهم مستحبا أكثر من التمسك المخلص للتوراة. و كانت هذه الجماعة أقل عددا من جماعة "الفريسيين"، و لكنها كانت أقوى و تعمل على فرض نظرياتها بالقوة[1].

و يقول "إيزودور إبشتاين": "إن الجماهير انحازت إلى "الفريسيين" ولم تتردد في مهاجمة الملك شخصيا في أحد الاحتفالات الخاصة بالتعميد بالماء المقدس"[2].

ففي إحدى الولائم التي أقيمت للاحتفال بعودة الملك من إحدى الحملات العسكرية منتصرا، سأله أحد الزعماء الفريسيين علنا أن يفصل بين الوظائف الدنيوية و الدينية التي يشغلها و أن يختار واحدة منها،وأوجد التبرير الشرعي لطلبه، وإن كان لم ينطلي على أحد، لمناقشة حق الملك في الكهنوت . و بعد ذلك بفترة، و في عيد "المظال " وبينما كان الملك الكاهن يقدس في المعبد، أراد أن ينتقم فأظهر احتقاره علنا للتقاليد الفريسية، بأن سكب الماء المقدس على قدميه بدلا من أن يسكبه على المذبح، و هي نقطة قليلة الأهمية طقسياً، ولكنها دلت على موقفه تجاه هذا التقليد الجديد الذي لم تنص عليه أسفار موسى . فرماه الشعب الغاضب على رأسه بالفاكهة التي أحضرت بمناسبة الاحتفال . ولم يستتب النظام من جديد، إلا بعد أن أريقت الدماء، وتم نفي عدد كبير من زعماء "الفريسيين" خارج البلاد"[3].

١- ليفي . إيمانويل ، اليهودية عدو الصهيونية ،(ترجمة خاصة) ص ٨٦-٨٧ .

2- Epstein, Isodore. : op.cit. P. 97

٣- ليفي ، إيمانويل . المرج السابق ص ٩٠ .

http://kotob.has.it

"وبالرغم من أن "الفريسيين" تمتعوا بمعاملة طيبة في عهد الملكة "سالومي الكسندرا"، وريثة "الكسندر يوناثان" بعد وفاته، و تم إعادة تنظيم "السنهدرين" والمحكمة الدينية العليا، وتم تطبيق الشرائع اليهودية في مختلف مجالات الحياة، وأعتبر عهدها بمثابة العصر الذهبي في تاريخ المملكة اليهودية الثانية (مملكة الحشمونائيم)، إلا أنه سرعان ما استعاد "الصدوقيون" نفوذهم بعد وفاتها، وأصبحت لهم اليد العليا، إلى أن تم القضاء على هذه المملكة على يد "بومبي"، القائد الروماني، عام ٦٣ ق.م"[1].

"ويرى اليهود المتشددون دينيا،على ضوء تجربة "الفريسيين" في فترة مملكة "الحشمونائيم"، أن الربانيين الحقيقيين لا يعرفون بمقدار تفقههم و تقواهم، ولكنهم يعرفون بموقفهم تجاه الدولة و حكامها و قادتها، والربانيون الكبار الذين جعلوا من اليهود شعب الله، جعلوا منه شعبا لا يمكن القضاء عليه و تبنوا نفس الموقف، أيا كان وضعهم في الزمان أو المكان . فهم من الناحية السياسية، يظهرون العداء العلني لكل دولة يهودية و قادتها و يفضلون السيطرة الأجنبية بشرط أن تترك الحرية والسيادة الدينية الكاملة، و قد كان هذا هو موقف الربي " يوحنان بن زكاي " في عهد الرومان، و هذا هو موقف اليهود الأرثوذكس المتشددين اليوم في القدس من جماعة "نْطوري كارتا"حراس المدينة، والتي ترى أن التوراة و الدولة عدوان لا يمكن التوفيق بينهما، فقوة أحدهما تسبب ضعف الآخر"[2].

و يقول "عفرون بوعز" في كتابه : " الحساب القومي" :

"إن توجه زعماء الفريسيين إلى روما كان تجسيدا للرغبة في العودة إلى الموقف الذي كان عليه اليهود تحت الحكم الفارسي (و كان هذا هو أيضا الموقف الذي كانوا خاضعين له في كل أرجاء الشتات، سواء في الإمبراطورية الرومانية أو بابل)، و هو الموقف الذي يعفيهم من المسؤولية العسكرية والسياسية، و يمكنهم من إدارة حياتهم الدينية الطائفية حسبما يشاءون، دون أي طموحات سياسية ـ و هو الأمر المناسب دائما لحكم ذوي الطاقيات الدينية، ولكن انسحاب الفريسيين من السياسة للحفاظ على نقاء "الهالاخا"، (وهو الانسحاب، الذي لا يبدو غريباً وبعيداً، يسلكه اليوم فى إسرائيل، ورثة الفريسيين اليوم من بين اليهود المتشددين دينيا "الحريديم"، لم يتمشى مع احتياجات شعب

---

1 – Epstein, Isidore: op. cit, PP.98-99.

٢- ليفي، إيمانويل : المرجع السابق ، ص ٨٩.

http://kotob.has.it

إقليمي، وهي احتياجات سياسية في مضمونها. وقد أدى هذا الانسحاب، وفرض الحكم الروماني المباشر على فلسطين، إلى نشوب التمرد الكبير ضد روما وإلى خراب الهيكل الثاني. وقد ترك هذا الاعتزال للسياسة، والانتصار الذي أحرزته صيغة الطائفة اليهودية، اليهود بلا صلاحية سياسية مقبولة مركزية ومسئولة، وربما كان في إمكانها وقف العسكرة العمياء التي أدت إلى الصدام المباشر مع روما"[1].

و قد وردت في التلمود، رواية عن موقف الربي "يوحنان بن زكَّاي"، أحد حكماء اليهود المشهورين في الفترة الرومانية، تؤكد أنه كان يفضل شعار "الفريسيين": "السلام فوق كل اعتبار"، عن شعار "الصدوقيين"، "الدولة فوق كل اعتبار" .فعندما اقترب "فسبازيان" لكي يدمر "أورشليم"، طلب من أهلها أن يرسلوا له قوسا و سهما، علامة على الاستسلام ليتركهم و شأنهم، و لكن "القنائيم"، (طائفة من المتعصبين الدينيين، نادوا باستخدام القوة المسلحة ضد الرومان)،رفضوا هذا النداء. و عندما طلب "يوحانان بي زكاي" من اليهود الاستسلام بدلا من الدمار و الخراب، رفضوا نصيحته، رغم تكرارها ثلاثة أيام. فأرسل إلى تلميذيه، ربي"اليعازر"، و ربي "يهوشُوَاع"، و قال لهما : " يا إبناي، قوما وابتعدا بي من هنا، و اصنعا لي تابوتا أنام فيه" .فأخذه الربي "أليعازر" والربي " يهوشُوَاع " من قدميه، و حملاه عند غروب الشمس حتى بلغا المدينة، فقال لهما حراس الباب : "من هذا؟"... فقالا لهم : "إنه ميت، ألا تعلمون أن مبيت الميت في أورشليم محظور؟" فأجابوا : " إذا كان ميتا فخذوه و اذهبا به "....فنقلاه إلى الخارج حتى غابت الشمس، و حتى وصلا به أمام "فسبازيان"، الذي سأله : " أأنت يوحنان بن زكاي؟" ...فقال : "نعم. إنني لا أطلب منك سوى يفنه[2] وحكمائها، فإنني أريد أن أعلم فيها تلاميذي و أقيم الصلاة، أحقق تعاليم التوراة".. فقال له "فسبازيان": "لك ما تريد، فافعل ما شئت" (أفوت الرابي ناثان ـ الفصل الرابع)[3].

١- عفرون، بوعز: الحساب القومي(هَحِشْفون هَلْئومي)، دار نشر "دْفير"، تل أبيب ١٩٨٨، ص ٦٢.

٢- يفنه.

٣- لفين ، عمانوئيل :المرجع السابق ،ص ٥-٦

http://kotob.has.it

"وقد وقف الربي "يوحانان بن زكاي" هذا الموقف وحده بمعزل عن الدوائر المتعصبة (القنَّائيم) و عن دوائر الأرستقراطية الكهنوتية و المادية (الصدوقيون)، وحيدا إلى حد ما في وسط عالم الحاخامات اليهود، و وضع الأساس لأنماط قومية جديدة من أجل إصلاح الحياة الروحية و بلورة الحياة الاجتماعية اليهودية[1].

٩ - مملكة الخزر (القبيلة الثالثة عشر)

خرافة النقاء العنصري اليهودي*

كثيرا ما يتردد حينما يتناول أحد الباحثين تاريخ الاستيطان اليهودي في شرق أوربا عامة، وفي روسيا وبولندا بالذات، اسم مملكة اعتنقت اليهودية دينا لها حوالي القرن الثامن الميلادي، وأصبحت تشكل بذلك الأصل السكاني ليهود روسيا وبولندا منذ ذلك الحين حتى اليوم. وقد عرفت هذه المملكة منذ ذلك الحين وحتى اليوم باسم "مملكة الخزر" .

ولا شك أن اعتناق هذه المملكة للديانة اليهودية، هو من الأمور التي جعلت من العسير على دعاة نقاء العرقية اليهودية، ومنكري فكرة التبشير في الديانة اليهودية، الاستمرار في الإصرار على ما يدعونه في هذا الصدد .

لقد كان من الأمور المعتادة في القرن العاشر الميلادي في روسيا، أن يشاهد شخص أصفر اللون، ذو عيون تترية، تميل إلى الاستطالة قليلا، ينتعل فروة خروف ويتدثر بالملابس من أخمص القدم حتى الرأس، ويحمل حول وسطه سيفا معقوفا . لقد كان من المعتاد رؤية مثل هذا الشخص في ممرات الجبال، وهو يردد تحية الصباح، ويتحدث بلغة اليديش، وهي اللغة الأم ليهود شرق أوروبا.

وبناءا على الوثائق التي كتبت عن هذه الفترة، حدد كثير من الدارسين أن مملكة الخزر، قد خربت وبادت خلال الهجوم، الذي قام به عليها في عام ٩٦٥، الأمير الروسي "شعيا ـ توسلاف"، رجل كييف . وبالإضافة إلى ذلك، أثبت العالم الإسرائيلي "ان فولك"، في كتابه "الخزر" أو (خزاريا)، أن هذه المملكة عاشت سنوات كثيرة

١- سفراي، شموئيل: فترة الهيكل الثاني (يْمي هَبَيَت هَشيني) ، في كتاب : تاريخ شعب إسرائيل (تولدوت عم يسرائيل) ، تحرير حييم هليل بِن شاشون ، المجلد الأول ، ص ٣١٠ .

* نشرت هذه الدراسة في صحيفة "المساء" القاهرية، ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٣ .

http://kotob.has.it

أخرى، إلى أن اندحرت نهائيا في عام ١٢٣٩م، على يد الموجة العاصفة للغزو المنغولي، ويتضح من أقوال هذا العالم، أن هجوم عام ٩٦٥، كان بداية لاندحار هذه المملكة الكبيرة.

فمن هم هؤلاء "الخزر"؟، وأين وكيف عاشوا؟، ولماذا وكيف غيروا دينهم؟

إن "الخوازاريم"، أو "الخازاريم"، كانوا فرسانا في الصحراء الكبيرة الممتدة من جنوب روسيا الأوربية، ومن شكال أسيا الوسطى، وهي صحراء مفتوحة تكثر فيها الرياح، ولا توجد بها أماكن يمكن الاحتماء فيها من مواجهة عاصفة تقوم بها جماعة من الفرسان الشجعان. وفي شمال هذه الصحراء، كانت تمتد منطقة غابات، كانت مأهولة بصورة غير كثيفة بشعوب سلافية وفنلندية، أقارب الفنلنديين في عصرنا الحالي، الذين هم من أصل منغولي. وكانت الأنهار التي تمر من هناك، تروي أرض الخزر، وتمكنهم من أن يحولوا تدفقها من أعلى، إلى مناطق الغابات. وقد كان أهم هذه الأنهار هو نهر "الفولجا"، الذي كان يوجد بالقرب من مصبه في البحر الفضي، مركزهم الرئيسي، وذلك لأن منطقة دلتا خصبة مثل دلتا نهر النيل.

وقد كان الخزر من الرعاة المتجولين، ومن المزارعين الذين يعودون في مواسم معينة من تجوالهم إلى حقولهم، وفوق كل هذا، كانوا من المحاربين الشجعان الذين أقاموا مملكة كبيرة بفضل ذلك.

ولم يكن كل الخزر من نفس هذا الأصل العنصري. ففي هذه الصحراء الكبيرة الممتدة كانت تعيش شعوبا كثيرة. وكان من بين أبناء هذه الشعوب أبناء القبائل التركية وكذلك البلغار، بلغاريا الحالية قامت على يد غزاة من تلك القبيلة التي استعبدت السكان المحليين ثم اندمجت فيهم بعد ذلك والفنلنديين، والهون، والهنجاريين، وقبائل بيضاء مثل الروس والتشيك. ولقد كان لكثير منهم عيون منغولية، ضيقة ومستطيلة وغائرة، مثل عين القطة، تسمى في الصحراء صورة هذه العيون باسم "خزر"، وربما كان ذلك بتأثير العيون الخزرية.

ولم يكن الاندماج بين هذه العناصر كاملا، وذلك بسبب الحاجة إلى القبيلة، وهي الظاهرة المعروفة لنا عن البدو، ولذلك فإن لغتهم لم تكن واحدة. ولهذا فإن الصورة العامة لهذه الجماعة، ليست هي الصورة العادية لمفهوم الشعب، بقدر ما كانت صورة لجماعة متنوعة ومتحركة من القبائل الصحراوية، اتخذت من الدين اليهودي دينا لها فيما بعد وجعلته أساسا لوحدتها .

http://kotob.has.it

وهكذا، فإن الدولة الخزرية، كانت في الواقع، عبارة عن اتحاد من القبائل المتجولة، كان يوجد على رأسها زعيم يحمل لقب ملك. وكان الخزر الحقيقيون يمثلون أقلية من الأصل التركي، سيطرت على قبائل كثيرة وأعطتها "اسمها بما يشبه تركيا المعاصرة التي احتلتها القبيلة التركية العثمانية الصغيرة حوالي ٥٠٠ سنة وأخذت اسمها".

وقد كانت هذه القبائل منظمة في تركيب سياسي عسكري يعرف باسم "أوردو"، أو"هوردو"، وتعني "الجيش" باللغة الهندية، وإليها تنسب اللغة الأردية، أي لغة جيش الفاتح، الذي كان في الواقع عبارة عن'' معسكر احتياطي كان يخدم فيه الخزر''. وقد كان هذا الجيش يشتت في زمن السلم، ولكن في زمن الحرب سرعان ما يتجمع رجاله، ليشكلوا سلاح صاعقة من الفرسان الشجعان. وقد كان الخزر يستبدلون أماكن معسكراتهم في الشتاء والصيف. أما التجار وذوو الحرف والمهن الأجانب، الذين كانوا يعيشون بينهم، فإنهم لم يكونوا يتجولون في إثرهم، بل كانوا يقيمون بصفة دائمة في معسكرهم الشتوي، ولذا فإن الخزر كانوا يشترون ما يلزمهم في الشتاء ويتركونه لديهم.

وفي فترة ذروة انتشارهم، بعد اعتناق الديانة اليهودية، كان لدى دولة "أوردو" مساحة عظيمة لم تكن محدودة بقدر كاف، لأن سكانها كانوا دائمي الترحال والتجوال، ولكن من الواضح أن كل الصحراء من جبال "أورال"، في الشرق، وحتى نهر "هدجيفر"، في الغرب، كانت تقع ضمن حدود مملكتهم التي سيطرت كذلك على جبال "القوقاز" و"القرم"، التي على شاطئ البحر الأسود، بالإضافة إلى مساحات في الشمال، حيث كان سكانها يدفعون لهم الضرائب. وحتى يومنا هذا، مازال البحر الفضي يعرف باسم "بحر الخزر"، وفي مدينة "باكو"، التي تقع على شاطئه، تسمى الرياح الشمالية، التي تهب عليها، باسم "الرياح الخزرية"؛ وذلك لأنها تجيء من ناحية مملكة الخزر، التي يشكل اسمها، حسب رأي "فولك"، فبركة تركية للصفة الرومانية "قيصر".

ومن أجل كفاءة الحكم في أرجاء هذه الدولة الأوربية، قسمها حكامها إلى وحدات فرعية، سميت كل واحدة منها "اولوس"، وكان يرأسها قائد يخضع للملك. وقد كان للملك معسكر خاص يشتمل على ١٢,٠٠٠ من الحراس، وحوالي سبعين ألفا من الرجال الآخرين التابعين له . وكان لقب الملك هو "خان"، أو"خاجان". وكان يعتبر قبل التحول للديانة اليهودية بمثابة إله . ولكن مع التحول للديانة اليهودية ألغيت ألوهيته تقريبا. وقد كان يظهر أمام الجماهير مرة واحدة، كل أربعة شهور، وعند ظهوره، كان الجميع

http://kotob.has.it

يخرون ساجدين على وجوههم، وذلك لأنه كان من المحظور رؤيته. وحينما يكون الملك راكبا، فإن رجاله يكونوا راكبين على بعد كبير منه، وينسقون مدى خطاهم تبعا لذلك؛ حتى لا يقتربوا منه أو يصلوا إليه.

وقد كانت الشئون اليومية للدولة تحت تصرف نائبه، الذي كان يدخل إلى غرفة العرش وهو حافي القدمين ساجدا، مظهرا علامات الخوف، وفي يده راية خشبية مشتعلة؛ رمزا لخضوعه. وكان للملك مقر خاص، وإذا ما رغب في إحدى نسائه، احضرها له خصيه المسئول عنها، ويضعها تحت تصرفه، وبعد ذلك يعود بها إلى مقرها، حسبما يأمره الملك دون تباطؤ أو توان. وحينما يموت الملك فإنهم يدفنونه بحيث لا يعثر على مكان قبره، وضمانا لسرية مكان دفنه؛ كانوا يقطعون رقاب حفاري القبر؛ حتى لا يكشفون السر .

وفي حالة فشل قواد الملك في الحرب، فإنه كان يأمر ببيع أبناء أسرهم كعبيد أمام أعينهم، وكان يحكم عليهم بعد ذلك بالموت، بميتة عجيبة، لا تخطر على بال. وفي بعض الحالات فإن الملك كان يأمر بعض نبلائه الذين يذنبون في حقه بالانتحار وكانوا يذعنون للأمر وينفذونه في الحال. ومع اعتناق اليهودية أصبح الخاجان إنسانا عاديا، وكان يخرج للحرب مع رعيته وأتباعه وهو مزين بالغنائم الذهبية وراكبا تحت شمسية ساساجونية يحملها رجاله .

ومن العادات التي كانت سائدة كذلك في هذه المملكة، انتقال الحكم بالوراثة وبالإضافة إلى ذلك، فإنه كان لزاما على الخاجان، أن يحدد مقدما عدد السنوات التي يود أن يتولى الحكم فيها . وإذا ظل على قيد الحياة بعد انتهاء المدة، فإنه كان يستوجب الموت في هذه الحالة، ومن أجل تذكيره بذلك، فإنهم كانوا يخنقونه حتى الموت تقريبا أثناء حفل التتويج. ولا عجب حينئذ أن الملك كان يحدد في هدوء أن من رأيه أن يتولى الملك ١٢٠ عاما.

خيام على عجلات

كان الحكم السائد في الدولة الخزرية هو "الياسا"، وهو قانون القبائل السابق، الذي ظل مستخدما حتى بعد اعتناق الديانة اليهودية، إلى جانب الشريعة اليهودية.

http://kotob.has.it

فعقوبات الحكم بالموت بشق الجسد إلى نصفين، والصلب والشنق، من العقوبات المعتادة في أسيا التركية ــ المنغولية. وعلى أية حال، فإنه حسب شهادات مسافر مسلم، فإن الحياة هناك كان يحفظها القانون . وفي الشئون الطائفية مثلا، كانت توجد محكمة عليا في معسكر "ايتيل"، كانت مشكلة من اثنين من اليهود، واثنين من المسلمين، واثنين من المسيحيين، وواحد من عبدة الأصنام. وأصبحت هذه الدولة دولة منظمة بالرغم من قيامها على عدد من القبائل الرحل التي كانت تعيش على سيوفها. وقد كان الخزر رجال الصحراء، يعيشون حياة بسيطة، ويلبسون الملابس الجلدية واللبادية. وكان رجالها يتسلحون بالسيوف والخناجر والبلط. وكانت تطل من تحت قبعاتهم، وجوه لسعتها الرياح، ذات عيون مليئة بطاقة الحياة، ولحية بارزة وشارب متدل إلى أسفل. وكانوا يقيمون في معسكرات من الخيام الجلدية، والقرى المبنية على أوتاد الشواطئ . أما في زمن ترحالهم، فقد كانت هذه المخيمات تقام على ظهر العجلات، وكان دخان طهي الطعام يتصاعد منها أثناء الطهي والانتقال، كما هو الحال في مطابخ الميدان. وفي كل "اولوس"، كان هناك مكان دائم يقام فيه المعسكر الرئيسي له. وكان هذا المعسكر يحتل مساحة واسعة، ويضم الأسواق والحمامات التي كانت تبني هي الأخرى من فروع الشجر.

وكان أهم معسكر هو "ايتيل"، ويقع على دلتا نهر "الفولجا"، بالقرب من مصبه في البحر الفضي، وبالقرب من الشاطئ الحساس لجبال "القوقاز"، والتي في الجنوب منها شحذت القوى الإسلامية سيوفها. وفي وسط المعسكر كانت تتلألأ العاصمة "خزران" (وهي القريبة من "استراخان" الروسية في أيامنا الحالية). وفي وسط هذه العاصمة يقع قصر الملك وهو البيت الوحيد في كل المملكة. وقد أقام كثيرون من التجار الروس والفرس محالهم في أسواقها، وحولوها إلى مدينة تجارية حية .

وفي وسط "الاولوس" الغربي كان هناك معسكر "شركيل"، الذي كان يدير منه الخزر حكمهم على الإمارات الروسية التي يجمعون منها الضرائب . ومن هذا المكان أيضا كان يخرج سلاح الطوارئ الخزري الذي كان يعسكر في الإمارات، مثل سلاح الطوارئ الذي كان يقيم بجوار كييف، ليمنع الروس من الثورة. وكانت المدينة الرئيسية لهذا المعسكر تسمى هي الأخرى "شركيل"، وكانت على شاطئ نهر الدون، الذي لم يعرف الهدوء إطلاقا؛ لأن قعقعه السيوف كانت تسمع بصفة مستمرة على شواطئه.

http://kotob.has.it

وكانت مدينة سيريج ـ سين، هي عاصمة الاولوس الشرقي، الذي كان يمتد حتى جبال الأورال، وهي تقع في أحضان نهر الفولجا بالقرب من فالجوجراد (ستالينجراد الحالية)، وفي مكان قريب جدا من نهر الدون. وقد كان هذا المكان مكانا استراتيجيا من الدرجة الأولى، لأن الروس كانوا يذهبون إلى نهر الدون، من البحر الأسود لأغراض تجارية أو حربية، ثم يسحبون قواربهم على البر، حتى نهر الفولجا، ثم ينزلون على طوله إلى وسط المملكة الخزرية في الدلتا. وفي جنوب المملكة كان يوجد معسكر "سمندر" وسط "أاولوس" قوقاز الخزري، الذي كان معروفا بعنبه الممتاز، الذي ينمو على منحدرات الجبال.

ضريبة العبودية

لقد كان معظم الخزر من الرعاة، ولكن سكان معسكر "ايتيل" في دلتا نهر الفولجا الغنية بالمياه، كانوا يزرعون الأرز وكانوا يصدرونه كذلك للبلغاريين الخاضعين لهم في أعلى نهر الفولجا . وبالإضافة إلى هذا، فقد اشتغلوا بالصيد لأن الأرز والأسماك، كانت هي العناصر الرئيسية على مائدتهم. ومن المحتمل كذلك أنهم كانوا يجهزون "السكتيم"، مثل جيرانهم التتار، وذلك بوضع شريحة من اللحم بين ظهر الحصان والسرج، لأن هذه الطريقة تكون مفيدة في زمن الحرب السريعة، بالإضافة إلى أن رائحة الأحصنة لم تكن فيما يبدو مصدر قلق للخزر. ولم يكن معنى أنهم عملوا في الزراعة أنهم تخلوا عن الترحال . فإن الخزر كانوا يرعون البهائم في فصول أخرى. وكانت التجارة، كما ذكرنا، في يد الأجانب الذين جمعوا ثروات طائلة استفادت منها الحكومة، عن طريق الضرائب المرتفعة التي كانت تفرضها عليهم.

وقد كان الخزر، مثلهم مثل سائر رحالة الصحراء من الرجال الأشداء الشجعان، وكان من الصعب الوقوف في وجه هجمات الفرسان الخزر الذين كانوا ينقضون في جموع غفيرة على صوت النعير المبحوح للأبواق، بينما السيوف المعقوفة، والبلط تهتز فوق رؤوسهم . وبمرور الزمن طور الخزر تكتيكا آخر للقتال استخدموا فيه المتاريس المتحركة المصنوعة من العجلات، وأساطيل السفن، التي كانوا يغزون بمساعدتها أراضي العدو عن طريق الأنهار والبحر الفضي والبحر الأسود. وقد كانت بطولتهم مضرب الأمثال، لدرجة أن كلمة الاستنكار الروسية "جيد" (يهودي) أصبحت بعد اعتناقهم لليهودية صفة للاحترام.

http://kotob.has.it

وأرض اليهود "رفلياجيد" و"مشكا"، معروفة في الملحمة الروسية الشعبية، كمكان لإقامة الأبطال اليهود، كما كان هناك أمير روسي باسم "جيديسلاف". وقبل اعتناق اليهودية، لم يكن يجرؤ الخزر على التقدم بمشاريع لعمليات عسكرية يكون فيها ثمة تعرض للخطر، لأنهم كما ذكرنا كانوا يقتلون بقسوة بواسطة ملكهم الإلهي في حالة الفشل . وبعد اعتناق اليهودية، أخذت حروبهم دفعة كبيرة استطاعوا من خلالها احتلال مساحات كبيرة قاموا بوضع سكانها تحت طائلة ضريبة العبودية. وقد كان الخزر قبل اعتناقهم اليهودية من عبدة الأصنام. وكان الكهنة السامانيون، يديرون طقوس العبادة لإله السماء المسمى "تبخاري"، بينما هم يضربون بالدفوف ويهمسون ويقسمون ويشعلون النيران التي يعتبر دخانها وسيلة لإبعاد للأفكار الشريرة.

وفي نهاية القرن السادس سيطرت قبائلهم، التي بدأت في التبلور، على البلغاريين، في نهر الفولجا وكانوا يشكلون قبيلة قريبة لهم من ناحية الأصل، وقد هرب بعض هؤلاء البلغاريين إلى الغرب واستقروا في المنطقة التي توجد فيها بلغاريا اليوم، وقد طاردهم البلغاريين إلى هناك وأخضعوهم. وبعد ذلك، منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، احتل العرب إيران، وهددوا الخزر في القوقاز، خلال مطاردة يزدجرد أخر ملوك الفرس. وقد وصلوا حتى مدينة دريند، التي تسيطر على ممرات القوقاز. وهناك وفي وسط بلنجر، في عام ٦٥٢ ــ ٦٥٤ م، هزم العرب على يد الخزر، ووضعوا بذلك حدا للانتشار العربي إلى الشمال الشرقي .

وبعد ذلك سقط حكم الخاجان (الملك الإله) وانتقل الحكم إلى يد ملوك منتخبين من بين قواد الجيش . ومع القضاء على هذا النظام تزلزل الدين السامي، وانقرض نفوذ سحرته، وأتيحت الفرصة لظهور الأديان الأخرى، وهو الأمر الذي مهد لاعتناق اليهودية.

كان الملك الذي اتبع الديانة اليهودية في خازاريا هو "بولان ــ سفريال" حوالي عام ٧٣٠ ميلادية ... وقد كان بولان هذا قائدا للجيش، وتمكن من ارتقاء الحكم. وحسب القصة المتداولة، فقد ظهر له ملاك في حلمه، بعد أن صد هجوما إسلاميا، على قوقاز، وأمره بأن يعتنق اليهودية. وقد أقام هيكلا متنقلا في خيمة على طراز "خيمة الميعاد" اليهودية، وتلقى وعدا من الملاك، بأن يستمر حكمه حتى نهاية الأجيال. وقد منع هذا الملك الاستعانة بالعرافين والسحرة السامانيين، مؤيدي العبادة القديمة، التي كان

http://kotob.has.it

أساسها "الملك الإله" المعزول، ومن المحتمل أن يكون هذا السبب السياسي الواضح، هو الذي أدى، إلى حد كبير، إلى قبول الدين الجديد . ويمكن الافتراض كذلك أن الملك اختار اليهودية ولم يخر المسيحية أو الإسلام، الذين كان يؤمن بهما الكثيرون في خازارايا، لاعتبارات سياسية، وهي أن قبول الإسلام كان سيلزمه بالإذعان والطاعة للخلافة الإسلامية العليا في بغداد عدوة الخزر، كما أن اعتناق المسيحية كان يلزمه هو الآخر بالخضوع للقيصر البيزنطي.

كذلك، فإنه من المعروف أيضا، تلك القصة التي استخدمت كأساس لكتاب "الخوازري"، الذي كتبه الشاعر اليهودي "يهودا هاليفي"، الذي عاش في أسبانيا في العصور الوسطى، عن المناقشة التي عقدها ملك الخزر مع ثلاثة من الحكماء، أحدهم يهودي والآخر مسيحي، والثالث مسلم. وإنه نتيجة لهذه المناقشة، اختار اليهودية دينا دون الأديان الأخرى. وتقول القصة، أن الملك رأى في حلمه عدة مرات ملاك الرب وهو يقول له: "أن نيتك مرضي" عنها لدى الإله ولكن عملك غير مرضي عنه. وقد توجه الملك إلى فيلسوف مسلم وسأله تفسيرا لهذا الحلم، فأجابه بأن لا قيمة كبيرة لأعمال الإنسان وأن المهم أن تكون آراءه سليمة .

حينئذ دعا حكماء الأديان الثلاثة وبعد محادثته معهم اختيار اليهودية باعتبار أنها الديانة التي اعترف بها الدينان السماويان الآخران، وأن الدين الجديد لم يأخذ طابع اليهودية الحقيقية، وإنما أخذ طابع "دين إبراهيم" البدائي. وكان الملك عوفديا أحد أحفاد "يولان"، هو الذي اتبع الديانة اليهودية كدين للدولة، وكان ذلك حوالي عام ٨٠٠ ميلادية تقريبا.

ومن المحتمل كذلك أن اليهود الذين سباهم عوفديا في إحدى غزواته لشمال روسيا قد أثروا عليه بالانتقال من "دين إبراهيم "إلى اليهودية الحقيقية. وقد كان مدى اعتناق اليهودية ضئيلا في البداية ولكنه أصبح شاملا بعد ذلك بفترة طويلة بعض الشيء .

ويعتقد الباحث الروسي "أرتمونوف"، أن اليهودية لم تكن عامل توحيد للخزر بقدر ما كانت عامل تفرقه بينهم. فهو يقول أنه قد نتجت هناك طبقة حاكمة من اليهود عملت في التجارة، بينما خضعت لهم الطبقات العريضة من الخزر والتي كانت مركبة حسب رأيه من المسيحيين والمسلمين وعبدة الكواكب والمنجمين وأرغموهم على دفع ضريبة العبودية لهم.

http://kotob.has.it

وبالرغم من اعتناق الخزر لليهودية، فقد ظلوا مختلفين قليلا عن سائر اليهود. لقد كانوا يؤمنون برسالة "بولان ـــ سفريال"، وأنه سيظل ملكه إلى الأبد وكانوا يقدمون القرابين في الهياكل المتحركة، ومن المحتمل أنه لم يكن هناك معلمون كبار للشريعة اليهودية بسبب عزلتهم الجغرافية عن سائر بني دينهم . وبالإضافة إلى هذا فقد كان الخزر يهودا متفاخرين، وليس عبثا أن ظل اسمهم مصدر فخر على أفواه اليهود.

مصيدة في الفولجا

بعد اعتناق اليهودية نهائيا استمرت مملكة الخزر في الوجود كإمبراطورية صحراوية أخذت في فرض سلطانها على الشعوب المحيطة بها، وقد كان الأعداء الرئيسيون لهم هم "الروس"، تلك القبائل السلافية المتبربرة، التي أخذت اسم "الروس"، من قبيلة سويدية، عرفت باسم قبيلة الروس، كانت مسيطرة عليهم. وقد جاء هؤلاء السويد من الشمال على طول الأنهار. وهم يجرون مراكبهم في البر على سطح مفارق المياه التي بين نهر وآخر. وفي البداية اعترف الروس بحكم الخزر وأخذ أمراءهم من ملك الخزر لقب خاجان. ولكنهم ثاروا بعد ذلك واحتلوا كييف ومنعوا القبائل الخاضعة من دفع ضرائب الخزر. وفي هذه المرحلة نجح ملك الخزر بحذر شديد في ضرب أعدائه الروس والمسلمين كل بالآخر.

وقد سمح للروس بأن يسحبوا اسطولا كبيرا ويعبروا به من نهر الدون إلى نهر الفولجا، عن طريق مدينة "سريج ـ سين". وبمساعدة هذا الأسطول نزل الروس إلى البحر الفضي وهجموا على المسلمين المقيمين على ضفافه وغنموا منهم غنيمة كبيرة أخذ نصفها ملك الخزر. ولدى رجوعهم إلى أعلى نهر الفولجا تصدى المسلمون البلغاريون للغزاة وأبادوهم انتقاما لسلب وقتل إخوانهم في الدين.

وبالرغم من هذه الأضرار التي أصابت المسلمين والمسيحيين، فقد كان الخزر اليهود متسامحين، بوجه عام. مع رعاياهم أبناء هذه الأديان، فالروس، على سبيل المثال، الذين كانوا مازالوا بعد من عبدة الأصنام كانوا يمارسون عباداتهم بلا تشويش أو إزعاج بالرغم من قسوتها ومناقضتها لليهود بتطرف. والدليل على ذلك مثلا حادثة التاجر الروسي الذي مات أعزبا، وحسب التقاليد الروسية، فقد حملوا إليه بعد موته فتاة قتلوها من بعده لكي ترافق زوجها في العالم الحقيقي. وقبل موتها قام كل أصدقاء زوجها بمعاشرتها جنسيا وذلك كممثلين لزوجها الميت.

http://kotob.has.it

خطاب يوسف الملك

هناك وثيقة هامة تعرف باسم خطاب يوسف الملك تلقي ضوءا على مملكة الخزر في هذه الفترة. وقد كتبت هذه الوثيقة، حسبما يبدو، بيد هذا الملك إلى "حسداي بن شفروط"، وزير الخراج في بلاط المملكة الإسلامية في أسبانيا وزعيم يهود أسبانيا الذي عاش في منتصف القرن العاشر الميلادي.

في هذه الرسالة يقص الملك لحسداي عن أصل شعبه من "بني توجرمة" الأتراك، وعن الملك بولان الذي نقل العبادة الأجنبية. وبنى "خيمة الميعاد" وعن الملك عوفديا الذي جعل الحكم حسب الشريعة التوراتية. وكذلك فإنه يعدد أسماء القبائل المجاورة. ويصف مركز مملكته على نهر الفولجا وهو المكان الذي فيه له ثلاث مدن: الأولى تقيم فيها الملكة مع وصيفاتها وفتياتها، والثانية يقيم فيها الإسرائيليون والإسماعيليون والمسيحيون والأمم الأخرى، وفي المدينة الثالثة أقيم أنا مع وزرائي وعبيدي وكل خدمي. ويصف الملك كذلك حياة التجوال الخاصة به.

"نحن نقبع طوال الشتاء .. وفي شهر نيسان يغادر الجميع الدولة ويذهب كل رجل إلى حقله .. أما أنا مع وزرائي وعبيدي، فإننا نسافر في رحلة لمسافة عشرين فرسخا حتى نصل إلى النهر الكبير ومن هناك نصل إلى طرف الدولة".

ونعرف من نص هذه الرسالة أن الملك يقيم في هذه الدولة مطمئنا وواثقا من نفسه وقوته بالإضافة إلى الفزع الذي يستولي على أعداه منه.

التخريب النهائي

وفي عام ٩٦٥ م نظم الروس هجوما ناجحا على خزاريا. وقد فسر هذا الحدث مؤخرا على أنه تخريب نهائي للمملكة. وهناك أدلة على أن هذه الهجوم كان أساسا هجوما للنهب، ولكن مع هذا، فليس هناك شك أيضا في أن الروس قد قضوا على نفوذ الخزر في مناطق الغابات في الشمال. وهناك بدأت في الانتظام إمارات روسية مستقلة ووصلوا بذلك إلى بداية النهاية وقد بدأت مملكة الخزر في الاضمحلال ولم يبق لها إلا منطقة نهر الفولجا السفلى فقط.

http://kotob.has.it

ولكن بالرغم من هذا فقد ازدهرت هناك مملكتهم وذلك بسبب خصوبة وثراء المنطقة. وقد كان هذا هو العامل الذي أمدهم بعنصر الاستمرار. ومكنهم من محاربة البلغاريين في الفولجا العليا، ومسلميي القوقاز في القرن الثاني عشر.

لقد اندحرت مملكة الخزر اليهودية تماما في عام ١٢٣٩ م على يد باتو- خان، الذي قام بالغزو على رأس جيش منغولي عظيم. واحتل الإمارات الروسية والبلغارية المعادية للخزر ووصل حتى هنغاريا وبولندا. وقد أقام المنغوليون في منطقة مملكة الخزر مركز مملكتهم المعروف باسم "اوردو" الذهبي الذي ظل فيه الخزر مجرد قطاع مستقل ذاتيا لعدة سنوات أخرى بعد هذا التاريخ.

وهناك اعتقاد يرى أن المهاجرين الخزر الذين تركوا بلادهم في الفترة الأخيرة لقيامها، وعلى الاخص بعد تخريبها هاجروا إلى الغرب وأقاموا في بولندا. ومعنى هذا أن يهود بولندا يشكلون في أساسهم خليطا من المهاجرين من ألمانيا مع هؤلاء الخزر. ويوجد بين اليهود في بولندا وروسيا نماذج توجد في أعينهم ما يدل على الأصل الخزري ويعني هذا الرأي كذلك، أن الخزر هم الذين أحضروا معهم "اليديش" التي أصبحت لغة يهود شرق أوروبا، بكونها خليطا من اللغة الألمانية التي التقطها الخزر من جيرانهم الألمان، الجويتين سكان شبة جزيرة القرم. ومن اللغة العبرية والآرامية .. كذلك فإن الباحثين في تاريخ هذه الجماعة يرون بأن هناك احتمالا بأن تكون المعابد المصنوعة من الأخشاب والخاصة بيهود بولندا متأثرة بأسلوب البناء الذي يسمى "الفارجودوت" الذي رآه الخزر لدى جيرانهم الصينيين. وبالإضافة إلى ذلك فإن في الأسماء اليهودية أثار التأثير الخزري. أن أسماء مثل "الفرسون" و"هلفرين" قد تكون مشتقة من كلمة "البر"، أى "الشجاع بالتركية"، و"كفلن" ومعناها بالتركية "زهرة" أو "نوارة"، "قاجان" وهو اسم يمكن أن يكون تطويرا لكلمة "خاجان" .

http://kotob.has.it

الجزء الثانى

قضايا إشكالية فى الفكر الدينى اليهودى

١٠ - اليهود يفضلون حياة الشتات على أن تكون لهم دولة في فلسطين

نشأت الحركة الصهيونية في بداية القرن التاسع عشر، كحركة علمانية، ولكنها وجدت أنها لا يمكنها إغفال اليهودية، كدين لجذب اليهود للهجرة إلى فلسطين، فلتفت به مستخدمة وموظفة لمقولات مثل "الوعد الإلهي"، و"الحقوق الدينية والتاريخية"، و"الشعب المختار"،...الخ. ولم يكن الصهاينة يدركون في البداية أنهم بهذه الوسيلة، سيخلقون جماعة يهودية ذات كيان سياسي، منقسمة على نفسها، بين دينيين وعلمانيين، وأن حصاد جهد العلمانيين في بناء الاستيطان الصهيوني، ثم الدولة، سوف يقطفه الدينيون إن آجلا أم عاجلا. بالرغم من أنهم لم يساهموا لا في بناء الدولة، ولا في حروب إسرائيل، لأنهم لا يجندون في الجيش. وأهم من هذا، أن الصهاينة لم يدركوا أيضا، أن الطبيعة التي جبل عليها اليهود عبر التاريخ، هي أنهم أصبحوا شعبا شتاتيا، وأنهم يفضلون العيش في ظل حاكم أجنبي، في دولة ليست هي فلسطين، حتى لو اضطهدهم، على أن يحكمهم يهودي في دولة يهودية، لأن درس التاريخ أن هذه الدولة سيكون مصيرها هو مصير سابقاتها، في العصور القديمة.

هذه هي الفرضية الأساسية التي يتناولها ذلك الكتاب الذي يحمل عنوان "السلام في الأرض المقدسة" والذي كتبه ونشره "فون باجوت جلوب"، المعروف أنه كان قائد الفيلق الأردني في المملكة الأردنية الهاشمية، والذي عرف عنه شغفه بعلم الآثار، ودراسة التاريخ كمصدر للعظات والعبر، واستلهام الدروس.

وقد قمت بترجمة هذا الكتاب (الجزء الأول) ونشر تحت عنوان "اليهود واليهودية في العصور القديمة بين التكوين السياسي وأبدية الشتات"، عن المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (٢٠٠١).

ونظرا لأهمية هذا الكتاب، الذي قمت بعمل مقدمة إضافية تحليلية لمحتواه، في أكثر من أربعين صفحة، وحرصا على أن يطلع عليه المهتمون بالدراسات اليهودية، والإسرائيلية، وكذلك المعنيون بالتاريخ القديم لليهود وإسقاطاته على التاريخ المعاصر، لهذا رأيت أن أقدم للقارئ هذا العرض للكتاب ومحتواه .

http://kotob.has.it

كان إبراهيم عليه السلام هو المهاجر الأول من أرض الرافدين إلى أرض كنعان، لتنشأ هناك الديانة اليهودية متأثرة بالديانة المصرية، والبابلية، والكنعانية، إلى أن أصبحت محملة إلى ما هي عليه بكل الشحنة الدينية والثقافية لحضارات المنطقة . وبالرغم من أن الديانة اليهودية في صياغتها الأخيرة سعت لتثبيت فلسطين في الوعي والتراث الديني باعتبارها ((أرض الميعاد))، إلا أن اليهود ظلوا على مدار وجودهم التاريخي، لا يقيمون فيها، ويفضلون البقاء خارجها اعتبارا من فترة السبي البابلي (القرن السادس ق.م) وحتى الآن. بالرغم من أن أبوابها كانت في معظم فترات التاريخ مفتوحة أمامهم دون قيود .، إلا أنهم اكتفوا بترديد عبارات "الشوق إلى العام القادم في أورشليم"، وانتظار "المسيح المخلص"، الذي سيقودهم إليها.

حول هذا التلازم بين تطور العقيدة اليهودية، وبين فشل اليهود في العصور القديمة، في إقامة كيان سياسي يمكنه الصمود في وجه الحضارات الكبرى المحيطة بفلسطين، وبين نشأة ظاهرة الشتات اليهودي، وشكل علاقته بفلسطين إلى أن أصبحت ظاهرة أبدية ملازمة للوجود اليهودي، يدور موضوع هذا الكتاب الذي يلقي بظلال الماضي اليهودي في العصور القديمة على الواقع المعاصر الذي نعيشه الآن.

وينقسم الكتاب إلى تسعة فصول توضح التطور التاريخي لليهود:

الفصل الأول: يتحدث الكاتب عن البداية الأولى لظهور جماعة يهودية .

الفصل الثاني: يتحدث عن نشأة "يهوه"، كرب لليهود، في فكر البدو الرحل الأوائل.

الفصل الثالث: يتناول وصول بني إسرائيل إلى أريحا وكيف غزا "يشوع"، سلسلة الجبال من الخليل إلى "شكيم"، وكيف تسلل بنو إسرائيل إلى أرض كنعان.

الفصل الرابع: يذكر كيف كانت أيام داود وسليمان سلسلة متصلة من الحروب والثورات، ومع ذلك فهي أيام مجيدة، بالنسبة لليهود.

الفصل الخامس: يتحدث عن زوال المملكة الشمالية (٧٢١ ق.م) ومملكة يهودا (٥٨٦ق.م).

الفصل السادس: يتحدث عن الغزو البابلي، الذي كان بداية العزلة اليهودية، حيث عزل اليهود أنفسهم عن المجتمعات التي عاشوا في ظلها ومنعوا التزاوج معهم.

http://kotob.has.it

الفصل السابع: يتحدث عن انتشار اليهود في أرجاء العالم القديم وتبنيهم للدعوة إلى الله وتغيير دين العالم.

الفصل الثامن: يتحدث فيه عن بعض ملوك اليهود وعن مولد المسيح.

الفصل التاسع: يتحدث عن عودة اليهود إلى عزلتهم مرة أخرى، كراهيتهم للأجانب، ومنع الاختلاط بهم، وتدهور الديانة الروحانية .

وقد أوضحت المترجم في مقدمة الكتاب، أن (فون باجوت جلوب) سعى في كتابه لإثبات أن بني إسرائيل واليهود عبر الأحداث التاريخية التي مروا بها، ومن خلال التطور التاريخي الذي تبلورت من خلاله أسس العقيدة اليهودية في صورتها الأخيرة على يد الأنبياء، لا يصلحون لأن يكونوا أمة أو جماعة سياسية لها دولة مثل سائر الشعوب، وأنهم لا يصلحون سوى أن يكونوا جماعة دينية تعيش وسط الشعوب، التي عاشوا بين ظهرانيها. و أنهم على ضوء الأحداث التاريخية كانوا يفضلون الحياة خارج فلسطين، في الشتات، على الحياة في فلسطين، رغم ارتباطهم الديني والروحي بها ــ كما يزعمون.

ويمكن إرجاع فشل الممالك اليهودية القديمة في البقاء، الاستمرار إلى أن اليهود لم يعتادوا أن يكونوا جماعة سياسية؛ لأن اليهودية هي عقيدة مغلقة و ليست عقيدة سلطة، ولذا فهي لم تستطع أن تكون مفهوما خاصا للسلطة ومفهوما جديدا للأمة، وهما شرطان أساسيان لتكوين الدولة كدولة، وليس كجنسية، كذلك فإن العقيدة اليهودية، لم تستطع أن تحقق نشوء ثقافة عليا، أي منظومة قيم إنسانية كونية، يمكنها أن تحقق دولة مركزية تجمع أنظمة غير متجانسة ثقافيا واجتماعيا على غرار الحضارة العربية، أو الحضارة الغربية الحديثة، لأن الانتماء إلى هذه الثقافة العليا هو أساس الانتماء إلى هذه الأمة، لأنه قاعدة المساواة في الاشتراك في السلطة وهي التي تحقق شرعية السلطة.

وبالتالي، فإن الأساس السياسي الذي استند إليه اليهود، في إقامة ممالك لهم في فلسطين، كان أساسا متأثرا بالحضارات التي كانوا في كنفها، رغبة في إقامة دولة على غرار دول الحضارة، وهو ما باء بالفشل الذريع آنذاك، ويتعرض في العصر الحديث لنفس المصير لنفس الأسباب في إطار الصراع الدائر حاليا في إسرائيل بين الصهاينة العلمانيين، الذين أقاموا دولة لليهود في فلسطين على غرار دول الحضارة الغربية الحديثة، و بين الدينيين، الذين يرفضون كافة الأسس والقوانين والنظم، التي قامت عليها هذه الدولة، ويسعون لتحويلها لدولة تحكمها الشريعة اليهودية، وعلى الطرف الأخر الخاص

http://kotob.has.it

بالعلاقات بين دولة اليهود في فلسطين في العصر الحديث، والشتات اليهودي، فإنه مازال يلعب نفس الدور القديم، فهو الذي يسند الوجود السياسي للدولة ويدعمها ويحافظ على وجودها واستمرارها، وليس العكس.

ومن أكثر المعبرين عن وجهة النظر، التي ترى أن اليهود طائفة دينية لا تملك مقومات الدولة، الحاخام اليهودي الأمريكي "برجر"، والذي يرى أن اليهودية ليست في حاجة إلى دولة قومية خاصة من أجل وجودها، وذلك لسببين:

الأول: أن اليهودية وفقا لمضمونها ليست قومية، وإنما كسبت بفضل مبادئها العالمية مكانة وتأثيرا في التاريخ الإنساني.

الثاني: سبب تاريخي، فهو يرى أن على اليهود ألا يتفاخروا بتلك الفترات من تاريخهم، التي كانوا فيها شعبا ذا سيادة لأنها فترات منبوذة، في رأيه، بالمفهوم الأخلاقي (كما في الفترة الملكية في عهد داود وسليمان).

وقد قمت كمترجم، بعد المقدمه، رؤية الأديب و المفكر الإسرائيلي ((أفراهام. ب. يهو شواع)) حول هذه القضية والتي نشرها في كتاب بعنوان "بفضل الطبيعة"، في فصل بعنوان: "المنفى ــ الحل العصابي".

وهنا يقول أفراهام، أن مسألة المنفي أهم وأعمق سؤال يجب على اليهودي أن يسأله لنفسه حينما يتوه في مضمون الشعب اليهودي، وأن "المنفى" هو مصدر المشاكل التي يتخبط فيها اليهود منذ أجيال كثيرة، وهو لب المشاكل العملية التي تتخبط فيها دولة إسرائيل في الحاضر، ويؤكد على أن فهم ظاهرة المنفى، هو المفتاح من أجل فهم الظاهرة اليهودية، ومن شأنها تحريك مشاعرنا أكثر من كل شيء من أجل التميز الأمين جدا للصراعات القاسية التي تورط فيها اليهود، ومازالوا فيها حتى الآن. وهناك وجهتا نظر أساسيتان مختلفتان في تناول "المنفى".

وجهة النظر الأولى: تنظر "للمنفى" باعتباره كارثة فرضت على اليهود بواسطة الشعوب الأخرى، وأن الشعب اليهودي، بسبب الحصانة الروحية، نجح في الصمود والطوفان فوق أمواج التاريخ، وكان "المنفى" في نظره دائما بمثابة حالة مؤقتة، وأنه حينما يأتي السلام، ويسود قليلا، يتفتت "المنفى" ويتدفق اليهود رويدا رويدا إلى فلسطين.

http://kotob.has.it

ويرى يهوشواع، أن هذا الاتجاه الفكري يتجاهل أن "المنفى" لم يفرض على اليهود، وإنما هم الذي فرضوه على أنفسهم، بسبب الاعوجاج القومي الداخلي، فهو، أي اليهودي، اختار وما زال يختار هذه الطريقة في الوجود.

أما وجهة النظر الثانية: فهي تنظر "للمنفى" كظاهرة دائمة، وشبه طبيعية بالنسبة لليهود، فهي تعتبر اليهود شعبا شتاتيا، وهنا تكمن قوته الوجودية. ووفقا لهذه المدرسة الفكرية، يسود أحيانا السؤال: "إذا لماذا الدولة؟!"، فهنا توجد ازدواجية متساوية القيمة، وهي : المنفى والمركز. وهذه المدرسة الفكرية تتجاهل الحقيقة البسيطة بأن المنفى كان مصدرا لسلسلة الكوارث الصعبة التي اجتاحت اليهود، وأنها السبب في إبادة نحو ثلث الوجود اليهودي. وأن اليهودي لم يعط على الإطلاق شرعية روحية نهائية لهذه الطريقة من الوجود، وبناءا على ذلك، فإن النقد يجب أن يبدأ بمراجعة وجهتي النظر، ومحاولة بناء أطروحة جديدة، ويقسم أقواله وفقا لذلك إلى ثلاثة أجزاء :

١ـ استعراض تاريخي موجز لإثبات أن "المنفى" هو رغبة الشعب.

٢ ـ تبرير أسباب هذه الظاهرة، مع أخذ حقيقة أن "المنفى" هو مصدر كل الاضطهادات التي حلت على اليهود، وتبرير الأسباب الداخلية لعلاقة الحب والكره لهذا "المنفى"، وتجاه هذا التعذيب الذاتي.

٣ـ الاستنتاجات الأيديولوجية والعلمية على المدى القصير والطويل النابعة من هذا التحليل.

١ـ "المنفى" كمضمون إرادي: وهنا يذكر الكاتب الإسرائيلى أن مولد إبراهيم كان خارج فلسطين، واستدعاه الرب لترك وطنه ليصل إلى أرض جديدة اختارها له الرب، لكي يخلق فيها شعبا جديدا، وعهد وميثاق جديدين، إذن، فإن اليهودي الأول هو المهاجر الأول، وهو النازح الأول إلى مصر، بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة في أرض كنعان، وظل اليهودي يحمل في داخله هاتين الصفتين المتلازمتين، "الهجرة والنزوح"، عبر التاريخ كله. لقد كان إبراهيم يهاجر وينزح، ثم يعود للهجرة، ثم تلاه يعقوب الحفيد الذي نزح إلى مصر ولكنه مات في مصر (المنفى). لكنه كان قد أوصي أبناءه بأن يعيدوا رفاته إلى فلسطين، ويدفنوه هناك. فهل كانت هذه رسالة خفية لليهود بأن فلسطين هي مقبرة لرفات اليهود؟ أم أنها أرض الأحياء؟! لقد خلق الله الشعب اليهودي في مصر وليس في فلسطين، والتوراة وهي الإطار الذي يحدد هوية ورسالة اليهود، لم يتم

http://kotob.has.it

منحها في فلسطين. ثم يستطرد الكاتب أُسرائيلى يهوشوع، في توضيح كيف استوطن اليهود في كل بلاد العالم، ولكنهم كانوا يتجاوزون فلسطين دائما، ولم يبذلوا جهدا جادا في العودة إليها، عبر فترات تاريخهم الطويل.

وبالتالي، فإن الصهيونية بدأت في نهاية القرن الماضي، ليس من أجل أشواق جديدة لفلسطين، وكراهية جديدة "للمنفى"؛ لأن هذا موجود لديهم منذ القدم ولم يحرك فيهم ساكنا، ولكنها بدأت بسبب طغيان الخوف من المنفى لديهم عند البعض على الخوف من فلسطين. ولكل يهودي تبرير مختلف عن عدم هجرته إلى إسرائيل، حسب الثقافة، والانتماء، والأيديولوجية، ولكنهم جميعا يشتركون في أنهم لا يهاجرون إلى إسرائيل.

وهنا، تنتهي رؤية الأديب الإسرائيلي، ويبدأ الكاتب في عرض أسباب وتبرير عدم الهجرة من خلال السرد التاريخي لتاريخ اليهود.

الفصل الأول : آباء ورعاة

يتحدث جلوب في هذا الفصل عن البداية الأولى لظهور مملكة يهودية، والتي تخبرنا بها أسفار العهد القديم، ويبدي الكاتب هنا ملاحظة، وهي أنه، عند مناقشة العهد القديم، فإن المشكلة ليست في المفاضلة السهلة بين الإيمان وعدم الإيمان، وإنما المشكلة في تفسير المعاني.

فكما يرى الأطفال أباهم، وهم صغار، على جانب من القوة و البأس، وأنه هو مصدر للحماية والأمن، ثم عندما يكبرون يخافونه أو يمقتونه؛ لأنه يسعى إلى السيطرة عليهم، فإذا بلغوا سن المراهقة اعتبروه رجعيا لا يتواءم مع زمانهم، ولكنهم بعد ذلك يحكون لأبنائهم، كيف كان أباهم رجلا عظيما فاضلا! والأب هو نفس الشخص طوال الوقت، ولكن نظرة الأبناء له تختلف حسب تطور عقولهم.

وإننا نجد أن الأمر يبدو على نفس النسق بالنسبة لليهود. ففي العهد القديم تخيل الرجال البدائيون ربهم محاربا عظيما، يكره أعداءه، ويغتبط عند قتلهم، وفي مرحلة تالية أخذوا في نقده، وظنوا أنهم قادرون على أداء عمل الله، في صورة أفضل تماما، كما يفكر المراهقون بالنسبة لآبائهم.

وهناك شك فيما إذا كان سيدنا إبراهيم وعشيرته، كانوا في الحقيقة يريدون أرضا، فقد ظل قومه يعيشون في الخيام بعد وفاته بتسعمائة عام، ولا يزال الرعاة الرحل الفقراء

http://kotob.has.it

يضربون خيامهم على امتداد الجانب الشرقي للدلتا، إلا أن قناة السويس غيرت من هيئة الأرض الطبوغرافية. وليست هناك أي بيانات عن الفترة التي امتدت أربعمائة عام، أي من فترة الآباء إلى عهد موسى(عليه السلام)، ولا نستطيع أن نعرف إذا ما كان بنو إسرائيل قد انحدروا فعلا من سلالة إبراهيم، الذي كان بلا شك هو سلف القبيلة من الوجهة النظرية. وقد عقدت كثير من الزيجات المختلطة مثل زواج يوسف(عليه السلام) من زوجة مصرية. وكانت لموسى (عليه السلام) تجربة قدسية أصيلة، في "العليقة المشتعلة"، وقبل هذه التجربة لم يكن بنو إسرائيل قد سمعوا قط عن يهوه، الذي سيصبح إله إسرائيل. ومرة أخرى تلقى موسى الوحي على جبل سيناء.

الفصل الثاني : الرب يهوه

لم يسمع بنو إسرائيل عن "يهوه"، قبل عليقة موسى، وبالتالي فإن من المحتمل أن يكون موسى قد سمع عن "يهوه" من "يثرون"، كاهن مدين، الذي تدل الإشارة إليه في سفر الخروج، على أنه كان أرفع مقاما من موسى، في عبادة"يهوه"، وهو الذي أمَّ الطقوس الدينية، عندما وصل بنو إسرائيل إلى سيناء، بينما كون موسى وهارون وكبار بني إسرائيل جماعة المصلين، ويوافق كثير من المعلقين على أن ديانة بني إسرائيل الأولى، أخذت منبعها من الصحراء.

ومن هنا نشأ جيل جديد في الصحراء يقودهم موسى (عليه السلام)، ويؤمنون بيهوه، باعتباره قائدا حربيا، وكانت عبادة يهوه مجردة وبسيطة، حتمتها ظروف معيشة الرعاة الرحل. والمظهر البارز في تلك العبادة هو نبذ الصور، كما كانت المعابد التي أقيمت لعبادة "يهوه" عبارة عن بناء مقدس مكعب الشكل خال من الصور، فقد كان يصعب على البدو الرحل أن يحملوا معهم الهياكل المعقدة والأصنام والتماثيل في ترحالهم.

إن السرد الكامل للخروج من مصر إلى الصراع مع مؤاب التي تعيش بالقرب من البحر الميت، (مؤاب هو أكبر أبناء لوط عليه السلام)، هذا السرد واضح وسائغ إلا أنه أصبح معقدا بكثرة ما أضيف إليه فيما بعد، بالإضافة لتناول وصف الطقوس الدينية في هيكل أورشليم، والتشريعات التي كانت تحكم المجتمع الزراعي.

وقد توفي موسى ودفن على جبل "نبو"، وهبط بنو إسرائيل من الجبال الشديدة الانحدار وضربوا خيامهم في مخاضة الوادي تجاه "أريحا"، ويذكر العهد القديم بأن

http://kotob.has.it

العدد الإجمالي لبني إسرائيل، كان ستمائة ألف رجل في سن الجندية، وبالتالي يوحي هذا الرقم بأن العدد الإجمالي للعشيرة هو مليونان من الأنفس، وهناك قول آخر يشير بأن العدد كان ١٥ ألفا أو ١٦ ألفا؛ لأنهم كانوا قادرين على أن يسقوا من بئر واحدة، وأنهم ساروا حول أريحا سبع مرات في صباح واحد، وبالتالي يصعب القول بأنهم كانوا أكثر من ذلك عددا.

الفصل الثالث : الغزو

ويذكر الكاتب جلوب هنا، أنه قبيل وصول بني إسرائيل إلى أريحا بفترة قليلة، كان الفلسطينيون القدماء قد استقروا على السهل الساحلي الجنوبي، وكانوا هؤلاء الفلسطينيون غزاة جاءوا عن طريق البحر من جزيرة كريت وأرخبيل بحر إيجة . ويحتمل أنهم تعرضوا لغزو شعب فاتح من شعوب الشمال، فطردوا من أرضهم وديارهم، وقد وصلت جماعات أخرى منهم إلى مصر ولبنان في نفس الوقت. وكان الفلسطينيون القدماء أكثر تقدما من بني إسرائيل بصورة ملحوظة.

وتتساءل مقدمة كتاب العهد القديم: كيف أصبح بنو إسرائيل هم شعب الله دوناً عن شعوب الأرض جميعا؟

وتجيب أسفار موسى الخمسة : "لأن الوعد المقدس قطع لإسرائيل". إلا أن هذه الإجابة غير شافية، لأنها تعني أن الله اختار إسرائيل لأنه وعد أن يختار إسرائيل.

ولقد أشيع بأن صفات بني إسرائيل الأقدمين كانت صفات فريدة في العالم القديم، وأن اهتمامهم بالفقراء كان اهتماما منقطع النظير. فالديانات مثل الديانة المجوسية تعرف القدرة الإلهية والقداسة والطهارة والصلاح، أما العدالة التي تحنو على الضعفاء والمنبوذين رحمة بأولئك الذين أهملتهم الدنيا، فهو أمر فريد في ديانة إسرائيل.

ويعقب الكاتب على ذلك، بأن هذه المقولة بالنسبة للدين الإسلامي خاطئة؛ لأن الآية الثالثة عشر وما بعدها من سورة البلد، تصف السلوك الذي يرضى عنه الله بأنه : {فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسبغة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة}، وهكذا ينصف الإسلام الفقراء والضعفاء بحيث يراه بعض الكتاب العصريين على أنه ثورة الفقراء على الأغنياء.

http://kotob.has.it

ويذكر سفر يشوع أن يشوع غزا كل سلسلة الجبال من الخليل إلى شكيم وبأنه مسحها وقسمها بين الأسباط، عندما استنجد بـه ملـك أورشـليم تـسلل بنـو إسـرائيل إلى الـبلاد، وتوصلوا إلى تفاهم مـع الـسكان، ويـذكر الموقـف النـاجم عـن هـذا الغـزو في سـفر القـضاة كالآتي:

"فـسكن بنـو إسـرائيل في وسـط الكنعـانيين، والحيثـيين، والأمـوريين، والفـرزيين، والحويين، واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نـساء، وأعطـوا بنـاتهم لبنـيهم وعبـدوا آلهتهم".

وتدل عبارة "سكنوا بينهم" على أنهم كانوا يضربون خيامهم بـين القـرى، كمـا تـدل أيضا على أن بني إسرائيل كانوا أقل عددا من "أهل البلاد"، ومنذ ذلك الوقت فـصاعدا، لم تقع حرب مع الكنعانيين على امتداد الجبل، فقد اندمج بنو إسـرائيل وإيـاهم، وإنمـا هب قادة الحرب كلما هاجم الجيران الخارجيون منطقتهم.

الفصل الرابع: أيام مجيدة

تطالعنا في بداية هذا الفصل قصة المذبحة، حيـث يـذكر المؤلـف أنـه في فـترة حرجـة للإسرائيليين، علا صيت النبي شموئيل (صموئيل) ولكنه كان قد بلغ من الكبر عتيا، ولم يكن من أبنائه من يستطيع تحمل أعباء القيادة، فذهب شيوخ بني إسرائيل إليـه طـالبين ملكا يتولى قيادتهم، فحذر فى البداية مـن ذلـك، ولكنـه عـاد ليتلقـى الأوامـر مـن يهـوه لينصب عليهم ملكا، وكان هذا الملك هو (شاؤل)، ثم طلب شموئيـل مـن شـاؤل أن ينـتقم ممن أغار على بني إسرائيل، منذ مائتي سنة، بناء على طلب يهـوه، الـذي أمـره بـذبح جميع النساء والرجال والأطفال، وذبح جميع الحيوانات الموجودة على قيد الحياة. وقتل شاؤل جميع الكائنات الحية باستثناء رئيس القبيلة وبعض الماشية.

وجاء شموئيل لمقابلة شاؤل واستنكر عدم إطاعته للأوامر؛ لأن "أجـاج" ملـك العمـاليق لا يزال حيا، ولأن الحيوانات لم تذبح كلها، ثم قال: "لأنك رفضت كـلام يهـوه رفـضك من الملك" وهنا أرسل شموئيل في طلب "أجاج"، فلما جاء ذبحه بيديه.

ومثل هذه المذبحة الجماعيـة لم يـشهد العـالم القـديم مثـيلا لهـا، إلا مـع إسـرائيل، ومؤاب فقط، وهذا يعني أنهما كانتا أكثر وحشية من أي مجتمـع آخـر غيرهمـا، فكيـف نوفق بين هذا و بين القول بأن الله اختار شـعب إسـرائيل، لتميـزه بالعدالـة الـتي تحنـو على الضعفاء والمنبوذين؟!

http://kotob.has.it

ثم يذكر الكتاب أن هذه الفترة تغطي تغييرات اجتماعية عميقة، تمثلت في زيادة الرفاهية وظلم الفلاحين وكانت الأسرة المالكة فاسدة تماما، فأبناء داود يغتال بعضهم البعض، وقد قتل سليمان كل إخوته. ويرى الكاتب الأديب أن البشرية التعسة تبني في خيالاتها عصورا ذهبية للماضي لتتخلص من آلام الحاضر.

وهكذا كان حكم داود وسليمان يمثلان الأيام المجيدة، إلا أن واقع الأمر، هو أن حكم داود كان سلسلة ممتدة من الثورات والحروب والاغتيالات، وفي أواخر عهد سليمان كانت الدولة تغلي بالثورة التي انفجرت بعد موته مباشرة.

الفصل الخامس: التفسخ والأفول

بعد مضي مائتي سنة من قيام مملكة داود، أى حوالي سنة ٧٢٤ ق.م، زالت المملكة الشمالية من الوجود، ونفي سكانها، فأرسل بعضهم إلى شمال العراق وأبعد البعض الآخر إلى بلاد الفرس، حيث ذابوا في السكان المحليين، وأحضر معهم خليط من السكان المستوردين، حيث كانت سياسة الآشوريين تقضي بأن يتم خلط جميع سكان إمبراطوريتهم، بحيث لا تكون هناك طوائف متجانسة فيؤدي هذا لقيام الثورات.

وقد وقع في هذه الفترة تطور عظيم، وهو ظهور الأنبياء، في ذروة فترة التفسخ، حيث حالوا دون تفتت المجتمع الإسرائيلي، وأدى إلى التقدم الروحي الذي غير وجه العالم. وفي الحقيقة، جلب حكم داود وسليمان المال إلى أورشليم، وكان سببا في إيجاد مستوى معيشة مرتفع، إلا أنه عندما صارت أورشليم عاصمة لمملكة يهودا الصغيرة، تبدل الموقف، وشيئا فشيئا، دب الفساد في يهودا، وكانت هناك فترات من التراخي الديني، أعقبها فترات من الإحياء، وأتاح لها ذلك البقاء نحو مائة وخمسة وثلاثين عاما، بعد زوال المملكة الشمالية.

وقد كانت يهودا تترسم خطى إسرائيل، فالأغنياء يظلمون الفقراء، والقضاة يقبلون الرشوة، وقد تبددت الديمقراطية الحرة، وكانت الدعاية السياسية الملكية قد أشاعت فكرتين، الأولى: أن أورشليم هي مقر يهوه ومن ثم فهي لن تقهر، والثانية: أن بيت داود سوف يحكم للأبد. وبالتالي شعر الناس أن يهوه سوف يحكم أورشليم بغض النظر عن فجور العامة. وعندما رأى "إشعياء" فساد العامة، رأى أنه لا مناص من وقوع الكارثة، وكان لابد من التوفيق بين الرأي السابق بأن أورشليم لن تقهر، وبين وقوع الكارثة، فوجد الحل في:

http://kotob.has.it

أولاً: أن الكارثة ستنزل، وأن يهوه هو الذي سينزلها بنفسه؛ لمعاقبة يهودا غير المؤمنة.

وثانياً: أن أورشليم ستبقى مقر يهوه، ويقوم وريث من آل داود ليقيم العدل ويحقق النصر، وبالتالي كانت بذور عقيدتين اثنتين، هما: القدسية الدائمة لأورشليم (أو القدس)، ومجيء المسيح المخلص. وفي عام ٥٨٦ ق.م، سقطت أورشليم، ونفي عدد من المواطنين إلى بابل، وهرب جزء كبير إلى مصر، وبذلك زالت مملكة يهودا أيضا.

ويرجع المؤلف سبب السقوط بقوله: "دفعت إسرائيل ثمن لعبها بسياسة القوة، وتقليدها السلوك الوضيع للأمم واختيارها الخاطئ للحضارة بدلا من الدين".

الفصل السادس: العزلة أو الدولية

يذكر المؤلف في بداية هذا الفصل، بأن الغزو البابلي كان بداية الشتات اليهودي، فتحطمت المعتقدات اليهودية القديمة، إذ لم يدافع يهوه عن صهيون ولم يحكم آل داود للأبد، ووجد المنفيون في مصر، وبابل، حضارات تفوق حضارتهم بمراحل، فأدركوا أن يهودا كانت صغيرة، وتساءلوا عن إمكانية أن تكون دولة صغيرة كدولتهم محل اختيار الله العظيم.

ولكن من أعماق الكارثة كانت بداية الديانة اليهودية الروحانية، فإذا كان اليهود قد حرموا من الهيكل كنقطة جغرافية يلتفون حولها، فقد أصبحت مراعاة الشريعة اليهودية، هي العلامة المميزة لليهودي، كما أعيدت كتابة أسفار موسى الخمسة، وتميز المجتمع اليهودي في بابل بالنشاط الفكري العظيم.

ثم يتحدث المؤلف عن "عزرا"، الذي غير تاريخ اليهود، حيث منع الزواج بين اليهود وبقية البشر، بإدخاله فكرة الأمة المقدسة، و"الجنس المقدس"، الذي يتلوث دمه بالتزاوج من بقية بني الإنسان، وكان يهدف من ذلك إلى فصل أولئك الذين اعتنقوا الديانة اليهودية، عن بقية البشر. وكانت هذه هي بداية الانعزالية اليهودية.

الفصل السابع: اليهود يملأون العالم

ينقل المؤلف عن "سترابون"، العالم الجغرافي فى العصرين اليوناني الرومانى (ولد عام ٦٣ ق.م) قوله: "إن اليهود كانوا يملأون الدنيا، حوالي عام ٨٧ ق.م، وكان يصعب أن

http://kotob.has.it

تجد مكانا في الدنيا، ليس فيه جالية يهودية ضخمة، ذات نفوذ كبير"، ومن الأرجح أن عددهم خارج يهودي كان مساويا لأربعة أمثال أو خمسة أمثال عددهم في يهودا".

ويشير "جان جوستر" إلى "حمى التهوّد"، التي ظهرت في القرنين السابقين لظهور المسيح، وذلك أن اليهود كانوا أكثر تقدما في الروحانيات من اليونانيين والرومانيين،الذين كانوا يعانون من الجدب الروحي. وكانت الديانة اليهودية في هذه الفترة قد وصلت، في هدوء، إلى مستويات أخلاقية جديدة، حيث بدأت تعظ بأن الله ينبغي أن يعبد لذاته، لا طمعا في جزائه، وكانت الأسفار الخفية، التي لا يعترف بها اليهود ضمن أسفار العهد القديم، مليئة بالجمال والحكمة.

تحمس اليهود ا تحمسا شديدا لتغيير دين العالم، لاعتقادهم أن الدين الحق يجب أن يكون دينا شاملا، وأن يهوه هو رب العالمين، وليس رب إسرائيل فقط. ورغم هذا الحماس، إلا أنهم ظلوا يتوقون للاحتفاظ بدور الرئيس لأنفسهم، وبالتالي ظهر التعارض بين فكرة تحويل العالم إلى الديانة اليهودية من جهة، وبين سيادة اليهود المستمرة من جهة أخرى، وكان الحل هو أن الوثني الذي تغيير دينه تتبناه الطائفة اليهودية، وينكر عائلته القديمة تماما. وكان هذا عقبة في وجه كثيرين ممن رغبوا في التحول لليهودية،لكنه ضمن الإبقاء على الصفات المميزة للطائفة اليهودية، وهكذا بقيت الديانة اليهودية طائفية.

الفصل الثامن: الهيروديون (ملوك اليهودية عند مولد المسيح)

يذكر المؤلف في هذا الفصل، أن اليهود لم يمتلكوا "فلسطين"، ابتداء من الرجوع من بابل، إلى تدمير الهيكل سنة ٧٠م، ولكنهم كانوا يسيطرون فقط على مقاطعة يهودا الصغيرة.

وقد غزا الحشمونيون الأدوميين، وسكان الجليل، حيث أجبروهم على إجراء عملية الختان قسرا، وقد أصبح كل هؤلاء يهودا بالدخول في ديانة اليهود، دون أن يكونوا يهودا من أصل أسلافهم. ولم يحدث قط أن احتل اليهود السهل الساحلي. وقد أصبح الحشمونيون فيما بعد أوغادا قساة القلوب، وابتداء من عام ٤٠ قبل الميلاد فصاعدا تمتعت يهودا تحت حكم هيرود بالثراء والأمن لأول مرة وظل هذا السلام مدة ٣٤ عاما.

http://kotob.has.it

وابتداءً من عام ١٦٦ ق.م، وحتى عام ١٣٥ م، أي طوال ثلاثة قرون، من الزمان كانت فلسطين غارقة في لجة من الدم، بسبب العدوان اليهودي العسكري، إلا أنه مع ذلك كانت هناك بذرة دقيقة تنمو في قلب هذه الوحشية، أدت بالعالم إلى الرقة الروحية، فكان من الكارثة التي جلبها هؤلاء المغتصبون على أنفسهم أن ظهر مفهوم الله الواحد، رب العالمين، مالك الملك، وصاحب الأمر. تلك مشيئة الله ولا راد لمشيئته.

الفصل التاسع: انهيار الكفاح

يقرر المؤلف في هذا الفصل، أنه تحت حكم الرمانيين، انطلقت يهودا مرة أخرى في عزلتها الحربية التي أدت إلى تدهور الديانة الروحانية، وقيام الكراهية العنصرية، كما حدث تحت حكم الحشمونيين، قامت حركات عنيفة من كراهية الأجانب، وأعدت التوجيهات في يهودا بغرض قطع أي اتصال العالم، وحرم أكل كل شيء يتناوله غير اليهود، أو قبول هداياهم، أو تعلم لغتهم. ومع هذا كان معظم أحبار اليهود، يؤمنون بأن واجب إسرائيل هو تغيير ديانة العالم.

ويقول المؤلف: إن النظرية القائلة بأن اليهود، تعرضوا للاضطهاد بصفة دائمة، هى نظرية صائبة بصفة جزئية، ولكن لابد من تحليل بعض العوامل، على أساس تاريخي.

أولا: لم يكن المتطرفون الذين ثاروا ضد روما هم أغلبية اليهود في فلسطين، ومما يثير الدهشة أن أكثرهم كانوا ممن اعتنق الديانة اليهودية، ولم يعترف بهم اليهود باعتبارهم ليسوا من أصل يهودي. ويبدو أن وازعهم لم يكن دينيا، حيث كانوا يقتلون الحاخامات، ويدنسون الهيكل، ولعل وازعهم كان شهوة السلطة والجشع. أما طوائف اليهود المسالمة، فكانت تتمتع بحماية أباطرة الرومان. صحيح أن معاملة الأسرى كانت وحشية، ولكنها كانت متماشية مع روح العصر وعاداته آنذاك.

ثانيا: لا يمكن القول بأن الروم طردوا اليهود من فلسطين؛ لأن اليهود في فلسطين كانوا خمس اليهود في العالم، وكانت هناك مشاغبات من اليهود في الإسكندرية، وطرابلس في بداية الحرب، وفيما عدا ذلك لم يتأثر اليهود في العالم، بل إن امتيازاتهم، لم يتغير منها شيء، ويبدو أن الإمبراطورية اعتبرت هذه الحوادث مجرد تمرد في فلسطين، وليست ثورة من جانب اليهود. كما أن التدمير الذي أصاب يهودا لا يمكن اعتباره اضطهادا دينيا؛ لأن كثيرا من اليهود كانوا يساعدون الرومان، حيث كان في معسكر الرومان اثنان من الحاخامات العظام السابقين.

http://kotob.has.it

وترد هنا ملاحظة هامة، وهي أنه منذ عصر تمرد بركوخبا وحتى ظهور الصهيونية، كان يتم التعبير عن المفهوم السياسي الرئيسي لليهودية، من خلال العهود التلمودية الثلاثة التي أمر بها الرب، ويمكن إيجازها فيما يلي:

١ـ عدم حدوث حركة انتقال جماعية (هجرة) لليهود من بلاد الشتات إلى "أرض إسرائيل"، (فلسطين).

٢ـ عدم الثورة على شعوب العالم.

٢ـ ألا يحدث إفراط في اضطهاد الشعوب الأخرى لليهود.

ولذلك كانت الصهيونية محرمة، وحاولت الصهيونية المعاصرة إعادة تفسير تلك العهود، والحد من قوتها، فزعمت على سبيل المثال أن: "كانت العهود بمثابة صفقة متكاملة، وحيث أن شعوب العالم لم تلتزم بما عليها في الصفقة، طبقا لما جاء في العهد الثالث، فإن اليهود المعاصرين يمكنهم الهجرة الجماعية إلى فلسطين".

وعلى العكس من ذلك، نجد تفسير الطائفة المتشددة دينيا والإصلاحيين المعارضين للصهيونية يستغلون العهود ذاتها لتجريح الصهيونية، بمعنى أن انتهاك اليهود للعهود، بسعيهم لتنفيذ المشروع الصهيوني، هو الذي أدى إلى "الهولوكوست"، أي محارق اليهود.

١١ - إشكاليات تدوين التوراة

يؤمن اليهود بأن التوراة (أسفار موسى الخمسة)، التي بين أيدينا اليوم، قد كتبت بواسطة موسى، وقد أيدت طائفة "الفريسيين" هذا الرأي بإصرار شديد، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين. كذلك فان العلامة اليهودي المشهور "موسى بن ميمون" (١١٣٥ – ١٢٠٤)، أكبر فلاسفة اليهود في الأندلس في العصور الوسطى، أشار في العقيدة الثامنة من بين الثلاثة عشرة عقيدة : "أنا أؤمن إيمانا تاما أن التوراة الموجودة الآن بأيدينا هي التي منحت لسيدنا موسى عليه السلام". و في العقيدة التاسعة يقول : "أنا أؤمن إيمانا كاملا بأن هذه التوراة لا تتغير ولا تكون شريعة (توراة) أخرى من لدن الخالق تبارك اسمه".

http://kotob.has.it

شغل كتاب "العهد القديم" بكل أسفاره الأربعة والعشرون محل اهتمام ودراسة ومراجعة وتمحيص ونقد مستمرين عبر تلك الفترة التاريخية المتدة منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى الآن.

وتعتبر قضية النص الأصلى للأسفار الربعة والعشرون، التى تضمنها "المقرا" (الاسم العبرى الشائع لأسفار العهد القديم)، من القضايا الصعبة والمعقدة فى أبحاث أسفار "العهد القديم" و"الفيلولوجيا" (اللغة) العبرية القديمة. ويمكن القول بكل تأكيد، أن هناك شك فى أن تجد مثل هذه القضايا حلاً نهائياً وقاطعاً، ليس فقط لأننا لا نملك مخطوطات مكتوبة، كتبها مؤلفو أسفار "التناخ" (اسم يطلق على أسفار العهد القديم، اختصار لأجزائه الثلاثة التى يتكون منها وهى: التوراة، وأسفار الأنبياء، وأسفار المكتوبات)، يمكن أن تتضمن إجابة شافية على القضية، بل يرجع هذا الأمر فقط، إلى كون المخطوطات المتوفرة لدينا، وهى كثيرة، وليست موحدة فى نسخها وكتبت فى مراحل متأخرة تاريخياً نسبياً (حتى الملفات المكنوزة وحتى تم اكتشافها منذ حوالى ألفى عام وأحدثت ثورة فى عالم دراسة نص "المقرا"، وحتى هذه النسخ هى الأخرى كتبت وتم نسخها بعد تأليف أسفار المقرا بقرون عديدة)، ولكن المرحلة الأولى "المقرا"، كانت، بشكل عام، بمثابة توراة شفهية: "الأقوال التى تقال شفاهة ليس من حقك أن تدونها كتابة" (قسم "جيطين" (الطلاق) من أجزاء المشنا، ٦٠: ٧٢) على لسان الأنبياء والحاخامات، وليست توراة مكتوبة، كما كان الأمر فى الفترات المتأخرة أكثر، ونعنى بذلك بالطبع ما بعد إختراع الطباعة، حيث أن نسخة أصلية واحدة، بتوقيع من المؤلف وبتصديق منه عليها، تخرج من ماكينة الطباعة. واستناداً إلى ما أورده البروفيسور مناحم كاهان فى الكتاب عن سفر إشعيا: "حتى فى مجال التفسيرات المتأخرة نسبياً، لم نخط بصورة خطية لأى مفسر من المفسرين "، فما بالكم إذا كان الأمر يتعلق بأسفار "المقرا" نفسها.

وفى مثل هذه الظروف، التى ينطق فيها المتحدث نفسه (والذى لم يخطر على باله تدوين ما يقوله كتابه) بروايات مختلفة شفاهة، تنتقل بدورها من فمه إلى آذان الآخرين، فى مثل هذه الحالة، يكاد يكون من المستحيل التحدث عن "رواية أصيلة" كتبت بيد المؤلف، سواء كان نبى أو مشرع أو كائناً ما كان.

http://kotob.has.it

وبالرغم من هذه القيود الموضوعية، فإن الباحثين لم يتخلوا عن فكرة وجود أو إعادة صياغة "النسخة الأصلية".

لقد كانت هناك، حتى عام ١٩٤٧م، ثلاثة نصوص، تنسب جميعها إلى "العهد القديم" وهى:

١- النص "الماسورى"، نسبة إلى علماء ضبط وتنقيط النص "الماسورة" (المتوارث)، التى اعتبرها علماء التلمود "سياج الشريعة"، وقد تم الانتهاء منه فى القرن الخامس الميلادى على يد علماء طبرية وحاخامات بابل، وهو النص المعتمد حتى الآن بالعبرية.

٢- النص السامرى، ويضم أسفار موسى الخمسة السامرية، ويعود هذا النص إلى القرن الرابع ق.م، وهو مكتوب بالأحرف القديمة، وليس بالخط العبرى. ولا يتضمن هذا النص أسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات، لأن السامريين لا يؤمنون بها.

٣- النص السبعينى، وهو النص اليونانى الذى قام بترجمته عدد ٧٢ حاخاماً يهودياً، لكى يستطيع يهود الاسكندرية قراءة أسفار العهد القديم باليونانية. وقد بدأ العمل فى هذه الترجمة خلال الفترة ما بين ٢٨٥ و٢٨٤ ق.م فى عصر بطلميوس فيلادلفوس. وقد امتدت الترجمة الكاملة لفترة لفترة طويلة على مراحل، واستمرت حتى ١٣٢ق.م، وضمت الترجمة عددا من الأسفار غير القانونية (الأبوكريفا).

وقد ظلت هذه النصوص الثلاثة، وهى المتعارف عليها إلى أن ظهرت لفائف البحر الميت (نصوص قمران) التى تعتبر أقدم نصوص المخطوطة لأسفار العهد القديم، وخاصة سفر إشعيا وقصة إستير وقصة الطوفان وغيرها.

وقد أدى تعدد المصادر إلى ظهور مدرسة "النقد النصى"، والتى تنقسم إلى اتجاهين:

١) الدراسة النقدية العليا ***Higher criticism***: وهو النقد المعنى بالنقد الموضوعى للمحتوى الفكرى والدينى لأسفار العهد القديم، وتطور العالم الروحى الدينى فى المراحل التاريخية القديمة.

٢) الدراسة النقدية ***Lower criticism***: وهو النقد المعنى بالجانب اللغوى الخاص بمحاولة استعادة "النص الأصلى"، من خلال تتبع الأخطاء الإملائية، ونهايات الكلمات المتشابهة مع بدايات الكلمات التالية لها، وتبادل الأماكن فى الكلمة الواحدة، والتكرار اللفظى فى النص، والكلمات المكتوبة بلهجات قديمة، وكتابة حرف بدلاً من حرف، أو تكرار سطر بدلاً من سطر، وتشابه بعض الحروف فى الكتابة... إلخ.

http://kotob.has.it

وفى الحقيقة، فإن قضية "النقد النصى" لأسفار العهد القديم، لا يرجع الفضل فيها إلى العلماء اليهود والمسيحيين فى أوروبا، فى القرن التاسع عشر، بل إن الفضل الرئيسى فيها يعود إلى أحد علماء اليهود، فى العصور الوسيطة، وهو أفراهام بن عزرا، الذى يعتبر أول من قدم دراسة نقدية موضوعية لأسفار العهد القديم.

لقد قام "أفراهام بن عزرا"•، و هو احد علماء اليهود في العصور الوسطى، الذين كانوا يتميزون بالفكر الحر بالتنبيه إلي أن موسى لم يكن هو مدون التوراة، ولكنه لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه مباشرة و اكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة. وفيما يلي أقوال ابن عزرا في شرحه على سفر التثنية : "فيما وراء نهر الأردن ...لو كنت تعرف سر الاثنتي عشرة...كتب موسى شريعته أيضا...و كان الكنعاني على الأرض...سيوحى به على جبل الرب...هاهو سريره، سرير من حديد، حينئذ تعرف الحقيقة" . بهذه الكلمات المبهمة الغامضة أثبت "ابن عزرا" أن موسى ليس هو مؤلف التوراة، و أن مدونها أشخاص آخرون عاشوا بعده بزمان طويل، وأن موسى كتب سفرا مختلفا، وللبرهنة على ذلك يذكر الأدلة التالية:

١ – أن موسى لم يكتب مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن.

٢ – أن سفر موسى نقش كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد يتكون من اثني عشر حجرا حسب عدد الأسباط: "يوم عبوركم إلى الأرض التي يعطيها الرب إلهك تنصب لك حجارة عظيمة وتطليها بالكلس . و متى عبرت تكتب عليها جميع كلام هذه التوراة . فإذا عبرتم الأردن تنصبون هذه الحجارة التي أنا أمركم بها اليوم و تبنون هناك للرب إلهكم مذبحا من الحجارة لا ترفعون عليه حديدا. من حجارة منحوتة تبنون مذبحا للرب إلهكم. و تذبحون الذبائح وتكتبون على الحجارة جميع كلام هذه التوراة كتابة واضحة". (تثنية ٢٧ : ٢ – ٨) "و كتب هناك على الحجارة تثنية اشتراع موسى التي كتبها بحضرة بني إسرائيل" (يشوع ٨ : ٣٢)

• أفراهام بن عزرا: حظى بشهرة كبيرة جداً بين شخصيات العائلة اليهودية المرموقة، عائلة ابن عزرا. ولد عام ١٠٩٢ وتوفى ١١٦٧. اشتهر كباحث فى النحو العبري وكمفسر حاذق للأسفار المقدمة وكفيلسوف وشاعر ممتاز. ترجع شهرته الواسعة إلى إقامته الطويلة فى بلدان أوروبا (إيطاليا ــ فرنسا ــ انجلترا) حيث قدم لهم كل إبداعات العلماء اليهود فى الأندلس، فى اللغة وتفسير المقرا. اشتهر بصفته خاصة بسبب تفاسيره التى كتبها عن أسفار العهد القديم والتى ألفها أثناء اقامته فى بلاد الفرنجة باللغة العبرية.

http://kotob.has.it

وينتج عن ذلك أن سفر موسى كان في حجمه اقل بكثير من الأسفار الخمسة، وهذا ما قصد إليه "ابن عزرا" بقوله: "سر الاثنتي عشرة"، ما لم يكن يقصد اللعنات الاثنتي عشرة في الإصحاح المذكور من قبل في سفر "التثنية"، الخاص بموت موسى، والذي يتكون من اثنتي عشرة فقرة . المهم إن حجم التوراة كان بحيث لو كتبت على حجارة المذبح لكان المذبح يسع ذلك، و لو كانت التوراة عبارة عن هذه الكتب الخمسة لما أمكن ذلك.

٣ – ورد في سفر التثنية الإصحاح الحادي و الثلاثون الفقرة التاسعة : "وقد كتب موسى هذه التوراة "، و يستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك، بل لابد وأن يكون قائلها كاتبا آخر يروي أعمال موسى و يسرد أقواله.

٤ – في الفقرة السادسة من الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين يقص الراوي رحلة "إبراهيم" عليه السلام في بلاد الكنعانيين، و يضيف و الكنعانيون (والكنعاني) حينئذ في الأرض، و هذا يدل بوضوح على أن الأمر لم يعد كذلك عندما كان يكتب و يدون . فلابد إن هذه الكلمات كتبت بعد موت موسى، و بعد إن طرد "الكنعانيون" ولم يعودوا يشغلون هذه المناطق. و يشير "ابن عزرا" إلى هذا المعنى بوضوح عند شرحه لهذا النص نفسه فيقول :" و كان الكنعاني حينئذ في هذه الأرض، قد يعني هذا أي كنعاني، حفيد" نوح"، استولى على هذه الأرض التي كان يحتلها من قبل شخص آخر، فان لم يكن المر كذلك، فهناك سر على من يعرفه ألا يبوح به . أي أنه إذا كان كنعان قد استولى على هذه البقعة من الأرض، و يكون الراوي أراد أن يبين الوضع لم يكن كذلك من قبل عندما كانت أمة أخرى تقطنها . أما لو كان كنعان هو أول من فاح هذه البقاع (كما يتضح ذلك من الإصحاح العاشر من سفر التكوين : "و كانت تخوم الكنعانيون من صيدون و أنت آت نحو جرار إلى غزة و أنت آت نحو سدوم و عمورة و أدمة و صبوئيم إلى لاشع" (تكوين ١٠ : ٩) لكن قصد الراوي أن الوضع لم يكن كذلك وقتما كان يكتب، وإذن فالراوي لمن يكن موسى لأن الكنعانيين في زمان موسى كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض، و هذا هو السر الذي يوحي ابن عزرا بكتمانه.

٥ – جاء في الإصحاح الثاني و العشرين في الفقرة الرابعة عشرة من سفر التكوين أن جبل "موريا" سمي "جبل الله"، و هذا الجبل لم يسمى بهذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء المعبد، و هذا الاختيار متأخر عن موسى في الزمان . والواقع أن موسى لا يشير إلي

http://kotob.has.it

أي مكان اختاره الله، بل انه تنبأ أن الله سيختار بعد ذلك مكانا سيطلق عليه اسم اله : "و سمى "إبراهيم" ذلك الموضع الرب يرى و لذلك يقال اليوم جبل الرب يرى" و بطبيعة الحال فان الراوي و ليس "إبراهيم" هو الذي سمى الجبل بهذا الاسم.

٦ – في الصحاح الثالث من "سفر التثنية" تدخل بعض الكلمات في الرواية الخاصة "بعوج الملك باشان": "و لقد بقي عوج الملك باشان وحده من بين العمالقة الآخرين ها هو سريره، سرير من حديد هذا السرير الذي طوله تسعة اذرع الموجود في ربة بني عمون .... الخ" . هذه الإضافة تدل بوضوح تام على إن من كتب هذه الأسفار عاش بعد موسى بفترة طويلة . فطريقته في الحديث عن الأشياء طريقة مؤلف يروي قصصا قديمة جدا، ويذكر بعض الآثار التي مازالت باقية من هذا الزمن القديم ليجعل كلامه موثوقا به . وفضلا عن ذلك فلا شك أنه لم يعثر على هذا السرير الحديدي إلا في عصر "داود" الذي استولى على "ربة بني عمون" كما يروي(صموئيل الثاني ١٢ :٣٠): "فجمع داود كل الشعب ذهب إلى ربة عمون وحاربها وأخذها . و اخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب ومع حجر كريم و كان على راس داود . و أخرج غنيمة المدينة كثيرا جدا" . و ليست هذه هي الإضافة الوحيدة ، إذ يضيف المدون بعد ذلك بقليل إلى كلمات موسى هذا الشرح : "يائير بن منسى اخذ كل كورة رجوب إلى تخم الجشوريين و المعكيين ودعاها على اسمه باشان حووت يائير إلى هذا اليوم" . وهذه الكلمات كانت لشرح الفقرة السابقة التي ورد فيها : "و بقية جلعاد و كل باشان مملكة عوج أعطيت لنصف سبط منسى، كل كورة أرج مع كل باشان، وهي تدعى ارض الرفائيين." ولا شك أن العبرانيين المعاصرين لهذا الكاتب المدون كانوا يعرفون بلاد يائير التي تنتمي إلى سبط يهودا، و لكنهم لم يعلموا أنها تحت حكم أرجوب و أنها ارض العمالقة (الرفائيين)، لذلك اضطر إلى أن يشرح ما هي هذه البلاد التي كان يطلق عليها قديما هذا الاسم، وأن يخبرنا و الوقت نفسه لم سماها باسم "يائير"، مع أنهم ينتمون إلى سبط "يهودا" لا إلى سبط "منسى" : " ثم دخل حصرون على بنت ماكير أبي جلعاد و اتخذها و هو ابن ستين سنة فولدت له سجوب، و سجوب ولد يائير و كان ثلاثة و عشرون مدينة في ارض جلعاد . و اخذ جشور و أرام حووث يائير منهم مع قفاة و قراها ستين مدينة" (أخبر الأيام الأول ٢ : ٢٢ — ٢٣) .

http://kotob.has.it

كانت هذه هي ملاحظات "بن عزرا"على سفر "لتثنية" ليدلل بها على أن موسى ليس هو كاتب التوراة وبالإضافة إلى هذه الشواهد يمكن إضافة الشواهد التالية :

أن الحديث يجري عن موسى بضمير الغائب ، كما يعطي المدن عنه شهادات كثرة مثل : "و تكلم الله مع موسى، و كان الله مع موسى وجها لوجه"، "وكان موسى رجلا حليما جدا أكثر من جميع الناس" (العدد ٢٥ : ٣)، "فسخط موسى على وكلاء الجيش" (العدد ٣١ : ١٤)، "و موسى رجل الله" (التثنية ١٣: ١)، "لقد مات موسى خادم الله و لم يقم بعد نبي في إسرائيل كموسى".

وعلى العكس من ذلك نجد أن موسى يتحدث و بعض أفعاله بضمير المتكلم في سفر "التثنية" الذي كتبت فيه الشريعة التي شرعها موسى فيقول: "كلمني ربي" (تثنية ٢ : ١ ، ١٧ ... الخ)، و "رجوت الرب"، و ذلك فيما عدا نهاية السفر حتى يستمر المودن في حكاية الرواية الخاصة بإعطاء موسى الشريعة للشعب وشرحها لهم، و كيف أعطاهم التحذير الأخير و كيف انتهت حياته، كل ذلك اعني طريقة الكلام و الشواهد و مجموع نصوص القصة كلها يدعو للاعتقاد بان موسى لم يكتب هذه الأسفار و لكن كتبها شخص آخر .

٢ – في الفقرة الخامسة و السادسة و السابعة في الإصحاح الرابع و الثلاثين من سفر التثنية ترد قصة موسى عبد الرب : " فمات هناك موسى عبد الرب في ارض موآب حسب قول الرب . و دفنه في الوادي في ارض موآب مقابل بيت فاغور و لم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم . و كان موسى ابن مئة و عشرين سنة حين مات و لم تكل عينيه و ولا ذهبت نضارته ، فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوما . فكلمت أيام بكاء مناحة موسى ..." و في الفقرة العاشرة : "و لم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه"

و هذه شهادة ليس من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص أتى بعده مباشرة، بل شخص عاش بعده بقرون طويلة ولاسيما أن المدون قد استخدم صيغة الفعل الماضي "و لم يقم من بعد نبي في إسرائيل"، و يقول عن القبر " و لم يعرف احد قبره إلى يومنا هذا " بمعنى أن الفترة التي كتبت فيها هذه الكلمات كانت كافية لأن ينسى الناس موضع دفن نبي اليهودية بحيث لا يكون أحد في زمن المدون لهذه الفقرات يعرف قبره".

http://kotob.has.it

٣ – تحدث المدون في التوراة بصيغة الماضي في أمور لم تقع إلا بعد موت موسى بزمان طويل و من ذلك:

أ – يخبرن سفر التكوين (٣٦ : ٣١) " و هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما يملك ملك لبني إسرائي "، و المدون هنا، بلا شك، يتحدث عن الملوك الذين كانوا يحكمون الأدوميين قبل أن يخضعهم داود لحكمه، أي أن كاتب هذه الفقرة عاش بعد أن عرف بنو إسرائيل نظام الملكية . و معروف أن بني إسرائيل عرفوا الملكية بعد موسى بأكثر من قرنين " حيث تم تنصيب أول ملك متوج على بني إسرائيل و هو شاؤول (طالوت) و حكمهم بين سنة ١٠٢٥ ق.م وسنة ١٠١٠ ق.م .

ب – أن بعض الأماكن وردت بأسماء لم تكن تعرف بها في زمن موسى، بل أطلقت عليها بعده بزمن طويل ففي الفقرة الرابعة عشرة من الإصحاح عشر من سفر التكوين يقول المدون عن سيدنا إبراهيم أنه " تتبع أعداءه إلى مدينة دان" في حين أننا نعرف من سفر (القضاة ١٨ : ٢٩)، أن هذه المدينة كانت تسمى "ليش" و ليس دان، وسميت دان بعد عصر موسى .

ج – تمتد بعض الروايات إلى ما بعد موت موسى بزمان، ففي الفقرة الخامسة والثلاثين من الإصحاح السادس عشر من سفر الخروج نقرأ : "وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة، حتى جاءوا إلى ارض عامرة . أكلوا المن حتى جاءوا إلى ارض كنعان"، والمعروف أن بني إسرائيل لم يدخلوا ارض كنعان إلا في زمن يشوع بن نون، أي بعد موت موسى بفترة طويلة.

د – في سفر العدد الإصحاح الخامس عشر الفقرة الثانية و الثلاثين نجد حديثا عن الفترة التي كانوا تائهين فيها في سيناء، على صورة من يذكر أمرا بعيد العهد طال عليه القدم : "و لما كان بنوا إسرائيل في البرية وجدوا رجلا يحطب حطبا في يوم السبت".

هـ – استعمال المصطلح "عبر الأردن" للدلالة على الضفة الشرقية لنهر الأردن : "هذا هو الكلام الذي كلم به موسى إسرائيل في عبر الأردن في البرية" (التثنية ١ : ١).

وهو ما يقتضي أن يكون مقيما في الضفة الشرقية للنهر، و المعروف أن بني إسرائيل لم يعبروا النهر من غربيه إلى شرقيه إلا بعد إن قضى موسى وخلفه على الزعامة خادمه "يشوع بن نون" .

http://kotob.has.it

٤ – سن لهم قوانين لم يكن لم يكن ثم وجه للتحدث فيها إلى قوم غير قطان المدن ضربت بسهم ميدان الحضارة، و ذلك على حين أنهم كانوا مازالوا يضربون في تلك الفيافي المقفرة، و هو ما يقطع بان تلك القوانين قد سنت بعد موت موسى بقرون .

أ – ففي الفقرات ٢٥ – ٢٧ من الإصحاح التاسع عشر سفر اللاويين : "وحتى دخلتم الأرض و غرستم كل شجرة للطعام تحسبون ثمرها عزلتها. ثلاث سنين تكون لكم غلفاء لا يؤكل منها . و في السنة السابعة يكون كل ثمرها قدسا لتمجيد الرب. و في السنة الخامسة تأكلون ثمرها" . فهو في هذه الفقرات ينهيهم عن ثمار الشجر الذي ماتوا و انقرضوا دون أن يزرعوه، قبل أن تنقي على غرسه خمس سنوات .

ب – و فرض عليهم فريضة يؤدونها إلى الكاهن عند إجراء التعداد العام فأوجب عليهم أن يدفعوها إليه مضروبة في سكة القدس . ففي(سفر الخروج ٣٠: ١٢ — ١٣) "يعطون كل واحد فدية نفسه للرب عندما يعدهم يصير فيهم وباء عندما تعدهم. هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف الشاقل بشاقل القدس" . و في سفر العدد ٣ : ٤٧ " و أما فداء المائتين و الثلاثة و السبعين الزائدين على اللاويين من أبكرا بني إسرائيل فتأخذ خمسة شواقل لكل رأس . على شواقل القدس تأخذها" .

و من المعلوم أن مدينة القدس لم تكن قد فتحا اليهود في عصر موسى، ولم تكن قد ضربت فيها عملة بعد، فالحديث في عملتها مقدما خطأ في الترتيب الزمني للحوادث.

ج – أوجب على كل امرأة والدة أن ببذل للكاهن زوجي حمام عن كل مولود تضعه. ففي (سفر اللاويين ١٢ : ٦ – ٨) :

"ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حولي محرقة و فرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن..و أن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحد محرقة و الآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن".

ومن الواضح إن الحمام لم يكن في متناول أولئك الضالين في الصحراء الذين لم يجدوا غير المن طعاما.

د – حدد أن على الكهنة أن يتخذوا من الكتان ستائر يسدلونها و ثيابا يلبسونها ففي سفر اللاويين ٦ : ١٠

http://kotob.has.it

" ثم يلبس الكاهن ثوبه من كتان و يلبس سراويل من كتان على جسده". وأن يتخذوا لهم أمتعة و حليا من الذهب و الفضة مرصعة بالجواهر و الأحجار الكريمة .

وحرم عليهم أن يذوقوا خمرا أو يأكلوا عنبا.

وبطبيعة الحال فإن الحديث عن كل هذه الأشياء : الكتان و الزيت و جلود الكباش والمنسوجات والذهب لا يمكن أن يحدث وبني إسرائيل تيه صحراء سيناء، وهم الحديث عن كل هذه الأشياء : الكتان و الزيت و جلود الكباش و المنسوجات والذهب لا يمكن أن يحدث و بني إسرائيل تيه صحراء سيناء، وهم في تيه صحراء سيناء، و هم ما زالوا بدوا لا يملكون شيئا . فكل هذا الحديث دليل على أن هذه التوراة كتبت بعد أن استقر اليهود في فلسطين وأصبحت لهم شريعة مكتوبة .

٥ – أنه من المفروض أن سيدنا موسى جاء بكتاب التوراة بلغته و لغة قومه، و لما كان بنوا إسرائيل في أرض مصر لفترة ٤٣٠ عاما (وفق شهادة سفر الخروج) فمن الطبيعي أن تكون لغتهم عند خروجهم من أرض مصر هي اللغة المصرية القديمة أو ربما لغة كنعانية متأثرة بالمصرية القديمة، و يؤكد هذا أيضا أن علماء تاريخ اللغات يقررون أن اللغة العبرية لم تأخذ كيانها كلغة إلا بعد عصر موسى بفترة طويلة . و بما أن التوراة كتبت بالعبرية، إذا فهي ليست التوراة التي نزلت على موسى، أو على الأقل ليست كلماتها الأصلية . و يبدو أن النص الأصلي الذي كان مكتوبا بلغة غير عبرية قد فقد، و كب اليهود فيما بعد نصوصا بالعبرية مما كان يتناقله الخلف عن السلف، و لم تكتب هذه النصوص في جيل واحد، ولا في مكان واحد، بل شارك في صياغة و تدوين هذا النص الذي بين أيدينا عدة أجيال و أكثر من عقلية .

و بالإضافة إلى ذلك فإن العلامة تورتون ذكر في بحثه عن التوراة يقول :

"لا يوجد فرق معتد به في محاورة التوراة و محاورات سائر الكتب من العهد القديم الذي كتب في زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل، مع أن بين هذين الزمانين تسعمائة عاما، و قد علم بالتجربة أنه يقع فرق في اللغة بحب اختلاف الزمان" (إظهار الحق، رحمة الله الهندي، الجزء الأول، ص ١٠٨) .

٦ – من الثابت أولا في سفر الخروج (١٧ : ١٤) : "و قال الرب لموسى اكتب هذا ذكرا في كتاب و اتله على يشوع فإني سأمحو ذكر عماليق من تحت السماء"، أن موسى كتب بأمر لرب عن الحرب ضد عماليق، و لكن هذا الإصحاح لا يقول لنا أي سفر كتب.

http://kotob.has.it

و في سفر العدد(٢١: ١٤) : "لذلك يقال في كتاب حروب الرب عبروا واهب عبور العاصفة و أودية ارنون "، نجد لإشارة إلى سفر يسمى "حروب الرب" و هو السفر الذي يحتوي، بلا شك، على قصة الحرب ضد عماليق، و على كل أعمال إقامة المعسكرات : و التي يشهد مؤلف الأسفار الخمسة في سفر العدد (٣٣ : ٢) بأن موسى قد عرضها كتابة : "و كتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب" .

كذلك جاء في سفر الخروج (٢٤ : ٣ – ٤) أن هناك سفرا آخر يعرف باسم سفر العهد قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهدا مع الله: "فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب و جميع الأحكام . فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل" فكتب موسى جميع أقوال الرب". ولا يحتوي هذا السفر أو هذه الرسالة إلا على أشياء قليلة، أي أنه لا يحتوي إلا على شرائع الله ووصاياه الموجودة في (سفر الخروج من الإصحاح ٢٠ الفقرة ٢ حتى الإصحاح الرابع والعشرين) . ومن يقرأ هذه الإصحاحات يدرك أنه بمجرد أن عرف موسى رأي الشعب في العهد المبرم مع الله، كتب على التو كلمات الله و وصاياه، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط العهد في الصباح بعد إقامة بعض الطقوس . و بعد هذه القراءة دخل الشعب في هذا العهد بمحض رضاه بعد أن عرف الناس كلهم بلا شك هذه الشروط . ونظرا لضيق الوقت الذي استغرقته كتابة العهد المبرم، وكذلك نظرا لطبيعة هذا العهد — كان حتما ألا يحتوي هذا السفر أكثر مما قلته الآن . و قد أعاد يشوع كتابة هذه التوراة: "و كتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل " (يشوع ٨ : ٢٢)، و كان ذلك في مذبح الرب الذي بناه يشوع في جبل عيبال على النحو الذي حدد في "سفر توراة موسى (يشوع ٨ : ٢٠) .

ومن الثابت أن موسى قد شرح جميع الشرائع التي سنها في السنة الأربعين يعد الخروج من مصر : "ففي السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر كلم موسى بن إسرائيل حسب ما كل ما أوصاه الرب إليهم ... في عبر الأردن في أرض موآب ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلا : "(تثنية ١ : ٣ – ٥) و أخذ من الشعب وعدا جديدا بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع : "هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني إسرائيل في أرض موآب فضلا عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب" (تثنية ٢٩ : ١)، ثم كتب سفرا يحتوي على هذه الشرائع التي تشرح هذا

http://kotob.has.it

العهد الجديد : "و كتب موسى هذه التوراة و سلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الربو لجميع شيوخ إسرائيل" (تثنية ٣١ :٩)، و قد سمي هذا السفر "سفر توراة الرب" أو "شريعة الرب" و قد حفظه اللاويون في تابوت العهد : "فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة وكتاب إلى تمامها . أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا : "خذوا كتاب التوراة هذا و ضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم "(التثنية ٣١ : ٢٤ – ٢٥ – ٢٦).

وقد أضاف يشوع بعد ذلك بمدة طويلة إلى هذا السفر رواية العهد الذي قطعه الشعب على نفسه من جديد في أيامه، و هو ثالث عهد يقيمونه مع الله" وقطع يشوع عهدا للشعب فبي ذلك اليوم و جعل لهم فريضة و حكما في شكيم . و كتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الرب " (يشوع ٢٤ : ٢٥ — ٢٦) .

و لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي في الوقت نفسه على عهد موسى و عهد يشوع مع الرب، فيجب أن نعترف بالضرورة، أن هذا السفر قد فقد . و قد ترجم يوناثان المفسر الآرامي للتوراة هذه الفقرة قائلا : "و كتب يشوع هذا الكلام وحفظه مع سفر توراة الله" و هو ما يشير إلى أفكار لسفر توراة الرب الخاص بموسى و ابتداع سفر جديد من وضع يشوع بن نون .

نستنج إذن أن سفر توراة الله هذا الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة، بل كان سفرا مختلفا كلية، أدخله مؤلف الأسفار الخمسة في سفره في المكان الذي ارتآه .

و مدون سفر التثنية يضيف أن موسى عندما أعطى سفر التوراة للأحبار طلب إليهم قرأته أمام الشعب في أوقات معلومة، هذا يدل على أن السفر كان أقل حجما بكثير من الأسفار الخمسة، إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه لجميع، ولا ننسى أنه من بين جميع الأسفار التي كتبها موسى، لم يأمر دينيا إلا على سفر واحد، ودعا للحرص على الإبقاء عليه، و هو سفر العهد الثاني والنشيد الذي كتبه بعد ذلك كي يعلمه لجميع أفراد الشعب "فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم وعلم بني إسرائيل إياه" (تثنية ٣١ :٢٢)، وهو النشيد المعروف باسم "هأزينوا" (أنصتوا) (تثنية ٣٢).

أما بالنسبة للعهد الأول، فقد كان الحاضرون فقط هم الملتزمون به، أما العهد الثاني فكان ملزما للخلف : "و ليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد و هذا القسم. بل مع الذي هو هنا معنا واقفا اليوم أمام الرب إلهنا و مع الذي ليس هو معنا اليوم"

http://kotob.has.it

(تثنية ٢٩ : ١٤ — ١٥)، لذلك أمر بالمحافظة دينيا سفر العهد الثاني للأجيال المقبلة، و كذلك بالمحافظة على النشيد و على البركات و اللعنات . "جميع كلمات التوراة البركة و اللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة" (يشوع ٢٠ : ٢٤) .

و لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى هو كاتبها (كما بينا ذلك من قبل) فإن أحدا لا يستطيع أن يؤكد أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على العكس، فإن العقل يكذب هذه النسبة . و قد يسأل سائل : هل كتب موسى، زيادة على هذين النصين، الشرائع التي أعطيت في الوحي الأول؟ ألم يكتب طوال أربعين سنة شرائع أخرى سوى هذا العدد القليل الذي ذكرنا أنه متضمن في العهد الأول؟ فإن الإجابة على هذا هي عدم التسليم بهذا لأن الكتاب لا يثبت هذا، ومن الجائز فقط أن مجلس موسى كان يسلم الشعب كتابة الشرائع التي كان يسنها موسى، والتي جمعها المدون في وقت متأخر وأدخلها في مكانها من سيرة موسى.

٧ – و نظرا لان بعض الباحثين يلحق سفر يشوع بالأسفار الخمسة فسوف نبرهن لأسباب مماثلة على أن سفر يشوع ليس من وضع يشوع نفسه.

أ – أنه لا يعقل أن يكون يشوع هو الذي يشهد لنفسه أن شهرته طبقت الآفاق، بل أن شخصا أخر هو الذي شهد له بذلك : "و كان الرب مع يشوع و ذاع صيته في كل الأرض ".(يشوع ٦: ٢٧).

ب – الإشارة إلى أنه لم يغفل شيئا مما أوصى به موسى، و هذه لابد أن تكون شهادة شخص آخر عنه و لا شهادته عن نفسه : "لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم ينادي بها يشوع بحضرة كل جماعة إسرائيل مع النساء والأطفال و الغريب السائر معهم" (يشوع ٨: ٣٥) — (يشوع ٩ : ١٥) .

ج – الإشارة إلى موت يشوع و دفنه: "و كان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مئة وعشر سنين. و فدفنوه في تخم ملكه تمنة سارح التي في جبل أفرايم شمالي جبل جاعش" (يشوع بن نون ٢٤ : ٢٩ – ٣٠) .

فضلا عن ذلك أن الرواية تمتد إلي الوقائع التي حدثت بعد موته :

"و عبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع و كل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع و الذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل " (يشوع ٢٤ : ٣١)، حيث تشير هذه الفقرة إلى أن بني إسرائيل ظلوا يعرفون الرب طوال حياة يشوع و طوال حياة

http://kotob.has.it

المسنين الذين عاصروه و عاشوا من بعده. و نفس هذه الواقعة تتكرر في سفر القضاة (٢ : ٩) .

د – في الإصحاح العاشر الفقرة الرابعة عشرة ترد هذه الشهادة : "و لم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب صوت إنسان "، و هي شهادة تؤكد أن هذا السفر قد كتب بعد يشوع بقرون عديدة، كما ترد الإشارة أيضا إلى "سفر ياشر" (سفر الاستقامة) وهو السفر الذي دون فيه يشوع معجزاته التي نازع فيها معجزات موسى مثل شق البحر وإرجاء الشمس لغروبها حتى يتم له النصر على الأموريين، وهذا السفر لا يعرف شيء عنه، ولا عن زمن تصنيفه، غير أنه يفهم من الفقرة الثامنة عشر من الإصحاح الأول من سفر صموئيل الثاني أن مصنفه معاصرا لداود عليه السلام أو بعده: "ورثا داود بهذه المرثاة شاؤول ويوناثان ابنه . وقال أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس . هوذا ذلك مكتوب في سفر ياشر" (صموئيل الثاني ١ – ١٨).

ه – تتوافق الفقرة الثالثة و الستون من الإصحاح الخامس عشر من سفر يشوع : "و أما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم" مع الفقرة السادسة والسابعة و الثامنة من الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الثاني، مما يدل على أن هذا السفر قد دون قبل السنة السابعة من تولي داود عليه السلام للملك .

و – تتوافق أيضا الفقرة العاشرة من الإصحاح السادس عشر من سفر يشوع: " فلم يطردوا (يقصد أفرايم و منسى) الكنعانيين الساكنين في جازر، فسكن الكنعانيون في وسط أفرايم إلى هذا اليوم"، مع ما هو وارد في الإصحاح الأول من (سفر القضاة الفقرات ٢٨ – ٣٠)، و تدل هذه الطريقة في الحديث باستعمال جملة "إلى يومنا هذا" على أن من يكتب ذلك يتحدث عن شيء قديم للغاية .

ز – في الفقرة العاشرة من الإصحاح الثاني و العشرين من "سفر يشوع" ترد قصة بناء "بنو رأوبين" و "بنو جاد" و نصف "سبط منسى" مذبحا وراء نهر الأردن، و هذه الحادثة يبدو أنها وقعت بعد موت "يشوع"، خاصة و أن "يشوع" لم يذكر تماما في القصة كلها، إذ كان الشعب وحده هو الذي يتشاور في أمور الحرب و يرسل المندوبين وينتظر ردودهم ثم يصدر موافقته آخر الأمر (تثنية ٢٢ : ١٣ – ١٦).

http://kotob.has.it

ح – في الفقرة الرابعة و العشرين من الإصحاح الثالث عشر من سفر "يشوع" يرد : "وأعطى موسى لسبط جاد، بني جاد حسب عشائرهم فكان تخمهم يعزير و كل مدن جلعاد و نصف أرض بني عمون إلى عروعير التي هي أمام ربة ..."و في الإصحاح الثاني من سفر التثنية الفقرة التاسعة عشرة يرد: "لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثا، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثا ..." فهنا نجد تناقضا بين السفرين، فلو كانت التوراة من تصنيف موسى كما يزعمون، فما كان من المتصور أن يخالفها يشوع و يخالف الأوامر التي عاصرها، ومن هنا فإنه لا التوراة من تصنيف موسى ولا سفر يشوع هو من تصنيف يشوع بن نون.

ط – السفر مكتوب كله بضمير الغائب على غرار الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى.

ى – أن مدون هذا السفر حرص أن يجعل شخصية يشوع بن نون معادلة لشخصية موسى عليه السلام :" في ذلك اليوم عظم الرب يشوع في أعين جميع إسرائيل فهابوه كما هابوا موسى كل أيام حياته" (يشوع ٤: ١٤)، فهو يمارس معجزات كتلك التي قام بها موسى مثل شق البحر (يشوع ٤) وعدم السماح للشمس بالغروب حتى تنتهي المعركة مع الأموريين و لقاءه الرب مع أو رئيس جنده (يشوع ٥ : ١٣ — ١٥) ز الرب يخاطبه قائلا :"لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك و لا أتركك " (يشوع ١: ٥).

ك – يرد في الإصحاح الخامس أن يشوع قام بختن بني إسرائيل بعد عبورهم نهر الأردن بدعوى أن جميع الشعب الخارجين من مصر، من الذكور جميع رجال الحرب، ماتوا في البرية على الطريق بخروجهم من مصر ..وأما جميع الشعب الذين ولدوا في القفر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يختنوا. "(يشوع ٥ :٢ – ٩) . و تعني هذه الفقرة أن موسى قد خالف شريعة من الشرائع التي أوصاه بها الرب "من لم يختن في أسبوع ولادته فلتنف نفسه من أمته" بمعنى فليقتل. فكيف يضيع موسى هذه الشريعة الأكيدة حتى يختنهم كلهم يشوع بعد موت موسى بدهر؟

ت – من المؤكد أنه إذا كان يشوع قد كتب أي سفر، فهو ذلك السفر المذكور في الإصحاح العاشر الفقرة الثالثة عشر و هو "سفر ياشر "، الذي اشرنا إليه من قبل، ولكنه لم يكتب هذه الرواية في السفر المنسوب إليه، لأنها كتبت بعده بفترة طويلة جدا.

http://kotob.has.it

٨ – أما بالنسبة لسفر القضاة، فإن نهاية القصة تؤكد أن شخصا واحد هو الذي كتبه و ليس القضاة، و ذلك لأن مؤلفه يكرر انه لم يكن في عصره أي ملك لإسرائيل،فلا شك أنه لم يكتب إلا بعد أن استولى الملوك على السلطة : "و في تلك الأيام لم يكن لبني إسرائيل مللك و كان إنسان يعمل ما حسن في عينيه" (٣٥:٢١) .

٩ – أما سفري صموئيل فلا يطلب الأمر وقوفا طويلا أمامهما لأن أحداث القصة فيهما تستمر بعد وفاته بوقت طويل، و مع ذلك نود أن نبين أن هذا السفر لابد وأنه كتب بعد صموئيل بقرون عديدة،ذلك لأن المؤرخ في السفر الأول، الإصحاح التاسع الفقرة التاسعة تقول:" و كان فيما سبق إذا أراد الرجل من إسرائيل أن يذهب ليسأل الله يقول له: هلم نذهب إلي الرائي لأن الذي يقال له اليوم "نبي" كان يقال له من قبل "راء" ". و "الرائي" لقب كان يطلق على صموئيل.

١٠ – و أخيرا، فإن أسفر الملوك قد تم اقتباسها – كما هو ثابت في هذه الأسفار ذاتها – من كتب حكمة سليمان (أنظر الملوك الأول ١١ — ٤١):"وأما بقية أخبار ِليمان و جميع ما عمل ووصف حكمته فهي مكتوبة في سفر أخبار سليمان"، و من أخبار ملوك إسرائيل و يهوذا :" و بقية أخبار يربعام كيف حارب و كيف ملك مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل " (الملوك الأول ١٤ — ٢٩) .

وبذلك ننتهي إلى أن كل الأسفار التي عرضنا لها حتى الآن قد كتبها مؤلفون آخرون غير التي تحمل هذه الأسفار أسماءهم و أن الروايات التي تتضمنها تقص علينا حوادث قديمة .

و إذا نظرنا إلى تسلسل هذه الأسفار كلها و محتواها، رأينا بسهولة أن الذي كتبها هو مؤلف واحد أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم الهيكل الأول (٥٨٦ ق.م). و الواقع أن طريقة تسلسل هذه الأسفار تكفي وحدها لإثبات أنها تضم رواية مؤرخ واحد. فمجرد انتهائه من قصة حياة موسى انتقل إلى قصة يشوع .." وحدث بعد موت موسى، خادم الله، أن قال الله ليشوع..."، و بعد أن انتهى من قصة يشوع انتقل بنفس الطريقة إلى تاريخ القضاة و ربطها بنفس الطريقة بما سبق .." و بعد أن مات يشوع طلب بنو إسرائيل من الله ..."، ثم الحق سفر "راعوث" باعتباره تذيلا لسفر "القضاة" بهذه الطريقة : " و في هذه الأيام التي يحكم فيها القضاة حدثت مجاعة

http://kotob.has.it

كبيرة على هذه الأرض..." . ثم ربط بنفس الطريقة سفر "صموئيل الأول" بسفر "صموئيل الثاني".

إذن فمجموع النصوص، والترتيب الذي تتعاقب بيه الروايات يدل على أن كاتبها مؤرخ واحد له غرض محدد . فهو يبدأ بقصة النشأة الأولى للأمة العبرية، ثم يخبرنا بعد ذلك بالترتيب ما المناسبة، و في أي الأوقات أقام موسى الشرائع و قام بتنبؤاته العديدة لبني إسرائيل، بعد ذلك يخبرنا كيف استولوا على الأرض الموعودة كما تنبأ لهم موسى (التثنية ٧)، ثم كيف تركوا الشرائع بعد أن استولوا على الأرض (التثنية ٣١ : ١٦) وما نتج عن ذلك من مصائب (التثنية ٣١ : ١٧)، و كيف أرادوا بعد ذلك انتخاب ملوك (التثنية ١٧ : ١٤) كانوا بدورهم يزدهرون أو يتدهورون بمقدرا طاعتهم للشرائع أو تركهم لها (التثنية ٢٨ : ٣٣ ٣٤)، حتى انهيار الدولة الذي تنبأ به موسى . أما ماعدا ذلك مما لا يمكن استخدامه لتأييد، فإن الراوي أو المدون إما يتجاهله تماما وإما يحيل القارئ إلى مؤرخين آخرين . فهذه الأسفار إذن تستلهم فكرا واحدا و ترمي إلى غاية واحدة، و هي تعليم الشريعة التي أملاها موسى و البرهنة بالحوادث على صدقها .

فإذا أخذنا في اعتبارنا هذه الخصائص الثلاثة :وحدة الغرض في جميع هذه الأسفار، وطريقة ربطها فيما بينها، و تأليفها بعد الحوادث المروية بقرون عديدة، نستنتج من ذلك كما قلنا أن مؤرخا واحدا هو الذي كتبها.

والآن نطرح السؤال التالى :

من هو المؤلف الذي قام بتدوين هذه الأسفار وروايتها ؟

كان موسى قد قام بكتابة نسخة التوراة و سلمها إلى كبراء الكهنة وأوصاهم بحفظها ووضعها في تابوت العهد و إخراجها إلى الناس بعد كل سبعة سنين في يوم عيد المظال لتقرأ على أسماع كل بني إسرائيل (تثنية ٣١ : ٩ — ١١)، فكانت هذه النسخة موجودة في تابوت العهد مع لوحي الوصايا العشر، وقد دخل بنو إسرائيل أرض كنعان مع" يشوع بن نون" الذي تولى زعامتهم الروحية والعسكرية إثر موت "موسى" و كان مع يشوع "العازر بن هارون" الذي نصب رئيسا للكهنة بعد موت هارون (عدد ٢٠) وكانت التوراة عنده لا عند أحد غيره، وقد دبر "يشوع بن نون" أمرهم و الزمهم للدين إحدى وثلاثين سنة منذ أن مات موسى إلى أن مات "يشوع"، ثم تولى أمرهم "فنحاس بن العازر بن هارون"، الذي أصبح كاهنا أعظم و كانت التوراة لديه لخمس وعشرين عاما في

http://kotob.has.it

استقامة والتزام للدين، ثم مات، و مازالت طائفة منهم عظيمة تزعم أنه حي إلى اليوم. وبعد انقضاء مدة "فنحاس" كفر بنو إسرائيل و ارتدوا كلهم و عبدوا الأوثان علانية في معظم الفترة المشهورة في تاريخهم باسم "عصر القضاة" .ففي خلال عصر القضاة الذي تعاقب فيه على حكمهم اثنا عشر قاضيا كانت لهم سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام :فأولها :بقوا فيها ثمانية أعوام :" و قام بعدهم جيل لم يعرف الرب ولا العمل الذي عمل لإسرائيل. و فعل بون إسرائيل الشر في عين الرب وعبدوا البعليم و تركوا الرب إله آبائهم .. .. تركوا الرب وعبدوا البعل و عشتاروت "(القضاة ٢: ١١ — ١٣) .و هي الفترة التي ملكهم فيها ملك صور و صيدا : " فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنوات " (القضاة ٣ : ٨) ؛ و الثانية: ثمانية عشر عاما في فترة حكم عجلون ملك موآب :" فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشر سنة " (القضاة ٣: ١٤) ؛ والثالثة: عشرين عاما، في فترة حكم يابين ملك كنعان (القضاة ٤ : ٧ : ٣٥) ؛ والرابعة : سبعة أعوام، في فترة غراب و ذئب (قضاة ٧ : ٣٥) ؛ والخامسة : ثلاثة أعوام، في فترة حكم أبيمالك بن جدعون الذي كان فاسقا خبيث السيرة، وقت جميع إخوته باستثناء واحد منهم أفلت ؛ والسادسة : ثمانية عشر عاما، في فترة بنو عمون و الفلسطينيين لهم " و عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عين الرب وعبدوا البعليم و عشتاروت و آلهة آرام آلهة صيدون وآلهة موآب و آلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين و تركوا الرب و لم يعبدوه . فحمى غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين و بيد بني عمون فحطموا ورضضوا بني إسرائيل في تلك السنة. ثماني عشر سنة." (القضاة ١٠ : ٦ — ٨) ؛ و في السابعة : أربعين عاما،" ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم ليد الفلسطينيين أربعين سنة" (القضاة ١٣ : ١) .

وبعد عصر القضاة تولى أمرهم صموئيل النبي إلى أن رغبوا في إقامة الملكية فتولى أمرهم شاؤول (طالوت) فوليهم عشرين عاما، و هو أول ملك على بني إسرائيل،و وصفوة بالنبوة و الفسق و المظالم و المعاصي معا، وأنه قتل من بني هارون نيفا و ثمانين شابا وقتل نساءهم و أطفالهم لأنهم أطعموا داود خبزا .

ثم مات شاؤول مقتولا، وولى أمرهم داود الذي ينسبون إليه الزنا علانية بأم سليمان عليه السلام،و أنها ولدت منه من الزنا ابنا مات قبل ولادة سليمان. وينسبون إليه أنه

http://kotob.has.it

قتل جميع أبناء شاؤول لذنب أبيهم، و كانت فترة حكمه أربعين عاما. ثم تولى سليمان، و هو الذي بنى الهيكل في بيت المقدس و جعل فيه التابوت و المذبح و التوراة، و سكنه بني هارون من اللاويين، و كانت فترة حكمه أربعين عاما. ثم مات سليمان و افترق أمر بني إسرائيل، فسار بنو يهوذا و بنو بنيامين لبني سليمان بن داوود في أورشليم، و صار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم اتخذ من "نابلس" (شاكيم) عاصمة له. وقد فتح سليمان في عهده تابوت العهد و لم يجد نسخة التوراة :" لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في "حوريب" حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر " (الملوك الأول ٨ : ٩) .

وقد ولى إثر موت سليمان ابنه "رحبعام" و أعلن الكفر طوال ولايته و عبد الأوثان جهارا لفترة سبعة عشر عاما، و توالى ملوك بني سليمان (يهودا وبنيامين)، مملكة يهودا في الجنوب و عاصمتها أورشليم لفترة ثلاثمائة و اثنين وسبعون عاما (٩٥٨ ق.م — ٥٨٦ ق.م) و كان جملة عددهم عشرون ملكا . وكان المرتدون من هؤلاء الملوك أكثر من المؤمنين إلى أن تولى "يوشيا بن آمون" المملكة فتاب إلى الله و هدم رسوم الكفر و الشرك، و لكن مع ذلك فقد مرت سبع عشرة سنة من سني ملكه دون أن يسمع أحد بوجود التوراة، إلى أن ادعى "حلقيا الكاهن" في العام الثامن عشر من ملكه أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس وأعطاها "شافان الكاتب"، فقرأ على "يوشيا"، فلما سمع "يوشيا " مضمونه شق ثيابه من الحزن على عصيان بني إسرائيل، كما هو وارد في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الثاني، و الإصحاح الرابع و الثلاثون من سفر أخبار الأيام الثاني ؛ ولكن لا يعتمد على هذه النسخة، ولا على أقوال حلقيا لأن الهيكل نهب مرتين قبل عهد "يوشيا" (في عهد "رحبعام" حيث نهب ملك مصر أورشليم والقصر و الهيكل وأخذ كل ما فيها و عاد إلى مصر "أمصياهو" فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في جدار الهيكل ولا يراها أحد طوال سبعة عشر عاما من حكم "يوشيا"، و الأرجح أن "حلقيا" لما رأى توجه الملك في إتباع الملة الموسوية، جمعها من الروايات الشفهية المتواترة، سواء كانت صادقة أم غير صادقة، و ظل طوال هذه المدة عاكفا على جمعها و تأليفها إلى أن اكتملت، فاختلق قصة عثوره عليها في العام الثامن من حكم "يوشيا" . و قد ظل معمولا بهذه النسخة لثلاث عشرة سنة فقط و لم يعلم أحد بعد ذلك بوجودها ولا عمل أحد بما فيها إلى أن وقعت حادثة "بختنصر" (٥٨٦ ق.م).و الأرجح أن وجودها حتى هذه

http://kotob.has.it

الحادثة هو بمثابة الطهر المتحلل الدينى، ولو فرضنا بقاؤها أو بقاء نقلها فالمظنون زوالها في حادثة سبي بابل على يد "بختنصر".

أما مملكة إسرائيل التي ضمت الأسباط العشرة في الشمال و كانت عاصمتها "نابلس" (شكيم) معلنين عبادة الأوثان، مخيفين الأنبياء، مانعين القصد إلى أورشليم، و لم يكن فيهم نبي إلا مقتولا أو هاربا مخافا، إلى أن سباهم "شلمنصر" ملك "آشور" و سباهم إلى "آشور"، و سكن بلادهم قوما من أهل بلده، وهم "السامرية" الذين ينكرون التوراة جملة، و لديهم توراة تدعى "التوراة السامرية" ولا يعترفون فيها إلا بأسفار موسى الخمسة، ولا يعترفون بنبي بعد موسى، ولا يقولون بفضل بيت المقدس (أورشليم)، ويقولون أن المدينة المقدسة هي "نابلس" .

و نظرا لأن "بختنصر" أحرق الهيكل في "أورشليم" و نهب كل ما فيه وسبى اليهود إلى "بابل"، فمن الثابت أن "عزرا الوراق" و "الكاتب الهاروني"، هو الذي أملى التوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب "أورشليم"، وكتبهم تدل على أن "عزرا" لم يكتبها لهم و لم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من رجوعهم إلى "القدس" (٥٣٨ ق.م) على يد "قورش" ملك "بابل" الذي ساعدوه في الاستيلاء على فلسطين ووعدهم بالعودة إليها في مقابل تلك المساعدة، و هو الوعد الأول في التاريخ اليهودي بالعودة.

لقد عكف "عزرا" بحماس بالغ على شريعة الله و عرضها، و كان كاتبا ملما كل الإلمام بشريعة موسى . وإذن فنحن لا نجد شخصا آخر سوى "عزرا" يمكن الاشتباه في أن يكون مؤلف هذه الأسفار . ومن ناحية أخرى يشهد سفر "عزرا" بأن "عزرا" لم يعكف بحماس على دراسة شريعة الله فقط، بل عكف أيضا على عرضها :" صعد عزرا هذا من بابل و هو كاتب ماهر في توراة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل فبذل له الملك كل ما طلبه بحسب يد الرب إلهه عليه"(عزرا ٧ : ٦) .

ويذكر "نحميا" أنهم (أي هؤلاء الرجال) قرأوا في سفر توراة الله جهرا مبلغين حتى فهموا القراءة"(نحميا ٨ : ٨).

على أن سفر التثنية لا يحتوي على شريعة موسى فحسب، أو على أكبر جزء منه على أقل تقدير بل يتضمن أيضا شروحا كثيرة أضيفت إليه . لذلك، فالافتراض هو أن" سفر التثنية" هذا و سفر "توراة الله" الذي كتبه "عزرا" والذي يحتوي عرض الشريعة وشرحها الذي قرأه هؤلاء الذين يتحدث عنهم "نحميا". والأدلة كثيرة في سفر التثنية

http://kotob.has.it

تشير إلى أن عزرا كان يقوم بدور الشارح المفسر لسفر "شريعة الله" (التثنية ٢ : ١٢، ٢ : ٣ – ٤، و بإضافة الفقرات ٦، ٧، ٨، ٩ من الإصحاح ١٠، و التثنية ٩ : ٢٠) هذا بالإضافة إلى أن مقدمة السفر، وكل النصوص التي تتحدث عن موسى وردت بضمير الغائب . كذلك فإن عددا كبيرا من الإضافات و التغيرات في النص لا نستطيع التعرف عليها، و هي إضافات أدخلت، دون شك، حتى يسهل على الناس في عصره إدراك الأمور. والحق أنه لو كان لدينا السفر الأصلي لموسى، لوجدنا، فيما أعتقد، اختلافات كبيرة، سواء في التعبير عن الوصايا أم في ترتيبها و البراهين عليها، و المثال على ذلك يكون واضحا إذا ما قارنا الوصايا العشر في التثنية ٥ : ٧ ٢١، بنصها في سفر الخروج: "لأن الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض و البحر وجميع ما فيها و في اليوم السابع استراح ولذلك بارك الرب يوم السبت و قدسه"، أما في سفر التثنية "وأذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد قوية وذراع مبسوطة ولذلك أمرك الرب إلهك بأن تحفظ يوم السبت"

لذلك أعتقد، كما قلت من قبل، بأن عزرا هو الذي أجرى كل هذه التغيرات هنا وهناك لأنه شرح شريعة الله لمعاصريه. و بالتالي يكون هذا سفر "توراة الله" كما شرحه "عزرا" وعرضه والسفر يبدأ بجملة :" هذه أقوال موسى"، و بعد أن أكمل هذا السفر وعلم الشرائع للشعب، شرع في كتابة رواية تاريخ الأمة العبرية منذ خلق العالم حتى تدمير "أورشليم"، ثم أدخل في هذا التاريخ سفر التثنية في موضعه، و ربما كان تسميتها باسم أسفار موسى الخمسة، لأنها تدور أساسا حول حياته، فأخذت اسم الشخصية الرئيسية. و لهذا السبب نفسه سمي السفر السادس باسم "يشوع"، و السابع باسم "القضاة"، و الثامن باسم "راعوث"، و التاسع باسم "صموئيل"، و الحادي عشر باسم "الملوك".

http://kotob.has.it

١٢ - من هو كاتب سفر يشوع؟

جرشون جليل ♦

تنقلنا قضية احتلال أرض كنعان، واستيطان أسباط إسرائيل فيها من مرحلة ما قبل التاريخ القديم إلى مرحلة بداية التاريخ. والرواية "الرسمية" و"القانونية" في العهد القديم بشأن احتلال أرض كنعان واستيطان أسباط إسرائيل فيها هي رواية قاطعة : أرض كنعان تم احتلالها من على جانبي نهر الأردن في عملية عسكرية قصيرة نسبيا، بينما الأسباط الاثنا عشر يعملون متضامنين تحت زعامة موسى وخليفته يشوع. وقد تم استيطان الأسباط أيضا بعملية بسيطة من أساسها ومن خلال تقسيم معد سلفا لأقسام الأرض المحتلة. لقد حصلت أسباط شرق الأردن على أنصبتها من موسى نفسه (العدد ٣٢؛ يشوع ١٣ : ٩ فصاعدا) بينما حصلت بقية الأسباط على أنصبتها من يشوع حيث حصلت سبعة منهم على المناطق الخاصة بها عن طريق القرعة (يشوع :١٨).

وصورة الاحتلال القومي الإسرائيلي الشامل والموحد، والتي تعرض في تتابع، وحسبما يعرضها العهد القديم، تناسب الرؤية الزعامية في عصر متأخر من مجمل تاريخ إسرائيل القديم. وفي حقيقة الأمر كان الواقع التاريخي معقدا بلا حدود. لقد جمعت عمليات احتلال مختلفة ومراحل تاريخية معقدة في الرواية الإسرائيلية المتأخرة في ملحمة قومية كبيرة، تضع في مركز الأحداث شخصيتي الزعيمين موسى ويشوع، على نحو ما يحدث في أي عرض تاريخي للشعوب الأخرى بالنسبة لأبطالها القوميين المشهورين. وعلى أية فإن المصادر "المقرائية" نسبة إلى "المقرا" (وهى التسمية العبرية لأسفار العهد القديم) لهذه القضية، والتي ترتكز في معظمها في سفر يشوع، وبعض منها في سفر العدد، من ناحية، وفي سفر القضاة من ناحية أخرى، ومهما كانت آراؤنا بشأن صورة صياغتها وزمن تأليفها، فإن هذه المصادر تعرض علينا أساسا تاريخا شاملا، إلى حد ما .

♦ نشرت هذه الدراسة فى ملحق صحيفة "هاآرتس" العبرية الأسبوعى، الذى يصدر تحت عنوان "سْفاريم" (كتب)، العدد رقم ١٧، ٥/ ٦/ ١٩٩٦، ص٥.

http://kotob.has.it

ويعتقد العديد من الباحثين، سواء في إسرائيل، أو في أنحاء العالم، أن سفر يشوع يفتقد إلى التناغم، من الناحية الأدبية، ويفتقد للمصداقية، من الناحية التاريخية، وأدخلت عليه وجهات نظر لاهوتية وتأريخية متناقضة، لا يمكن التسليم بها، لأنها تعبر عن مواقف مختلفة لعدد من المؤلفين، عبر عصور مختلفة، بما يؤكد أن هذا السفر قد نم تأليفه في سياق مركب امتد على مدار مئات السنين.

وليس ذلك فحسب، بل إنه فقا لهذا الافتراض، يفهم من السفر أنه في عصر "المقرا" أصبحت هناك جماعات مختلفة داخل إسرائيل، ووجهات نظر مختلفة، حول عمليات احتلال واستيطان أسباط إسرائيل في "أرض إسرائيل"، وبناءا على ذلك، لا يمكن الاستناد إلى الشهادة "المقرائية" عموما، وإلى شهادة سفر يشوع خاصة، على أنها تشكل نسيجا واحدا.

وقد اعتمد الباحثين على الاكتشافات الأثرية التي تمت في السنوات العشر الأخيرة من لقرن العشرين في فلسطين، وفي شرق الأردن، ووجدوا فيها ما يعزز مصداقية السفر . وأمام هذه الرؤية، فقد ساد الدراسة الاعتقاد، بأن سفر يشوع هو سفر متسق ومعتمد.

وقد انعكست هذه القطبية جيدا في الدراسة وكذلك في الشروح الأربعة، التي كتبت على سفر يشوع باللغة العبرية في الجيلين الماضيين.

ففي عام ١٩٥٩، نشر حزقيال كوفمان، شرحا شاملا لسفر يشوع، صدر في دار نشر "كريات سيفر"، وفي جمعية "دراسة المقرا" في إسرائيل . وكان هذا هو التفسير العلمي الأول، الذي كتب باللغة العبرية، وأكد كوفمان في مقدمة كتابه، أنه يهدف من تفسير سفر يشوع إلى هدفين أساسيين : (١) "أن يثبت بشكل مفصل، أنه على الرغم من احتواء سفر يشوع على أساس أسطوري خارق، فإنه في أساسه كتاب تاريخي معتمد"؛ (٢) "أن السفر ليس حقيبة تحتوي على رقائق مضطربة، وليس به تناقضات، وإنما هو بني وفقا لمنهج موحد ومتجانس" (في الطبعة الثانية من الكتاب التي صدرت بعد ثلاث سنوات، في ١٩٦٢، لم يغير كوفمان وجهات نظره الأساسية).

وفي عام ١٩٧٠، صدر في سلسلة "علوم المقرا"، في دار النشر "معهد الراب كوك"، في القدس، شرح آخر أوضح فيه يهودا كيل، الذي يعد في أساسه مفسرا يهوديا تقليديا إحتجاجيا أصوليا، أن كل ما وصف السفر بأدق التفاصيل، قد حدث في الواقع بالفعل.

http://kotob.has.it

وقد قدر كيل أن غالبية السفر قد كتبت على يد يشوع نفسه، بينما كتب القليل جدا بواسطة معاصره اليعازر وفنحاس بن اليعازر. (ذكر في "البرايتا"، في الباب الأخير ١٤، ٧٢ : "كتب يشوع سفره إلى آخر فقرة").

وقد استنتجت "الجمارا" (حواشي الشروح التي تشكل مع المشنا ما يعرف باسم التلمود) من خلال السياق، وجود كتابات قليلة في سفر يشوع، لم يكتبها يشوع، إنما اليعازر وفنحاس ابنه .

ولم يزعم كوفمان حقا، أن يشوع قد كتب سفره، لكنه قدر "أن سفر يشوع قريب جدا من الأحداث التي يروي عنها" (ص٦١)، "وأن السفر قد تبلور بالضرورة، في بداية عصر القضاة، وأكمل في وقت ما قبل نهاية عصر القضاة" (ص٢١).

وفي السبعينيات، والثمانينيات، وأوائل التسعينيات من القرن العشرين، أي لقرابة جيل كامل، لم يكن بين يدي القارئ العبري، شرح علمي نقدي لسفر يشوع، يكشف عن رؤية واسعة على النحو القائم اليوم في إسرائيل، وفي العالم .

وفجأة، صدر شرحين حديثين باللغة العبرية لسفر يشوع . فقد نشر عام ١٩٩٤، في سلسلة "عالم التناخ[١]" (دار نشر دافيدزون) شرح كتبه يائير زكوفيتس، رئيس معهد العلوم اليهودية بالجامعة العبرية في القدس، وكاتب هذا المقال، ثم صدر في سلسلة "مِقْرا لْيسْرائيل" (دار نشر عَم عوفيد وماجنس) شرح صموئيل أحيطوف، رئيس قسم "المقرا والشرق القديم" بجامعة بن جوريون في النقب.

وبخلاف موقف كيل الأصولي، المفتقد إلى النقد، وموقف كوفمان الذي على الرغم من وجود أسس نقدية به حقا، إلا أنه في أساسه قريب جدا من الأصولية التقليدية، فإن الشرحين الحديثين يقدمان وجهات نظر مختلفة في المسائل موضوع البحث.

وعن مشكلة هوية السفر، يفضل أحيطوف ألا يحسم الأمر، بين الآراء العديدة والمختلفة التي تم طرحها من خلال البحث وفي نفس الوقت، انتشرت في شرحه تحديدات غير قليلة بشأن تاريخ مدينة الخليل، خاصة في الأجزاء الأدبية المختلفة التي أدخلت إلى السفر.

١- يطلق على العهد القديم بالعبرية تسميات هي : ("المقرا" و"التناخ")، والمقرا تعني المقروء، أو القرآن، و"التناخ" هي اختصار لأسماء الأجزاء الثلاثة التي يتكون منها العهد القديم؛ وهي: التوراة بالعبرية "توراة" (ت)، والأنبياء بالعبرية "نْفيئيم" (ن)، والمكتوبات بالعبرية "كْتوفيم"(خ).

http://kotob.has.it

وقد حدد أحيطوف على سبيل المثال، مرددا ما ردده الآخرون، أن زمن تسجيل مدن يهودا في الإصحاح، يرجع إلى عصر ياشياهو ملك يهودا، وأن زمن تدوين الإصحاح ٢٠ يرجع إلى فترة سبي بابل (٥٨٦ ق.م)، أو خلال الفترة الفارسية. وقد اتخذ أحيطوف موقفا معتدلا تجاه أمانة السفر التاريخية، حيث كتب في مقدمة كتابه، في ملخص البحث حول موضوع "احتلال أرض كنعان تاريخيا" : "يجب الاعتراف بأن هناك غموضا يكتنف شعب إسرائيل وجيرانه، وطالما لم تصل إلى أيدينا معطيات جديدة، فعلينا الاعتراف بالمرويات المقرائية من ناحية، وبالصعوبات التي أثارتها من ناحية أخرى" (ص٥٣).

وهنا يجب التأكيد على أن الدراسات الخاصة بعلم الآثار "أرض إسرائيل"(فلسطين)، في حالة من التزايد والوفرة، وقد نشرت نتائج حفريات كثيرة لها أهمية كبيرة في دراسة الجغرافية التاريخية للبلاد، مما يجعل من الضروري مراجعة المسلمات البديهية في دراسات "المقرا"، على ضوء الاكتشافات الأركيولوجية المتواصلة.

وتظهر في سفر يشوع وجهتا نظر حول مسألة "طابع وصحة الاحتلال"، حيث ورد في الإصحاحات من الثاني إلى الثاني عشر، أنه تم احتلال البلاد بعملية عسكرية جماعية ـ إسرائيلية بقيادة يشوع، وتم في أثناء مسيرة الاحتلال إبادة كل ساكني البلاد، وتم فتح كل المدن، وضرب كل ملوكها.

ويصف مدون السفر عمليات احتلال قاسية للغاية وظالمة جدا، ومثيرة للفزع من خلال عملية خاطفة لم تخلف وراءها سوى الدمار والخراب، ومدن محرقة و موتى في كل مكان : "وضربوا كل نفس بها بحد السيف. حرموهم ولم تبقى نسمة" (يشوع ١١ : ١١) ولم تكن هذه الأوصاف، مجرد مبالغة سجلت في حالة من الغفلة، بل على العكس، فهي تعكس وجهة نظر متبلورة، وواضحة ولها آثار حاسمة على الفترة موضوع البحث بكاملها : إن كان قد تمت إبادة كل كائن في البلاد، فمن البديهي أن يكون قد تم حل كل من "المسألة الكنعانية"، وخطر التأثير الكنعاني على الفلول الإسرائيلية .

لقد ورد ذكر هذه الإبادة المطلقة لسكان البلاد في هذه الإصحاحات اثنتا عشرة مرة، ووردت سواء في الوصف المسهب أو الاستنتاجات العامة، وسعى مدون هذه الإصحاحات لإزالة أي شك في نواياه. ووفقا لوجهة النظر السائدة في الإصحاحات من الثاني إلى الثاني عشر، فإن الإبادة المطلقة كانت نتيجة خطة تم إقرارها مسبقا بواسطة إله إسرائيل :

http://kotob.has.it

"لأنه كان من قبل الرب أن يشدد قلوبكم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة فيحرموا فلا تكون عليهم رأفة بل يبادون" (١١، ٢٠، وقارن، ٨، ٢).

وفي مقال بعنوان "ضد يشوع" نشر في (صحيفة "يديعوت أحرونوت" عام ١٩٩٣) عارض ساميخ يزهار وجهات النظر المطروحة في سفر يشوع، وأدان عن حق وحشية المحتلين، الذين قاموا بقتل الرجال والنساء والشيوخ والشباب.

وبخلاف الصورة القاسية المطروحة من خلال الإصحاحات من الثاني إلى الثاني عشر، توجد في سفر يشوع أوصاف مختلفة تماما حول طابع وصحة الاحتلال.

فقد ورد في الإصحاحات من ١٣ إلى ١٩، أنه لم يتم احتلال كل البلاد، ولم تتم إبادة كل الكنعانيين: "سكن اليبوسيون في القدس، و"لم يقدر بنو يهوذا على طردهم" (١٥ : ٦٣)" وجازر، بيت شان، تعنك، مجدو، دورويبلعام لم يحتلوا، وسكانهم الكنعانيين ظلوا يقيمون فيها". (يشوع ١٦ : ١٠، ١٧ : ١١ ـ ١٣)، وليس ذلك فحسب، بل إنه كذلك عندما تشدد الإسرائيليون، لم يبيدوا بقية الكنعانيين، ولم يجردوهم كذلك من أموالهم، إنما فرضوا عليهم أعمال السخرة: "وكان لما تشدد بنو إسرائيل، أنهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية، ولم يطردوهم طردا" (١٧ : ١٣).

وبخلاف الادعاءات الواردة في الإصحاح العاشر فقرة ٤١، التي تم وفقا لما ورد فيها احتلال كل البلاد "إلى غزة" (أي بما في ذلك إسرائيل)، ورد في الإصحاح الثالث عشر من الفقرة الأولى فصاعدا أن كل دائرة الفلسطينيين، لم يتم احتلالها ومن الواضح أن سكان فلسطين (شعب البلست) لم يبادوا.

ويظهر بوضوح اعتبارا من الإصحاح السابع عشر فقرة ١٦ فصاعدا، أن يشوع لم يحتل وادي يزراعيل ووادي بيت شان. ففي الإصحاح التاسع عشر فقرة ٤٧، نجد أن احتلال "لشم" قد تم على يد سبط دان، وليس على يد يشوع وكل إسرائيل. وورد في الإصحاح الخامس عشر فقرة ١٤ فصاعدا، أن احتلال دبير وحبرون، تم على يد كالب وعثنيئيك أخيه، وهذا يتناقض تماما مع وصف احتلال حبرون وإبادة كل سكانها الوارد في الإصحاح العاشر في الفقرتين ٣٦ ـ ٣٧. وتختلف الصورة المرسومة في الإصحاحات (الثالث عشر ـ التاسع عشر) تماما عن الوصف الوارد في الإصحاحات (من الثاني إلى الثاني عشر) :فلا يوجد احتلال إسرائيلي كامل بقيادة يشوع، عدا احتلال جزء ضئيل

http://kotob.has.it

من الأرض على يد الوحدات العائلية التي استقرت في البلاد بعد قيامها بالاستيلاء عليها.

وتظهر في الإصحاحات من الثالث عشر إلى التاسع عشر، وجهة النظر الخاصة بعدم صحة الاحتلال، وعد إبادة كل سكان البلاد، والاحتلال العائلي في مقابل الاحتلال القومي الشامل، وكذلك فيما يتعلق بشرق الأردن : لم ينجح بنو إسرائيل في طرد الحشوريين والمعكيين ـ" فسكن الحشوري والمعكي في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم" (١٣ ـ ١٣)، ولم تحتل كلا من جلعاد، والباشان على يد "كل إسرائيل"، بل على يد ماكير : "لأنه كان رجل حرب وكانت جلعاد وباشان له" (١٧ : ١).

وبخلاف الإدعاء الخاص بإبادة كل الكنعانيين الوارد في الإصحاحات من الثاني إلى الثالث عشر، ظهرت "المشكلة الكنعانية" بكل حدتها، في الخطاب الختماي الخاص بيشوع في الإصحاح الثالث والعشرين، مشددة على خطر تأثير سكان البلاد السلبي (الشعوب الباقية) على الإسرائيلية (الفقرة الأولى فصاعدا والحادية عشرة فصاعدا).

وتوجد في سفر يشوع مواقف متضاربة حول مسألة محاصرة "أرض إسرائيل"، بحيث يصعب شرحها، وتظهر إحدى هذه المواقف في الإصحاح الأول الفقرات (١ ـ ٦) حيث يتعهد الرب فيها لبني إسرائيل بالأرض التي وعد بها آباءهم : "من البرية (...) إلى النهر الكبير نهر الفرات".

ولا يمكن الادعاء بأن هذا الوعد قد تم تنفيذ جزء منه فقط، بل بالعكس من ذلك، تم التشديد في الإصحاح ٢١ فقرة ٤١ فصاعدا بشكل لا بأس فيه : "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها... ولم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم الرب بيت إسرائيل بل الكل صار" (ومثله في الإصحاح ٢٣ : ١٤).

وهناك موقف آخر، ومختلف تماما، خاص بالحدود المعروضة في الإصحاح الثالث عشر (الفقرات ١ ـ٦)، حيث امتدت إسرائيل شمالا إلى "مدخل حماة"، وهي المدينة المدخل التي تقع على بعد ٨٠ كيلو متر من الشمال إلى دمشق، وتبعد حوالي ٢٢٥ كيلو متر من جنوب غرب الفرات.

علاوة على ذلك، فإن المناطق الشمالية لهذه الأرض "من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة" هي بمثابة "أرض باقية" اتخذت إسرائيل إجراءات مسبقة ضدها

http://kotob.has.it

لامتلاكها. ويتضح من خلال الوصف الوارد في الإصحاحات من الثالث عشر إلى التاسع عشر، أن منطقة هذه الأرض أيضا لم تقسم على أسباط إسرائيل.

والحدود الموصوفة من مدخل حماة إلى وادي مصر، والتي تتضمن كذلك "أرض البلست"(منطقة الإقامة على ساحل البحر المتوسط وتشمل غزم وأشقلون وأشدود)، وأرض العويين، تعد بمثابة "أرض باقية للتقسيم"، حيث أنها جزء من إرث يهوذا (انظر ١٥ : ١ - ١٢).

ووفقا لهذه النظرة، فإن المناطق من مدخل حماة إلى الفرات، لم تكن ضمن الأرض الموعودة بتاتا، ومن الواضح أن بني إسرائيل لم يقوموا باحتلالها ولم يقوموا باقتسامها .

ووفقا لوجهة النظر الثانية، الظاهرة في الإصحاحات من الثاني إلى الحادي عشر، فإن "أرض إسرائيل" تمتد من قادش برنيع وغزة في الجنوب، إلى صيدون (صيدا) وبقعة مصفاة تحت جبل حرمون في الشمال، "الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون" (١٧ : ١١) .

وفي هذه الإصحاحات، لا يوجد ادعاء بملكية إسرائيل على المناطق من حرمون إلى مدخل حماة، ولا يوجد ذكر "للأرض الباقية".

لا يمكن توضيح التناقض بين وجهتي النظر الأخيرتين بالإدعاء أن الأولى موجهة إلى الأرض الموعودة، والأخرى إلى الأرض المحتلة بالفعل.

وفي الإصحاحات من الثاني إلى الثاني عشر، لا يوجد أي دليل على عدم التوافق بين الهدف وبين تحقيقه (وهكذا أيضا بالنسبة لوجهة النظر المنعكسة، كما ذكر، في الإصحاحات الأول والثالث والعشرون).

وفي الواقع، يقف تعارض هذه الأفكار في تناقض شديد ومطلق لوجهات النظر الفيولوجية (اللغوية) والتأريخية، الخاصة بمدون الإصحاحات من الأول إلى الثاني عشر، الذي يؤكد مكررا إمكانية الاحتلال والإبادة .

وبالإضافة إلى المواقف الثلاثة المذكورة توجد في السفر وحدات أدبية (٩:٢٢ - ٣٤)، يتم فيها التمييز بين شرق الأردن، الذي يعد "أرض نجسة"، وبين غرب الأردن، الذي يتم تعريفه على أنه "أرض ملك الرب": "ولكن إذا كانت نجسة أرض ملككم فاعبروا إلى أرض ملك الرب التي يسكن فيها مسكن الرب" (٢٢ : ١٩) . ووجهة النظر هذه الرابعة من حيث العدد، مماثلة لوجهة نظر النبي حزقيال الذي لم يضم إلى "أرض إسرائيل"

http://kotob.has.it

شرق الأردن (" الجلعاد أرض إسرائيل الأردن"، حزقيال ٤٧ : ١٨)، وذلك بالنسبة لحدود أرض كنعان، في الرواية الكهنوتية في التوراة.

(انظر الوصف التفصيلي لحدود أرض كنعان في سفر العدد إصحاح ٣٤) .

وتوجد كذلك في سفر يشوع، وجهتا نظر مختلفتين، حول مسألة موقف وأهمية سبط يهودا، حيث نجد في الإصحاحات (١٣ ـ ١٩) أن سبط يهود هو الأهم من بين أسباط إسرائيل، ويحظى بمعاملة أفضل، فذكر على رأس الأسباط، كما أنه لا يرث وفقا للقرعة، مثل بيت يوسف، (إصحاح ١٤ خاص بحقوق أبناء كالب وأبناء عثنيئيل اللذان انضما إلى سبط يهودا، ولم يحدث أن جاء هذا الإصحاح لوصف ملكية الأرض من غرب الأردن).

وفي مقابل هذا، لم تعبر الإصحاحات من الثاني إلى الثاني عشر، عن أهمية يهود، حيث البطل الرئيسي هو يشوع من سبط إفرايم، والرجل الوحيد الذي ذكر من سبط يهودا هو عخان بن زارح، الذي لم يكن بطلا في واقعة الاحتلال، وكان هو الذي خان في الحرام، وسبب كارثة لنفسه ولشعبه (إصحاح ٧ وقارن ٢٢ : ٢٠). وحيث أنه كانت بين يدي كاتب الإصحاحات الثاني ـ الثاني عشر إمكانية الاختيار بين الروايات التوراتية، فيمكن أن نفترض أن اقتباس قصة عاخان ليس مقرائيا .

ويكمن عدم الانسجام في سفر يشوع أيضا في أسلوبه وفي الازدواجيات الواردة فيه، حيث توجد وحدات تتمشى مع الأسلوب المشابه للأسلوب التثنوي (الخاص بسفر التثنية)، بينما كتبت وحدات أخرى بأسلوب "كهنوتي" .

وبالإضافة إلى الازدواجيات الواردة أعلاه، يجب أن نذكر كذلك الازدواجية بين الإصحاحين الأخيرين في السفر : ففي كلاهما نجد وصف تجميع الشعب الذي جمعه يشوع، حيث جمع فيهما كل بني إسرائيل، واستعرض يشوع أمامهم تاريخ إسرائيل، وفيهما فرض يشوع الواجبات على الشعب، وأنذرهم من عبادة آلهة أخرى، عدا أن وجهات نظر هذين الإصحاحين، تتعارض في موضوعات مختلفة.

وبسبب وجهات النظر المختلفة الواردة في السفر عن المسائل الرئيسية المبحوثة فيه، يجب أن نفترض أن سفر يشوع قد صدر في أربعة طبعات (روايات ـ مصادر) رئيسية، كانت واحدة منها وفقا لهذه الفرضية، بمثابة استكمال لسابقاتها.

http://kotob.has.it

الطبعة أو الرواية الأولى، هي قصة الاحتلال، وتضم كما يبدو، الرواية الأساسية للإصحاحات من الثاني إلى الثاني عشر، وكذلك نواة الإصحاحات من الأولى إلى الرابع والعشرين، وقد تم فيها التعرض لتفاصيل احتلال "أرض إسرائيل" الغربية، ودونت، على ما يبدو، في المملكة الشمالية. ويقف يشوع الإفرايمي على رأس أسباط إسرائيل،وسكنوا وفقا لهذه الرواية، في أرجاء الإرث الموعود ليوسف.

وقد أكد مدون هذه الرواية بصفة خاصة على أهمية وقدسية شكيم، وحيث قطع هناك العهد، وفقا لشهادته، بين إسرائيل بين والرب، وليس في سيناء وأعطى لإسرائيل شريعة وقضاء".

وقد اعتمد المدون على ما يبدو، إما على الروايات الشفهية، التي تحولت على يده للمرة الأولى إلى سفر، أو على مصادر مكتوبة، من بينها "سفر ياشر" (١٠ : ١٢ ـ ١٣) الذي كتب على ما يبدو في أيام المملكة الموحدة (أنظر صموئيل الثاني الإصحاح الأول فقرة ١٨).

ويحتمل أن نسبة قليلة من الروايات التي أدخلت في هذه الرواية قد جمعت في هيكل في جلجال، ورد ذكره كثيرا في تلك الإصحاحات. وقد تم وصف احتلال الأرض على يد المدون باعتباره سلسلة من المعجزات، التي صنعها الرب لشعبه، وكان هدف المدون الرئيسي هو تعظيم إله إسرائيل وتعظيم أعماله.

ومع ذلك، فقد تم التعرف في هذه الرواية الأولى على مبدأ السبب والمسبب المضاعف، حيث أن أعمال الخلاص، تنسب إما إلى الرب إله إسرائيل، بطل القصة الرئيسي، أو إلى يشوع، البطل البشري لفصل الاحتلال.

ووفقا لوجهة نظر المدون، احتل يشوع وكل إسرائيل، جميع الأرض، من غزة وحتى جبل حرمون (وهذه تعد تقريبا حدودا مضاعفة للاستيطان الإسرائيلي في أيام داود وسليمان) . وقد صور المدون معجزة احتلال الأرض في قالب معجزة الخروج من مصر، وصور يشوع في الصورة التي تمثل صورة موسى.

وتعرض العلاقات بين إسرائيل والرب، كعلاقات مثالية : كان الرب مع إسرائيل، وهم عبدوه بإخلاص، ولم يرتكبوا الخطيئة (عدا عخان)، وشق الرب نهر الأردن أمام إسرائيل شعبه، وأسقط أمامهم أسوار أريحا، وأوقف دوران الشمس من أجلهم . وليس ذلك فحسب، بل حارب الرب من أجل إسرائيل، وشدد إسرائيل أمام أعدائهم، وشدد قلب أعدائهم ليبيدوهم، وحارب كذلك بنفسه في ميدان القتال، بإلقاء أحجار عظيمة

http://kotob.has.it

على العدو. وأدت تدخلات الرب الذاتية في الحرب إلى نصر كامل والى احتلال كل الأرض دون خروج عن القاعدة، وإلى إبادة مطلقة لكل الكنعانيين، وفقا للخطة التي رسمها إله إسرائيل مسبقا.

والرواية الثانية في سفر الاحتلال والاستيطان، ضمت، على ما يبدو، الطبعة الأولى أو الرواية الأساسية للإصحاحات من ١٣ ـ ١٩، وهي التي تمت خلالها مناقشة مشاكل احتلال أرض إسرائيل الغربية وملكية أسباط إسرائيل للأرض على جانبي نهر الأردن. ودار النشر الخاصة بهذه الطبعة كانت على ما يبدو في مملكة يهودا، ويرجع زمنها المقدر إلى أيام مملكة حزقياهو (بعد سقوط السامرة سنة ٧٢٠ قبل الميلاد) .

وقد كانت بين يدي الرواية الثانية، على ما يبدو، عدة مصادر من بينها، الطبعة الأولى لسفر يشوع، وسجلات جغرافية، ورؤية، على ما يبدو، للانقسام اللاإرادي، في أيام حزقياهو، وروايات الاستيطان (كتابة أو شفاهيا مثل روايات احتلال كالب وعثنيئيل على سبيل المثال).

وقد سعى مدون الطبعة الثانية إلى إصلاح الصورة التاريخية التي طرحتها الطبعة الأولى، وأراد كذلك عند تعرضه للملابسات، التي سيتم شرحها تفصيليا فيما يلي عدم التغاضي عن الطبعة الأولى وفضل إدخالها في بحثه، وأن يتجادل معها.

إنه لا يذكر دور يشوع الإفرايمي في احتلال الأرض، لكنه يختصر بشكل واضح حجم إنجازاته على النحو التالي : لم يحتل يشوع كل الأرض ـ "وشاخ يشوع وتقدم في الأيام (...) وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك" (١ : ١٣)، أي أن يشوع لم يحتل الأرض من جبل الحرمون حتى مدخل حماة، ولم يتم احتلال بعض مدن الأرض على يد يشوع، إنما على يد الأسباط، التي استقرت في المدن التي قامت بالاستيلاء عليها، مثل دبير ودان ومنطقة حبرون، وكانت في حدود الأرض التي احتلها يشوع مناطق واسعة لم تحتل، ومن بينها منطقة "البلست" (فلسطين)، وادي بيت شان، ووادي يزرعيل، ولم يتم احتلال بعض مدن الأرض، ومن بينها أورشليم، وجازر، ومجدو، وتعنك، ويبلعام، ودور، وبيت شان. وحقا تمت إبادة كنعانيين، ولكن تمكن آخرون من النجاة، وعندما تشدد الإسرائيليون، ووضعوهم تحت الجزية، لكنهم لم يقتلوا ولم يتم تجريدهم من أموالهم، وكان ليشوع دور هام حقا في مسيرة الاحتلال، لكن كان هناك قادة آخرون ساهموا بنصيب وافر، وعلى رأسهم كالب، وعثنيئيل، من سبط يهودا .

http://kotob.has.it

ويؤكد مدون الطبعة الثانية بوضوح، وبشكل لا يحتمل اللبس، على أهمية سبط يهودا ومكانته السائدة داخل أسباط إسرائيل (إلى جانب بيت يوسف): كان يهودا هو أول من تسلم ميراثه، وأخذ بالفعل نصيبين ـ نصيبه ونصيب شمعون (على غرار بيت يوسف) .

وليس ذلك فحسب بل إن هدف الوصف المفصل والدقيق في الإصحاحات (١٣ ـ ١٩) كان على ما يبدو هو التأكيد رمزيا على حجم إنجازات داود وسليمان في أثناء مسيرة احتلال الأرض، وظهرت أهمية خاصة لفقرة : "وكان لما تشدد بنو إسرائيل أنهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية" (١٧ : ١٣).

ويبدو واضحا الرمز إلى أيام داود وسليمان، وظهر الاحتلال في أيام يشوع باعتباره احتلالا جزئيا، وغير كامل، وبنفس القدر زاد نصيب الأبطال ال "يهوديين" الذين يشار إليهم صراحة ورمزا، في عملية احتلال البلاد، حيث أنه في فترة الملكية، كان كل رجل في إسرائيل، يعرف أن الإسرائيليين حقا يستقرون في كل المناطق التي ينسب مدون الطبعة الأولى احتلالها إلى يشوع (لتأكيد الارتباط بين داود ويشوع قارن ١٣ : ١، والملوك الأول ١ : ١)، ومعنى هذا أن الطبعة الثانية جاءت لخلق توازن مع نص الطبعة الأولى ولتقربها إلى التفسير الـ "يهودي" الخاص بالحقائق.

ومع أنه تم الاحتفاظ بالطبعة الأولى رغم عدم توافقها مع وجهة نظر مدون الطبعة الثانية، إلا أنه قام بذلك لإدراكه أهمية عرض نص معتدل لقصة الاحتلال والاستيطان، يمكن أن تحظى بالموافقة أيضا " على يد فلول مملكة إسرائيل، من خلال تجربة العودة والتوحد في مركز ثقافي مشترك لكل أسباط إسرائيل، بعد التفكيك الذي استمر بصورة متقطعة عبر ما يزيد على مائتي عام.

وقد كان هذا النشاط التأريخي، على ما يبدو، جزءا من خطة حزقياهو، ليقرب بقية إسرائيل من يهودا، على أمل أن يأتي يوم يصبح فيه ممكنا عودة وتوحيد كل شعب إسرائيل تحت حكم ملك من بيت داود.

ولذلك فلا غرابة في أن يدعو حزقياهو ابنه ليعين ملكا من بعده، باسم منسى، على اسم أكبر وأهم أسباط الشمال. هكذا يمكن أن يكون الافتراض بوجود أساس حقيقي في القصة الواردة في سفر أخبار الأيام، عن احتفال عيد الفصح الرسمي الذي أعده حزقياهو في القدس والذي دعا إليه أيضا سكان الشمال، افتراضا معقولا.

http://kotob.has.it

ويبدو أنه قد حدث في أيام حزقياهو نشاط ثقافي كبير، ويبدو كذلك أن حزقياهو قد قام على غرار آشور بانيبال ملك آشور، بجمع إنتاجات أدبية في قصره في القدس (أمثال٢٥ : ١).

أما الطبعة أو الرواية الثالثة، فهي الطبعة التثنوية (نسبة لسفر التثنية ـ أحد المصادر الأربعة للرواية التوراتية) لسفر يشوع. ولا يزيد نطاق هذا الجزء التثنوي على حوالي عشرة بالمائة من السفر، وقد أضيف إلى السفر في هذه المرحلة، خاصة إصحاحات ١ و٢٣ فقرات أخرى، منها إصحاح ٣ الفقرات (٢ ـ ٤)، وإصحاح ٨ الفقرات (٣١ ـ ٣٥). وقد كتبت هذه الطبعة على ما يبدو، على يد كاتب كان يعيش في مملكة يهودا في القرن السادس قبل الميلاد .

وبالنسبة للتناقضات الواردة في الطبعة الثانية للسفر، يمكن الافتراض بأن الهدف الأساسي لهذا المدون كان طرح التساؤل التالي : هل تم تنفيذ وعد الرب بأن يورث شعبه الأرض التي وعد بها آباءهم :"من البرية (...) وإلى النهر الكبير نهر الفرات" (١ : ٤).

ووفقا لهذه النظرية، فإن نطاق الأرض التي وعد بها الرب يشوع، كان أوسع من النطاق الذي وعد به الآباء، حيث إنه في بداية الإصحاح ١٥ الفقرات (١٨ ـ ٢١) تم الوعد بالأرض لإبراهيم ولنسله، أي ليس فقط لإسرائيل، إنما أيضا لأبناء إبراهيم الآخرين . ولم يرد هذا الأمر في سفر يشوع على هذا النحو، حيث يتم فيه هذا الوعد للإسرائيليين فقط .

ولا يشير المدون إلى الفترة التي نفذ فيها الوعد كاملا، ويمكن الافتراض أنه يعني فترة داود وسليمان، حيث امتدت مملكتهما إلى الفرات :"فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطي لآبائهم فامتلكوا وسكنوا بها. فأراحهم الرب حواليهم" (يشوع ٢١ : ٤٣ ـ ٤٤)، وانظر أيضا صموئيل الثاني (٧ : ١) :"وكان لما سمن الملك في بيته وأراحه الرب من كل الجهات (...)"

وقد أوضح مدون الطبعة الثالثة في الإصحاح ٢٣ أن الوعد قد تحقق تدريجيا : بعضه في أيام يشوع، وبعضه بعد موته : "(...) هؤلاء الشعوب الباقية (...) يدفعهم الرب من أمامكم ويطردهم من أمامكم فترثوا أرضهم" . ويقدم المدون يشوع كتابع لموسى، وكمخلص

http://kotob.has.it

لتوراته، ويؤكد في الإصحاح (٨ : ٣١ ـ ٣٥) خمس مرات على التصاق يشوع بتوراة موسى وبأوامرها.

والطبعة أو الرواية الرابعة هي الطبعة الكهنوتية، (نسبة إلى الرواية الكهنوتية، إحدى الروايات المحددة في تدوين التوراة) في السفر، حيث ضم المدون إلى الطبعة الثالثة الفقرات (١٩ : ٥١ ـ٢١، ٢٠)، ويبدو أنه تم تعزيز جوهر هذه الفقرة من خلال فقرات إدارية من أيام المملكة الموحدة (مدن اللاويين والملجأ).

ومن المحتمل أن تكون هذه الطبعة قد دونت في الفترة الفارسية، على يد مدون من المدرسة الكهنوتية التي بدأت نشاطها في فترة الهيكل الأول. وكانت الطبقة الأساسية للمصدر الكهنوتي في التوراة، قد ظهرت اعتبارا من فترة حزقياهو ـ واستمر نشاطها خلال فترة سبي بابل (حزقياهو) وكذلك خلال الفترة الفارسية (عزرا وآخرون).

وحيث أنه توجد في الإصحاح الذى وردت فيه مدن الملجأ روايات ذات طابع تثنوى وكهنوتى، فمن الممكن الافتراض أن الفقرات الكهنوتية المذكورة قد تم ضمها إلى الطبعة الثالثة، وليس إلى الطبعة الثانية لسفر يشوع.

ويؤكد مدون الطبعة الرابعة على أهمية اليعازر بن أهارون الكاهن، كواحد من زعماء إسرائيل في الفترة موضع البحث، وذلك بخلاف الطبعة الثالثة التي يوجد بها دمج بين "الكهنة واللاويين"، تعبيرا عن وجهة النظر التثنوية، كما يوجد في إضافات مدون الطبعة الرابعة فصل قاطع بين الكهنة وبين اللاويين، كما يتم التأكيد هنا على حق الكهنة واللاويين في ٤٨ مدينة في "أرض إسرائيل".

وبعد تدوين الطبعة الرابعة تم ضم الفقرات (٩ ـ ٣٤) من الإصحاح ٢٢ إلى السفر. والهدف الأساسي لهذه الفقرة هو التفرقة بين شرق الأردن وبين غرب الأردن، وتقديم شرق الأردن باعتبارها "أرض نجسة". وقد كتب هذه الإستحداثات كتبة من الكهنة في فترة الفارسية، والدليل على ذلك إما لغة هذه الفقرة أو الإشارة إلى فنحاس بن اليعازر بن أهارون الكاهن كقائد لإسرائيل في تلك الأيام.

وبخلاف وجهة نظر مدون الطبعة الرابعة الذي لم يميز الفارق بين وضع مدن اللاويين في شرق الأردن، وبين وضع مدن اللاويين غرب الأردن، يؤكد مدون الإصحاح ٢٢ الفقرات (٩ ـ ٣٤) على الفارق بين المنطقتين، كما ذكرنا سابقا.

http://kotob.has.it

وقد أيد شموئيل أحيطوف في تفسيره الجديد لسفر يشوع، على أنه "يفهم من اللفائف الثلاث لسفر يشوع، التي تم العثور عليها في مغارة بجوار كهف قمران، أنه كانت هناك في عهد الحشمونيين، في الفترة من القرن الثاني إلى الأول قبل الميلاد، عدة صيغ مختلفة لسفر يشوع، واستمرت عمليات التبلور النهائية لهذا السفر حتى فترة متأخرة، ويحتمل أنها لم تنتهي إلا قرب خراب الهيكل الثاني (ص٢٧).

ويفهم من تحليل تسلسل تكوين سفر يشوع أنه في "المقرا "، ظهرت وجهات نظر مختلفة حول استيطان شعب إسرائيل في "أرض إسرائيل".

ويجب أن نذكر أنه في معظم الفترة المقرائية كان شعب إسرائيل مقسما ومنقسما: في البداية إلى العديد من الأسباط، وبعد موت سليمان إلى مملكتين هما: إسرائيل ويهوذا، وعقب إصلاحات يربعام بن بناط ملك إسرائيل، الدينية والإدارية، تم الاحتفال بالأعياد في أوقات مختلفة، وتمت عبادة الرب في مراكز مختلفة، وعالجوا الروايات الشفهية التوراتية القديمة التي تصدى لها العديد من الشخصيات (يشوع، وكالب بن يفونة، وداود)، وقاموا كذلك ببلورة وجهات نظر مختلفة عن بداية شعب إسرائيل، وعن عمليات تكونه، واستيطانه في البلاد. ويبدو أنه في فترة الملكية، لم تكن هناك بين شعب إسرائيل، معرفة سليمة بالمسائل التاريخية المتعلقة ببداية تكون بني إسرائيل، وكانت أيام الاحتلال والاستيطان مغلفة بالغموض .

ولذلك لا يمكن اليوم بأي حال من الأحوال، أن نعتبر شهادة سفر يشوع بمثابة شهادة أحادية اللون، من خلال محاولة إحداث الانسجام، بين الشهادات المختلفة والمستترة، حول قضايا معتمدة مختلفة وغريبة .

وبخلاف ذلك، يجب التفرقة بين وجهات النظر المختلفة، للوقوف على أهداف المدونين المختلفين، بالإضافة إلى المرحلة التالية من البحث لتجربة واختيار المصداقية التاريخية للشهادات التي بين أيدينا .

http://kotob.has.it

١٣ - أثينا وأرض عوص*

(تأملات في سفر أيوب وكتاب "السياسة" لأفلاطون)

إن رؤيتي لكل من سفر أيوب، وكتاب "السياسة" لأفلاطون، باعتبارهما الخلاصة المصفاة لعلم الأخلاق اليهودي من ناحية، واليوناني من ناحية أخرى، تعتبر بمثابة مجازفة بتبسيط الموضوعات الصعبة المعقدة للغاية، وخاصة عندما تحتويها مقالة قصيرة، بينما يمكنها أن تملأ مكتبات كاملة، وهذا ما يحدث بالفعل. إن كلا العملين يهتمان بنفس المشكلة، ويستنفذ ارتباطهما المختلف جذريا بهذه المشكلة، الفروق الجوهرية بين ثقافة التشريع اليهودي، وبين علم الأخلاق العقلاني اليوناني.

وعندما نتحدث عن سفر أيوب، نثير مسألة معقدة للغاية، وهي: هل يمكن النظر للسفر باعتباره وحدة واحدة، أم نستبعد الإطار القصصي، وخاصة "ما انتهى بالخير، فكله خير" في نهايته، والذي يعيد فيه الرب أيوب كما كان ويكافئه على مخافة الرب؟ رغم أن أيوب لم يذكر مطلقا ما يدل على مخافة الرب، بل على العكس: فالرفاق هم الذين دافعوا عن مسالك الرب بينما اتهمه أيوب.

ومن هنا، يعتقد الباحثون أن هذا الإطار يرجع لقصة أقدم بكثير، يجدف الرفاق فيها على الرب بسبب الفاجعة المخيفة التي ابتلي بها أيوب، بينما دافع أيوب الذي يتمرغ في الطمي داخل كومة رماد، عن معايير الرب وتلقى مكافأة على ذلك في النهاية.

بالإضافة لذلك، فإن الموقف اليهودي التقليدي يتلخص في مزاعم الرفاق التي تتعارض مع مزاعم أيوب، حتى لا يتبقى للرفاق ما يقولونه لأيوب الذي يظل ثابتا على رأيه بأن

---

* كاتب هذه الدراسة هو المفكر الإسرائيلي "بوعز عفرون"، وهو صاحب إسهامات هامة فى مجال دراسة الفكر الدينى اليهودى، والواقع الإسرائيلى. ومن أهم كتبه "هَحشْفون هَلْئومى" (الحساب القومى) الصادر عن دار نشر "دفير" عام ١٩٨٨، والذى ترجمه إلى العربَية لأهميته الدكتور محمد أبو غدير لحساب مركز الدراسات الشرقية التابع لجامعة القاهرة (١٩٩٥م).

http://kotob.has.it

عذابه ليس عادلا، حتى يسمع "صوت الرب وسط العاصفة"، ويحسم الرب الجدل، حين يعرض موقفا يتجاوز أي جدل، وهو ضآلة الإنسان، وعدم إدراكه، في مقابل سرمدية الرب، لأن مزاعم الإنسان تجاه معايير العدل الإلهي لا يمكنها الوصول إلى مدى هذا العدل.

وهنا، كلما حاولنا إدراك عمق الأمور، تظهر معاني مفاجئة تلقي ضوءا غير متوقع على موقف أيوب تجاه المتكلم من وسط العاصفة .

وهناك من يعتقد، أن سفر أيوب لا ينتمي مطلقا للأدب العبري، وتعتقد الغالبية أن أيوب نفسه، (الذي يسكن أرض عوص)، ليس من أسباط إسرائيل؛ لأن السفر لا يتضمن أية كلمة تشير لإسرائيل، أو عهد الرب معه، ولا يأتي اسم "يهوه" إلا في النهاية، فنجده في الإطار القصصي، وكذلك المتحدث من وسط العاصفة، وحتى في أثناء المجادلات والخطب، ترد أسماء الإله "ايل" (الله)، و"شداي" (القهار) فقط، وهي أسماء الإله الأكبر عند الساميين الغربيين أو أسماء معلمي الآلهة بشكل عام، وفي أحيان متباعدة، يأتي اسم "ايلوهيم" (الرب). وليس هذا فقط، بل إنه بخلاف الترتيب المتأخر "للمقرا" (كتاب العهد القديم)، والذي استبعد معظم الصلات بأنظمة الألوهية الأخرى، بإبقائه فقط لذكر المخلوقات الأسمى من الإنسان، مثل "الكروبيم" (الملائكة المجنحة)، والملائكة، و"السرافيم"، بمذهبنا أن الإله يجلس بمفرده كملك في بلاطه، محاط بأبناء الآلهة (الذين يظهرون ثانية مع كلام الرب وسط العاصفة).

أما الشيطان، الذي يأتي ذكره في مواضع أخرى في العهد القديم، كتعبير لغوي (ساطان)، وغيره، فيكتسب هنا وجودا ميثولوجيا كاملا، كوجود إلهي وإرادة مستقلة، لا ينفذ فقط تعليمات الرب مثل الملائكة، بل هو مؤهل للجدل مع الرب ويضع وجهات نظره محل اختبار.

إن مجرد حقيقة وجود هذا الكيان، في هذا الموقع المتقدم في الإطار القصصي، (لكن ليس في الجدل نفسه حيث لا يوجد فيه) يثير احتمال انتماء هذه القصة لحقبة وثنية في التاريخ الإسرائيلي، وتشهد على تطور تدريجي لفكرة الوحدانية.

وفي مقابل ذلك، نجد حقيقة أن لغة السفر، تختلف تماما عن بقية أنماط العبرية المقرائية (نسبة إلى لغة العهد القديم)؛ مما يثير احتمال أن السفر قد ترجم إلى الآرامية، أو كتبه أحد أبناء الشعوب، التي تتحدث بلهجات الشرق القديم. وإن كان هناك أساس

http://kotob.has.it

من الصحة في هذا الاحتمال، فهذا يعني إمكانية اعتبار أن الوحدانية ليست مقصورة على النبوءة الإسرائيلية المتأخرة، بل إنها كانت فكرة منتشرة في المناخ الذهني للشرق القديم في هذا العصر؛ (إذن فالرب "إيل"، هو الإله الرئيسي "للبانثيون" السامي، فهو الملك وخالق العالم. ويشير رولان ديفو في كتابه "The Early History Of Israel" إلى الطابع الساكن للإله "إيل"، بالمقارنة بطابع "يهوه" الغيور المنتقم؛ وبالطبع نجد أن شخصية الإله في الإطار القصصي، أكثر قربا للإله السامي القديم، من تلك التي نجدها في إله إسرائيل. وليس من نافلة القول، أن العقيدة اليهودية المتأخرة، وحتى أجيال متأخرة، كان بها أسس لتعدد الآلهة، أو على الأقل، ثنائية الإله، مثل ثنائية القدوس المبارك والروح القدس (الشخيناه)، والتي تعتبر "العنصر المؤنث"، الذي يلطف من قسوة حكم "الذكر".

ومثلما كانت عقيدة مريم في المسيحية، في العصر الوسيط، تلطف من قسوة الآلهة الأب، والابن، فإننا نجد "المدراشيم" (كتب التفاسير اليهودية للتوراة)، تتحدث عن أمنا راحيل، التي تطلب الرحمة لأبنائها، أمام القدوس المبارك، فهي تقوم بنفس وظيفة مريم، التي تستعطف ابنها ليخفف من حكمه.

ورغم كل المعايير، فإن "صوت الرب من داخل العاصفة"، والذي كان ينهي أي جدال، ويجبر أيوب على الخضوع دون شرط، للقوة السرمدية المتجلية أمامه، هو الإجابة التي تقدمها اليهودية التقليدية، على المشكلة التي أثارها أيوب، وهو أساس النظام الفكري ـ التشريعي الذي أقامته.

وفي معرض حديثي، سأحاول تبيان أن معنى الإجابة يختلف عما نسب إليها، وأنها أكثر غموضا وتعقيدا في سفر أيوب نفسه، عما يبدو في البداية، غير أننا سنصل لهذه الفكرة، خلال تطور آرائنا، أما قبل ذلك، فسنهتم بالمشكلة التي أثارها العملان، سواء أيوب، أو كتاب السياسة لأفلاطون.

تتشابه مفاهيم الخير والشر المتعارف عليها، سواء في الإطار اليوناني، أو اليهودي؛ مثلما يتضح من الاستشهادات، وهذا الحديث لمن يزعمون أن المفاهيم الأخلاقية "اختراع يهودي".

http://kotob.has.it

إن كلا العملين يهتمان بالمسألة الأخلاقية، والتي حددت في تقاليدنا بمشكلة "الخيِّر يحصد الشر، والشرير يحصد الخَيْر"، ولأن كليهما يهتمان بنفسه المسألة؛ فلا يوجد مثال خير منهما لإبراز الخلاف بين الثقافتين.

ومن الوهلة الأولى، لا يمكن اعتبار سفر أيوب عملا فلسفيا، فالفلسفة تحاول فهم طبيعة العالم (الوصول للحقيقة)، وتصل لذلك بواسطة البحث والتأمل العقلاني الجدلي. غير أن الجدل، بين أيوب ورفاقه، لا يشمل أي ذكاء جدلي؛ فمن ناحية مضمونه التأملي، يمكن أن يختصر الجدل في جمل معدودة. إننا نجد أيوب على كومة الرماد، يعلن نزاهته ويعترض أمام الرب على معاناته، التي حلت عليه دون عدل. ويجيب الرفاق بأنه، لا عقاب دون إثم؛ فعدالة الرب من البديهيات الأولية.

لكن أيوب ينكر غاضبا أنه أخطأ، ولو حتى دون قصد كما يعتقدون، بل يدعو الرب نفسه ليقاضيه؛ كي يعرف من فيهما العادل، وبعد أن أنكر أيوب ذنبه، أصبحنا أمام موقف غير حاسم. وفي الحقيقة لا توجد مزاعم أساسية أخرى (حاول الرفاق إثبات أن نجاح الأشرار ومعاناة الأخيار مسألة وقتية، وان حساب الثواب والعقاب يتوازن في النهاية، ويجيب أيوب عن ذلك بأنه لا يبرر الفواجع التي حلت به دون ذنب جناه).

ولا توجد أية محاولة لمعرفة من هو الخير ومن هو الشرير، أو هل توجد أنظمة أخلاقية بديلة مثلما نتوقع في عمل فلسفي، يناقش هذه المسألة. أما نظام المفاهيم الأخلاقية لدى أيوب ورفاقه، فهو واضح، ثابت، وبسيط للغاية، وتنقصه الإشكاليات والدقة. ولا تتمثل قوة الجدال في حدة وعمق مزاعمه؛ بل تتجلى قوته في تغلغله السيكولوجي، وتدفقه الشعري الدرامي القوي والمفاجئ، والتشبيهات الموسيقية فيه. وتتكرر مزاعم أيوب ورفاقه في تنوع ثري من التشبيهات والإيقاعات والسلوكيات، فيما يشبه تنويعات موسيقية على الموضوع، تحرك الإحساس من خلال نوجه بسيط للذهن. فهي بمثابة بلاغة شعرية عالية ولكنها فقيرة المضمون من الناحية الفكرية.

وبعد أن يصل الجمود للمرحلة القصوى باللغو الذي ينطق به إلياهو (الذي يحتمل أنه إضافة متأخرة، لأنه لا يضيف إلى كلمات الرفاق أو أيوب، بل هو حتى لا يجيب على أقواله)، نصل إلى مرحلة الإجابة النهائية، وهي صوت الرب من داخل العاصفة: "من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة" (أيوب ٣٨ : ١).

http://kotob.has.it

وما هو مضمون الإجابة حقا؟ أن الرب يجسد سطوته المطلقة، وأن الإنسان ليس أكثر من حبة رماد حقيرة عمياء يكتسحها الإعصار المثير، فكيف يجرؤ على طلب كشف حساب من الحكمة والقوة اللتان خلقتاه مع الوجود كله، إن المخلوق لا يدرك الخالق أبدا.

إن الفارق بين الإنسان والرب ضخم، مطلق، لدرجة أنه لا مكان لعرض الأسئلة والمزاعم. لأن الإدراك الإلهي أسمى وأرفع منا، فلا نملك سوى التسليم في صمت وخضوع لأحكامه، لأننا لن نصل أبدا لمنتهاها، وعلينا أن نتقبل الآلام التي يسلطها علينا بمحبة له وحمد على الروح التي نفخها في صدورنا، وليس لنا أن نسال عن معنى وصاياه، لأنه أعلى من إدراكنا. وإذا فهمنا أنه لا يوجد تعقيد فكري في مزاعم الجدل، فعلينا أن نؤكد، مع ذلك، على وجود ذكاء سيكولوجي شديد في عرض الأقوال، لأنه تحت وطأة الموقف الذي يتعرض له أيوب، لا يمكن للفكر الإنساني أن يتأمل بشكل سليم أو متوازن بل لا يستطيع إلا الصراخ ألما، أما الرفاق الذين جاءوا ليواسونه، فعند سماعهم لهرطقته التي تزلزل كيانهم، لا يملكون الرد عليه بهدوء فلسفي.

ويعتبر الجدال هنا بمثابة مقابلة بين الألم اللانهائي والخوف على أسس ثقتنا في الوجود، وفي مثل تلك المجادلات، نجد الناس يتهامسون لأنهم لا يستطيعون الانفصال عن أساس إنسانيتهم وتجربتهم ووضعه في اختبار الفكر، والشك والنقاش النظري.

ومنطقة الضعف الأساسية في إجابة الرب من وسط العاصفة، هي أنه إذا كانت طبيعة الرب بعيدة عن إدراكنا، وأننا لا نستطيع الوصول لمناقشة أفعاله، عندئذ ستكون الفرضية الأساسية، بان الرب كامل فعله، وكل مسالكه قضاء، خالية من أية مضمون. كذلك مفاهيم العدل والقضاء، هي مفاهيم إنسانية، والأخلاق قيمة إنسانية، إذن لا يمكن أن تنسب للرب.

وإذا كانت مسالك الرب مخفية عنا، وأعلى من إدراكنا، فكيف عرفنا أنه "عادل"؟، وعلى العكس، إذا كنا نستطيع فهم طبيعة الألوهية، فإن هذا سيكون من خلال ما يحدث في العالم فقط، لأنه لا يحتمل أن تكون أنظمة العالم ذد إرادة الرب. وعندئذ ماذا سنجد؟ "فاعل الخير يجني الشر، والشرير يحصد الخير". إن محاولات تعليل هذا التناقض، مثل الادعاء بأن كل هذا اختبار من الرب، يضعنا فيه ليجازينا في الآخرة على إحساننا، مبنية على لا شيء، لأن الآخرة لم تأت بعد، ولا نعلم ما الذي سيحدث

http://kotob.has.it

حينئذ، وإذا كان ما سيحدث هو ما نحن واثقون منه، وإذا كانت هناك آخرة بالفعل، أو أنها مجرد وهم يسيطر علينا. إن كل ما يمكننا معرفته بشكل واضح هو الماضي والحاضر، وهما منذ آلاف السنين يدحضان مزاعم الرفاق. وإذا أردنا الاستقصاء، وأن تأمل ما يحدث في سفر أيوب حقا، من خلال افتراض أنه وحدة واحدة (وليس كما يقول الباحثون)، فلا مفر من الوصول لنتيجة، وهي أن الرب لا يتصرف بشكل مباشر في ذلك السفر، حيث أن الآلام التي أصابت أيوب، لم تكن جزءا من خطة إلهية، بل هي نتيجة لعبة، ونتيجة تداخل وجودي للغاية بين الرب والشيطان. وإزاء معارضة أيوب المتأملة المفكرة، يختفي الرب خلف قوته وسطوته، ويحاول إسكات أيوب بدلا من الاعتراف بالحقيقة، أي أنه أقل من أيوب بمراحل في الوجهة الأخلاقية، أو أنه غير مرتبط بالتزامات أخلاقية، وحينئذ يهدم أساس مزاعم الرفاق. إنه يتصرف في الواقع، كأي حاكم قدير : يحاول إخفاء الدوافع الملتوية، الضئيلة، أو التي تخفى عن العين بالنسبة للإدراك فوق الإنساني، من خلال ملامح الكتمان، أسرار السلطة، وهي أرفع من إدراك الإنسان التافه .

إن مضمون سفر أيوب بسيط للغاية، ولا يحتاج لدقة في فهمه وتفسيره، بينما نجد كتاب أفلاطون، يحتاج لمؤلفات تفسيرية ونقدية، والتي بدأت فور نشر العمل تقريبا (حيث نجد في مؤلفات أرسطو أقوال نقدية وجدلية على مؤلف أفلاطون).

ويعتبر ذلك الكتاب اليوتوبيا الأولى والأكثر أهمية، حيث نجد فيه أفكارا، وبوادر لنظريات، مازالت تؤثر حتى اليوم، حيث أثبت أفلاطون، أن من واجب الفن خدمة الأهداف الاجتماعية، أي "الخير"، كما أنه أشار إلى ماهية الإنسان، وفلسفة العلم. وحسبما أعتقد، فهذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها رؤية كاملة للثواب والعقاب في العالم الآخر. وبشكل عام فإن كل قراءة جديدة لكتاب "السياسة"، تؤدي لإمكانية تفسير وفهم جديدة.

إن مسألة الثواب والعقاب توجد هنا أيضا، مثلما في سفر أيوب، ولكنها في سفر أيوب تتم تحت وطأة الرب، باعتبارها اختبارا علويا للإنسانية، أما صرخة أيوب، فهي نموذج أسطوري للثورة، وهي لا تحظى بإجابة، لذا تظل مشتتة. ومقابل ذلك، تدور المحاورة الأثينية، التي يصف فيها أفلاطون عالما كاملا مستقرا، كل التصرفات فيه واضحة، وهو عالم التقاليد، الذي تهتم فيه الآلهة بالمؤمنين بهم الذين يقدمون لهم

http://kotob.has.it

القرابين، وهذا هو نفس العالم الذي يؤمن به رفاق أيوب. وهو بالتأكيد عالم الشيوخ أما الشباب، وعلى رأسهم سقراط، فلا يستطيعون الوثوق بهذه العقيدة البسيطة، وهم مجبرون على مصارعة عالم انهارت فيه التقاليد، ولم تعد تصلح أساسا للسلوك، حيث أن كل تأمل ذكي للواقع، يجبر الإنسان على نبذ العقيدة البسيطة، والبحث عن أساس جيد للتقاليد والأخلاق. لقد هدم المجتمع الأثيني البرجوازي الاستعماري كل معايير التقاليد، فلا يمكننا الاسترشاد بتلك التقاليد لفهم المشكلات التي تواجهنا، لقد عجز الشيوخ عن المساهمة في الجدال، لذا أرسل أفلاطون "كفالوس"، ليقدم القرابين للآلهة، التي لم تفيد في المشكلات المطروحة هنا.

وفي الواقع لو كان أيوب قد عرض مزاعمه على كفالوس، كان سيجيبه بالطبع مثلما أجاب رفاق أيوب. لكن أفلاطون لم يرغب في إبقاء الجدال على هذا المستوى الجامد المنخفض، والذي يصبح حله الوحيد هو "صوت الرب من داخل العاصفة"، وهي ليست إجابة بقدر ما هي إلا تكميم للفم.

إننا نهتم بالحاضر الديناميكي للحضارة، ذلك الحاضر الذي لم تعد تناسبه قواعد الأخلاق العتيقة، التي تبلورت في مجتمع تقليدي مستقر، ولم تعد تناسب أثينا الاستعمارية المتغيرة دائما. لقد تركتنا الآلهة، ويجب أن نجد طريقنا وحدنا.

عندما نبحث عن هذه الطريق، فلا يوجد شيء بديهي لا يحتاج لإثبات، لذا فقد تنافس أفلاطون وسقراط، أولا، على تحديد مفاهيم الخير والشر.

إن كل المتجادلين، سواء أيوب أو رفاقه، وحتى الشاب الجريء الذي انضم متأخرا للجدال، إلياهو بن بركال، لا يختلفون فيما بينهم بالنسبة لتحديد ماهية الخير والشر، والبار والشرير، لكن ترسيماخوس (في كتاب أفلاطون) يثور على تحديد الخير والشر نفسه، قبل مجيء نيتشه بحوالي ٢٤٠٠ عام، ويثبت أن الخير هو ما يفيد القوي، المنتصر، فالقوة خير، والضعف شر. وعندما يخالف سقراط هذا الادعاء، عن طريق التحليل المنطقي النظري، يجيب ترسيماخوس بعنف :"إن البار مقهور في كل مكان، أما الشرير فيكافأ، وعليك أن تفسر ذلك أيها الساذج سقراط، ومثال ذلك : في التجارة، عندما يشتري الاثنان (الخير والشرير) لن تجد أبدا في النهاية أن الخير يحصد أكثر من الشرير، ولا أقل..." (السياسة مجلد ٨ : صفحة ١٨٣، ترجمة يوسف ليفس ـ دار نشر شوكن).

http://kotob.has.it

ويجدر بنا أن نذكر، أن مفاهيم الخير والشر المتعارف عليها سواء في الإطار اليوناني أو اليهودي، متشابهة مثلما يتضح من الاستشهاد، وهي التي نعرفها حتى الآن.

وهذا ما يمكن قوله إزاء من يدعي أن المفاهيم الأخلاقية هي "اكتشاف يهودي"، حتى لو كان الرب قد تحدث من العاصفة إلى سقراط ورفاقه، مثلما تحدث إلى أيوب، لكانوا سوف يجيبون بأنه لم يرد على مزاعم أيوب، وان هذه المظاهرة الضخمة لإبراز القوة ليس فيها أي إجابة على السؤال : هل الرب نفسه أخلاقي.

إن العقل الإنساني لا يتقبل مسألة كونه لا يمكنه إدراك الإله، لأننا لا يمكننا أن نتجاوز الإنسانيات، لذا يجب أن نتساءل عن كل شيء، وذلك من وجهة النظر الإنسانية.

لقد علمتنا التجربة أن الشر يتحكم في العالم، لذا تفضل الألوهية الشر (بالمفهوم الإنساني للكلمة) على الخير، لذا علينا أن نحول كل قيمنا، مثلما ادعى ترسيماخوس : أن الخير هو القوي المنتصر، والشرير هو الضعيف المنهزم.

وفي الواقع إذا تعمقنا في ذلك سنصل إلى بُعد مدهش في سفر أيوب، فإجابة الرب في وسط العاصفة لا تقول شيئا آخر. وإذا تجاهلنا النهاية السعيدة في الإطار القصصي، سنجد أن الرب في النهاية لم يقل لأيوب سوى: هل تطلب مني "نظاما أخلاقيا"؟ لا يوجد نظام أخلاقي؛ إن كواكب الصباح، وجياد الحرب، وخفايا البيولوجيا، والطبيعة، والفلك، لا شأن لها بالأخلاق، إن الأخلاق من شأنك أنت. أما أنا فقد خلقت الطبيعة، إنها طبيعة إلهية، ليس لديها أخلاق، لقد توجهت بمظلمتك لعنوان خاطئ، إذا كنت ترغب في نظام أخلاقي عالمي، عليك بخلقه، والتحكم فيه بنفسك، ولا تطلب مني أن أصنعها بدلا منك، فهذا ليس من شأني.

ويمكن أن نقول أن "الإجابة من وسط العاصفة"، هي الترتيلة* العظيمة في الأدب العالمي، والمزمور الذي يؤكد أن الألوهية فوق البشر.

ولا نزعم أبدا في هذا المزمور أن نظام العالم أخلاقي، بل إن كل ما نزعمه أن هذا النظام خارج إدراك البشر، لذلك لم يحدث اختلاف عند كتابته، وحتى الآن فنحن ابعد ما يكون عن تفسير هذا النظام تفسيرا كاملا. وبشكل عام لا نميز في هذا البعد، من

* مذهب الحلولية يعني: أن الله موجود في كل شيء في الطبيعة .

http://kotob.has.it

الإجابة وسط العاصفة، إجابة لتظلمات أيوب، حيث لا توجد أي إجابة هنا، ولا حتى نية في منح إجابة، ومجرد التأمل في هذا المزمور، دون معرفة سابقة تكشف هذه الحقيقة البسيطة. فهنا قد انتهى الادعاء، وقوبلت صرخات أيوب بنفس ما قوبلت به ادعاءات الرفاق، فقد استمعت إليها السماء الغاضبة، الضخمة، الفارغة، خلال عقيدة عبثية لأيوب ورفاقه، بأن هناك من يسمعهم ويجيبهم، أما الإجابة التي يتلقونها فما هي إلا: الرعد.

ولولا النهاية السعيدة الملتصقة بهذه القصة، والتي تلطف منها وتتركنا راضين قليلا رغم علمنا بأنها لا تنتمي لجسم القصيدة. ولو انتهى السفر هنا، لكنا سنظل في اضطراب شديد بسبب تلك الإجابة الوحشية، وستعم الدهشة، إذا كان مدوني العهد القديم قد ضمنوه في المخطوط، ولكان السفر في هذه الحالة سيصبح مهزوزا للغاية، بل يمكن القول أنه مرهطق، ويبدو التصاق النهاية بالسفر واضحا من قول الرب الرفاق ـ " لم تتحدثوا بشكل سليم كعبدي أيوب".

ومن هنا يتضح أنه في النسخة الأصلية، قد تحدث الرفاق باتهام الرب بسبب ما حل على أيوب من كوارث، بينما هو قد دافع عن معايير الرب.

وفي مقابل ذلك، ناقش أفلاطون مزاعم أيوب وترسيماخوس، فحيث أن الطبيعة والرب من فوقهما كلاهما لا أخلاقي، فإن أفلاطون لن يتجه إلى الطبيعة أو الألوهية ليبحث لديها عن إجابة للسؤال. إن وضع الأمور الطبيعي هو المغزى غير المذكور عند سقراط، وهو غير أخلاقي حقا، فالمجتمع، والطبيعة لا أخلاقيين. وإن لن يحقق البار أية متعة من استقامته،وإذا كان الشرير أكثر سعادة في أعين الناس، وكلما ازدادت سعادته وتمجيده، عندئذ تختل سعادة أي أخلاق . كذلك الادعاء بأن الأخلاق هي عرف مطلوب لإيجاد توازن اجتماعي، أي أن الأخلاق ضرورية من الناحية الوظيفية، وليس لذاتها، لا يكفي، لأن هذا يعني أن من يستطيع التظاهر، بأنه ذو أخلاق ويخدع الناس، يكون قد نفذ المطلوب منه طبقا للعرف، ولكن لا يكون صادقا في حقيقة الأمر. ويجب على سقراط أن يحاول ويثبت أن الأخلاقيات تكفي في حد ذاتها، وأن ثوابها في ذاتها، لا يتضمن أي مكافأة خارجية.

إن الأجزاء السبعة الأخيرة من كتاب "السياسة"، عبارة عن مواجهة عنيفة مع تلك المشكلة الأساسية في الأخلاق. ولكي نبحث المشكلة من كافة أوجهها، يقترح سقراط

http://kotob.has.it

تأملها من وراء عدسة مكبرة. فبدلا من البحث عن مصدر الخير والشر منفردين، بشكل خاص، نبحث في إطار الدولة، حيث أنها تجسيد للفرد (حسبما يرى سقراط، ويعارض أرسطو في ذلك بشدة). وينطوى هذا الرأي على افتراض أن الدولة هي تركيب عضوي متحد، والدليل على ذلك أن المشكلة الأخلاقية يجب أن تبحث في سياق اجتماعي ـ سياسي، حيث لن يكون لها معنى إلا في هذا السياق، لأن الخير والشر معايير لا تعطيها معنى سوى الحياة الاجتماعية. (لكن أفلاطون لا يربط المعرفة الأخلاقية بالسياق الاجتماعي، مثلما سنناقش فيما يلي، لذا نجد رابطا متعدد المعاني بين أيوب ونظرية سقراط) .

إنني أسعى إلى فهم الخاصية الأخلاقية المجردة في ذاتها، وكيف تعمل في روح الفرد. ومن هنا يستلزم القياس المنطقي التوصل إلى أن الإنسان، طبقا لطبيعته الداخلية، هو كائن اجتماعي. ولا يمكن الفصل بشكل حاسم بين الأنا والمجتمع، لأنه حدث ذلك، تصبح حقيقة أن الفرد يعمل كوحدة أخلاقية، معناها أنه يكبت تأهيله ليصبح كائنا اجتماعيا، ويصبح أمرا بينه وبين نفسه .

وفي هذا الإطار، لم يسعني أن ألخص الجدال حتى في بدايات الفصول، دون الحديث عن الدلائل المزدوجة و المتضاعفة لهذا العمل، في كل المجالات الفكرية والعملية الإنسانية.

لقد تم حل المشكلة الأخلاقية بتحليل نفسي ـ اجتماعي، للنماذج الإنسانية السبعة ـ بدءا من شخصية الملك ـ الفيلسوف، الذي يتحكم في نفسه وفي الدولة بقوة الإرادة النابعة من الإدراك، وهو تعبير كامل عن الحرية والسعادة، لأن من يتصرف وفقا للإدراك لا تحكمه غرائزه، بل يتحكم هو فيها، متحررا من أي إجبار أو خوف، وانتهاء بشخصية المستبد المقوتة، والتي يمكن أن نجد ملامحها في :هتلر، ماكبث، ريتشارد الثالث، والذي كان شره ينبع من كون غرائزه ورغباته تتحكم فيه، رغم أن العدل يحتم أن تخدم الإنسان، ولكن في حالة "المستبد"، والذي دعاه ترسيماخوس "أسعد البشر ومبارك الآلهة" هو عبد لعبيده، يتملكه الخوف الدائم من رفاقه وقاتليه والمنتقمين منه. فلا يجد راحة ليلا أو نهارا، أي أن شره هو عقابه.

وقد لخص الحكماء في حقبة متأخرة للغاية هذا المفهوم السيكولوجي بإيجاز بليغ في قولهم: "أجر الحسنة حسنة، وأجر الإثم إثما".

http://kotob.has.it

غير أن هناك معنى آخر لهذه الصيغة الخالدة، وهو أن الحرية والسعادة التي يبعثها الإدراك أي سعادة البار وأجره يتحققان بشكل تام في إطار اجتماعي مبني على الإدراك. أي أن: الأجر الكامل للبار، والعقاب الكامل للشرير خاضعان لإقامة مجتمع مدرك. لأن هناك تناقض داخلي في موقف البار الذي يتحكم في نفسه بواسطة إدراكه ولكن موجود تحت حكم أشرار (توجد هنا ثغرة لم يناقشها أفلاطون، بالنسبة للاستنباط الصوفي، وليس فقط للنشاط الاجتماعي السياسي، وهي إمكانية ستطورها الأجيال القادمة، وخاصة في عصر الإمبراطورية الرومانية).

ومعنى هذا أن الثواب والعقاب لا يخضعان للفرد وأعماله فقط. ويخصص معظم هذا العمل لتحليل ووصف هذا المجتمع المبني على الإدراك، وهذه هي اليوتوبيا الأولى، والتي تعد أعظم اليوتوبيات. وهي أيضا برنامج الانقلاب الأول، لأنه لا يوجد أي مجتمع تاريخي وجد عن طريق التطور الطبيعي، يجيب مطالب الإدراك، وذلك لأن الإدراك لا يخضع للطبيعة، ويمكن الوصول إليه فقط عن طريق البحث العقلي.

يتهم كارل بوبر أفلاطون بأن هدفه كان الحفاظ على بناء المجتمع ضد أي خلل، وأن النموذج المثالي الذي يصفه للدولة لا يخضع لأي تبديل.

هذا هو أحد الأساليب للنظر لكتاب "السياسة"، ومن ناحية أخرى، يمكن الزعم بأن الفجوة الحتمية بين الموجود في الطبيعة، والمرغوب عن طريق الإدراك تخلق طاقة ثورية دائمة، ستؤدي إلى هدم أي نظام غير مبني على الإدراك. إن الإدراك هو المغزى العميق لنظرية سقراط، وهو يخترق أي أساس لا يناسبه ويهدمه، وهو يعارض التطورات الطبيعية، وهو دائما ثوري هدام.

والحقيقة هي، أن هذا الموقف الإدراكي، يتعرض دائما لممارسات الهدم التي يصنعها الواقع ويتفسخ إلى أرستقراطية وبلوقراطية (نظام حكم الأثرياء)، وديمقراطية، ونظام فوضوي، وهذا يعني أن النشاط الإدراكي هو مجهود ثوري دائم لقلب أنظمة الطبيعية للواقع.

إن سقراط هو أيوب الطبيعة، مثلما لاحظ نيتشه

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

التفسير الوجودى لقصص العهد القديم

مقدمة

فى القرن السادس عشر أخضعت التوراة للنقد كأى كتاب بعد أن كان يعتبر من الزندقة أو الكفر أن يوجه أحد أى نقد للكتاب المقدس. وقد بدأ فريق من العلماء المسيحيين فى دراسة التوراة دراسة نقدية، وخرجوا من دراساتهم ببعض النتائج أهمها أن التوراة لم تكن من عمل موسى، وإنما كتبت بعده بقرون طويلة.

وقد بدأت الدراسة النقدية بشكل جدى فى القرن ١٨ عندما نشر الطبيب الفرنسى "جين استروك" أستاذ الطب بجامعة بومباى / باريس كتابا باللغة الفرنسية عام ١٩٥٣ بعنوان "ملاحظات على الأصول التى رجع إليها موسى عندما ألف التكوين" . وقد كان اكتشاف "استروك" فى هذا المجال فاتحة جديدة فى النقد الذى يسمونه "النقد الموضوعى" أو "التاريخى" . بالإضافة إلى مجموعة هؤلاء النقاد الموضوعيين ظهر "النقد النصى" الذى اهتم بدراسة النص والتحريفات التى حدثت فى نصوص "العهد القديم".

وقد استمر هذا الخط النقدى فى تناول "العهد القديم" بأشكال مختلفة إلى أن بدأ أخيراً بعض أساتذة الفلسفة فى الجامعة العبرية فى تفسير الجانب القصصى الموجود فيه، وخاصة الناحية السلوكية للشخصيات التى تناولتها هذه القصص تفسيراً وجودياً.

وكاتب هاتين المقالتين هو" عيدى شموئيل"، وهو من اليهود الذين يتناولون قصص "العهد القديم" بالتفسير الوجودى، مؤكداً بذلك إمكانية تناول هذا المجلد الدينى اليهودى الضخم بالتفسير والتحليل والاستنباط وفقاً للاتجاهات التى تتمخض عنها المدارس الفكرية الحديثة، وعلى الأخص المدرسة الوجودية التى يفسر على ضوئها المؤلف القصتين اللتين تتناولهما المقالتان وهما: قصة "سادوم وعمورة" وقصة "النبى دانيال".

http://kotob.has.it

١٤ - التفسير الوجودى لقصص العهد القديم

أ - (قصة سادوم)*

يبدو لي أن لقصة ((العهد القديم)) عن سادوم وعمورة مغزى عميق يمس حرية الإنسان؛ وأن هذه القصة من الممكن أن تستخدم كنموذج للأفكار السائدة في الفلسفة الوجودية التي تبحث هذه المسألة. وفيما يلي سوف نحاول تحليل القصة والدروس المستفادة منها.

حينما تجمع رجال سدوم على مدخل منزل لوط وطلبوا منه أن يخرج إليهم الضيوف الأجانب (الملائكة)؛ حاول لوط أن يثنيهم عن مطلبهم هذا. ومن ناحية أخرى حينما أخرج الملائكة لوطا وزوجته خارج المدينة، فإنهم حذروهما من عدم التطلع إلى الوراء.

وفي كل من هذين الحدثين نشهد محاولة للتوجه نحو الحسم والبت الحر للإنسان، وهو الأمر الذي كان مصيريا في كلتا الحالتين، و لكن أحدا من سكان سدوم لم يتنازل عن مطلبه، وقد أبيدوا جميعا، وحتى زوجة لوط هي الأخرى لم تتحكم في غريزتها الجنسية و تحولت إلى عمود من الملح.

إن المقارنة بين هذين الحدثين ظاهرة للعيان، بالرغم من أن زوجة لوط لم تكن تابعة لمعسكر رجال سدوم. صحيح أن زوجة لوط لم تكن خاطئة، كما أنه صحيح كذلك أن مصيرها التراجيدي يمس شغاف قلوبنا، بينما يبدو موت أهل سادوم بمثابة أمر طبيعي. لكن إذا تجاهلنا التقييم الأخلاقي و ركزنا البحث فقط في وصف سلوك رجال سدوم وزوجة لوط، سندرك أن كل جانب قد أظهر بالفعل نفس النمط من السلوك، وقطع بذلك على نفسه بنفس الحكم.

---

* نشر هذا المقال في مجلة الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ٧٥، مايو ١٩٧١.

http://kotob.has.it

إن هذا السلوك هو تحجر الإنسان وإصراره على طبعه الإنساني وإصراره على طبعه الإنساني، و يرمز إلى هذا المعنى في قصة ((العهد القديم)) بعمود الملح.

إن طابع الحياة الخاص بسكان سدوم كان طابعا محددا، و قد كانوا يمارسونه دون تردد أو شك أو ندم، إن الشك أو الندم هما دليلان على التفكير في داخل الإنسان، وعلى الانعكاس الذي يعرف كيف يزن الاحتمالات، ويسأل نفسه لماذا لا يمكن التصرف على نحو أخر.

لكن رجال سدوم لم يتميزوا بهذه الصفات. أنهم ما إن عرفوا بمجيء الملائكة، "من الحدث إلى الشيخ" (تك ١٩ : ٤)، وأحاطوا بمدخل بيت لوط، في بهيمية الحيوانات الذين يستجيبون بصورة آلية لغرائزهم الملحة. وخرج لوط إليهم وخاطب فيهم مشاعرهم، وعرض عليهم كذلك بناته، وحاول أن يوجه غرائزهم الملحة بهذه الطريقة نحو موضوع آخر، ولكنهم أصروا على مطلبهم. إن غريزتهم الجنسية كانت محددة، ولا تقبل التأويل ولا تحتمل موضوعا جنسيا غريبا عما تعودوا عليه. و لم تؤدي توسلات لوط إلا إلى ازدياد غضبهم، وذكرتهم بأن لوط نفسه ليس من أبناء المدينة، وأنه إنسان غريب جاء منذ فترة ليست بعيدة لكي يقيم وسطهم :"ثم قالو جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكما. والآن نفعل بك شرا أكثر منهم ." (تك ١٩ : ٩).

إنها حياة قاطعة لا تحتمل أنصاف الحلول، ولا يغير هذا أي نوع من الحياة القاطعة المقصودة. وكلما التصق الإنسان بهذه الحياة، فإنه يكره في هذه الحالة أى منافس له، أو (كما في حالة لوط) يكره أكثر وأكثر الأجانب والغرباء . إنه يعتبر الغريب عنصرا يعكر صفو واستمرار الموقف القائم، لكونه موقفا شاذا. لقد حقق لوطا أمام أهل المدينة صورة مختلفة من السلوك، وقد كشف سلوكه أمامهم بالذات عن غربته عنهم . وإذا كان السكان قد كرهوه، فإن هذا يرجع إلى أنهم هم أنفسهم مرتبطون بنمط واحد من السلوك، وإلى رفضهم الاعتراف بحق وجود نمط آخر .

إن هذا الارتباط بهذه الصورة من الحياة الواحدة هو نموذج من نماذج تحجر الإنسان، وذلك لأن النمطية ذات اللون الواحد هي من الأمور الغريبة على طابع الإنسان. إن الإنسان في أساسه لا يشبه الحجر أو الحيوان، وطابعه ليس محددا بتركيب معين ومحدد من الصفات النفسية و البيولوجية . ويكفي أن نتطلع إلى الطفل لكي ندرك مدي الاختلاف بين الإنسان و الحيوان . إن الحيوان يعرف كيف يميز الغذاء الحيوي من

http://kotob.has.it

أجل وجوده، وأن يمتنع عن تناول الأشياء الغريبة. أما الطفل في مقابل هذا، فإنه قد يبتلع أي شيء لا يزيد حجمه عن حجم حلقه. وهذه القدرة الموجودة لدى الطفل وإن كانت تنطوي على خطر على حياته، فإنها تعبر عن أن الإنسان أفضل من الحيوان، وذلك لأنه ليس فقط أن الرغبات البيولوجية هي التي تمكن وتتيح اللقاء بين الطفل والعالم، لكن حب الاستطلاع والفضول لدى الطفل يدفعه للاهتمام بما هو ليس حيويا من أجل إرضاء هذه الغرائز. وبالنسبة للإنسان البالغ، فإنه يعرف كيف يتحكم في غرائزه الملحة وأن يوجهها إلى مجال مختلف في اتجاهات تسمو بتلك الغرائز. ونحن نشهد في كل حالة مدى مقدرة الإنسان على الانفصال والخروج عن دائرة الحدود الضيقة لطباعه الفورية، وعلى تعدي هذه الحدود. إن هذا العزل هو الذي يحوله إلى مخلوق روحي، وهو الذي يجعله يواجه الحقائق الجديدة. وهكذا يتعرف الإنسان رويدا رويدا على الظواهر المتعددة الألوان في العالم، وهكذا يتعلم كيف يطوع نفسه مع الجديد الذي قد يبدو منذ الوهلة الأولى غريبا عنه .

ولكن أبناء سادوم رفضوا، كما ذكرنا، هذا الجديد، وهذا الغريب، ومن الجدير أن نلفت النظر في هذا الخصوص إلى ندائهم إلى لوط :"فنادوا لوطا وقالوا له: أين الرجلين اللذين جاءا إليك الليلة. أخرجهما إلينا لنعرفهما"(تك١٩: ٥) (والفعل "عرف" هو الفعل "يدع" بالعبرية ويعني المضاجعة أو الممارسة الجنسية).

إنهم لم يخفوا إلى بيت لوط لكي يقابلوا لوطا، ولكنهم جاءوا لكي يمزجوا الغرباء على الفور، في العلاقات القائمة بينهم، ولكي يطمسوا بذلك وجود حقيقة غريبة . ولقد كان لوط فقط هو الذي عرف كيف يأخذ الحقيقة في الحسبان، و هو يتطلع إليها من مسافة ما، كما تجلى الأمر في عادات إدخال الضيوف . وفي مقابل هذا فإن أبناء سادوم لم يعرفوا أن يكشفوا للغريب إلا عن نوع واحد من العلاقات الجنسية، وذلك من أجل ضرورة الإقرار لهم ذاتيا، وإقرار الموقف الراهن.

إن تحجر الإنسان داخل نموذج أو إطار واحد من الحياة، هو من الموضوعات التي تخضع للمناقشة الواسعة في كتابات الفلاسفة الوجوديين. وجدير بالذكر أن نشير إلى كيركجورد وهدجر. إن كيركجورد يشير إلى العادة باعتبارها نموذجا بارزا لهذا التحجر، وهو يهاجم، على سبيل المثال، المسيحيين في عصرنا، وذلك لكونهم مسيحيون "بحكم العادة".

http://kotob.has.it

إنهم يذهبون في كل يوم أحد إلى الكنيسة، ومن هناك يتوجهون إلى مشاغلهم العادية. وفي يوم الأحد التالي يذهبون مرة أخرى إلى الكنيسة، ثم يعودون إلى منازلهم. إنهم يعرفون طقوس العبادة شفويا، وهو يبجلون القسس في الشارع و يمارسون عملية العبادة والتقديس كلها بطريقة مثالية . إن هؤلاء المسيحيين قد "اعتادوا" على المسيحية، ولا يوجد أحد منهم لدية، ولو ظل من الشك، في حقيقة كونه مسيحيا طيبا، وذلك لأنه مواطن من مواطني الدانمرك، والدانمرك دولة مسيحية، وهو مسئول عن المحافظة على طقوس العبادة التي يحرص عليها الجميع . ولكن العادة كما يقول كيرجورد، "هي صمت روحي يرفع عن الإنسان انفراديته ويمزجه في داخل جمهور نمطي يمارس الإنسان في وسطه الأشياء التي يمارسها الجموع، دون أن يكلف نفسه مشقة السؤال عن مضمون العمل أو شرعيته، ودون أن يختاره هو بنفسه" .

كذلك فإن "هيدجر" يكثر من وصف ضياع الإنسان داخل نطاق العلاقات التي تطمس انفرادية الفرد. إن الإنسان في العالم هو إنسان ذائب ومُداس بواسطة نماذج عامة ومحددة مقدما من السلوك، والرغبات التي يواجهها في العالم تدعوه إلى استخدامها كما يستخدمها الجميع وحسبما يسلكها الجميع . إن السيارة، على سبيل المثال، "تتطلب" منه اهتماما، و هو "مضطر" لشرائها واستخدامها . وهكذا فإنه يغرق رويدا رويدا في نماذج نمطية من الحياة أصبحت في نظره بمثابة مطالب ضرورية . وبالفعل فإن النمطية هي الصفة المميزة الرئيسية لكل طريقة من طرق الحياة في العالم ولكل عادة.

إنهم في وسط المدينة العصرية "يسيرون" في الشارع، و"يسافرون" بالسيارات، و"يشاهدون" الأفلام، والجمهور النمطي هو الذي ينفذ هذه الأعمال دون أن يشعر بأي داعي لأن يسأل نفسه السؤال التالي : من الذي يسير، و من الذي يسافر.

وعلى هذا النحو كذلك، يبدو العمل الجنسي الذي سعى إليه رجال سادوم، وذلك لأنه لم يكن عملا فرديا غير مألوف، بل عملا جماعيا طالبوا به جميعا من "حدثهم إلى شيخهم" .

إن التمسك الأعمى بصورة حياة جماعية فيه ثمة فائدة . إنه يعفي الفرد من أية مسئولية شخصية، ويمنحه إحساس الأمان والثقة والاستقرار . إنه حينما يفعل ما يفعله الجميع فإنه يزيح عن كاهله بذلك عبء الحسم و التوتر النفسي الذي تتطلبه عملية الحسم.

http://kotob.has.it

إن السير في خط معين فيه شيء من إحساس الأبدية، أبدية الوجود المستقر، غير المتغير والذي لا توجد فيه مفاجآت، والإنسان الذي يتمسك بخط المحراث، يرفض حتى الاعتقاد بإمكانية أي تغير في وجوده الاستاتيكي .

وحينما توجه لوط إلى أصهاره وأخبرهم بقرار الرب بإبادة سادوم، ضحكوا منه، وقد ضحك مثلهم بالطبع كذلك كل سكان سادوم . إن استمرار الموقف الموجود قد بدى ذو صفة أبدية بالنسبة لهم، وبمثابة هكذا كان، وهكذا سيكون، وهكذا هو العالم" .

ولكن العادة، والسير في خط المحراث، والحياة النمطية داخل الجماعة، كل هذه الأشياء تشير إلى ضياع المبادرة الشخصية للإنسان وإلى تحوله إلى ترس صغير في الآلة .

و حينما يهاجم كيركورد العادات والقيم المتحجرة لدى البرجوازيين في عصرنا، فإنه يشير إلى الجانب الآلي الذي في تصرفهم و في سلوكهم. إنه يشبههم بساعة الحائط التي كفت عن العمل كالعادة . فبدلا من أن تدق اثنتا عشرة دقة في الساعة الثانية عشرة ودقة واحدة في الساعة الواحدة، فإن هذه الساعة تدق مع لحظات توقف محددة دقة واحدة فقط، وذلك على امتداد اليوم كله.

إن أي تقليد وأية عادة وأية صورة من صور الحياة نقبل بصورة فورية وبدون نقد تجعل الإنسان بالتدريج يتحول إلى موضوع Object وتسيطر عليه بصورة آلية . وهكذا تحول أبناء سادوم إلى موضوعات Objects . ولا يشهد على ذلك مجرد سلوكهم "التلقائي" الذي أشرنا إليه سلفا، بل بصورة غير مباشرة كذلك، فشلهم في اقتحام منزل لوط من أجل تحقيق مرادهم . إن "العهد القديم" يحكي أنهم لم يستطيعوا أن يعثروا على مدخل المنزل لأن الملائكة أصابوهم بالعمى .

إن الإنسان الذي يصاب بالعمى، أو الذي يتجمد في مكانه، أو الذي يتحرك في فزع، جيئة وذهابا، يكون مثل الكرة التي يلهون بها . إن "العهد القديم" لا يحكي لنا كيف أصاب الملائكة الشعب العمى، وليست هناك أهمية لهذا الحدث. إن طريقة حياة بني سادوم قد حولتهم إلى كتلة واحدة، وحينما يتحول البشر إلى كتلة واحدة، فإنهم يشكلون قوة بالفعل ولكنهم يفقدون المرونة . وعلى العموم، فإنه ليس من الصعب هز وزن قوة الكتلة، وتكفي لذلك مجرد دفعة خفيفة .

لقد أصيب أبناء سادوم بالعمى، لأن تمسكهم العنادي بصورة الحياة التلقائية حال بينهم و بين أي نوع من المرونة. وحينما خربت سادوم تماما، فإنهم تحولوا إلى تراب، وإلى موضوع صامت. ولكنهم كانوا موضوعا كهذا حتى حينما كانوا على قيد الحياة .

http://kotob.has.it

ولنتأمل الآن صورة شخصية زوجة لوط، التي كانت نهايتها أن تحولت إلى عمود من الملح . فحينما يموت إنسان، فإننا معتادون على الاهتمام بسبب موته، وأن نسأل إلى أي مدى كان موته بطريق الصدفة، حيث يحدث غالبا أن يتضح أن الإنسان هو الذي جلب هذه الصدفة عن طريق سلوكه المهمل، وبسبب عدم حذره... إلخ. ومن الممكن أن يشكل موت الإنسان أحيانا رمزا لحياته، ويبدو لي أن الأمر على هذا النحو يتفق مع ما حدث لزوجة لوط .

إنهم يقولون على الإنسان النشط المليء بالحياة: إنه ممتزج بالعالم. والجدير بالذكر مع هذا، أن الكلمة "ممتزج"، قد يكون فيها ما يضلل لأنها ترمز إلى المزج المطلق بين هذا الإنسان و العالم، و ليس الأمر كذلك. إن الإنسان النشط والحيوي، هو بالذات ذلك الإنسان الذي يحافظ على مسافة بينه و بين العالم . إن هذه المسافة هي المسافة اللازمة من أجل البصيرة النافذة الواعية، والتى بدونها لا يمكن رؤية شيء، وذلك لأنه إذا قرب الإنسان شيئا حتى بؤبؤ عينه فإنه يفقد القدرة على تمييزه، ولا يرى إلا مجرد بقعة سوداء . أن أحيا و أن أعمل، معنى هذا أن أكون يقظا للوجود الذي نعيش فيه، بينما يكون الوجود نفسه هو بمثابة مسافة عن العالم، المسافة اللازمة من أجل التفكير والتأمل ووزن الأمور .

إن هذه المسافة تمنحنا الإدراك بالزمن أو الإدراك التاريخي . ولدى وقوفنا على بعد معين من الحقيقة الماثلة أمامنا في الحاضر، فإننا يمكننا أن نميز بصورة أقل أو أكثر مجال العلاقات الذي أدى إليها، أي ماضيها . و في نفس الوقت، فإننا بذلك نحاول أن نتكهن بالمدى الذي يمكن أن تؤدي بنا إليه هذه الحقيقة في المستقبل وهو الأمر الذي يذكرنا بقدرتنا على المبادرة و بحريتنا . إن المغزى الإنساني للعقل "أن نحيا"، وأن نكون ذوي بصيرة، ليست تابعة للعالم نفسه، بل تابعة للإنسان الذي يخلقه، حينما يجعل نفسه على مسافة معينة من الأشياء. إن زوجة لوط لم تكن لديها بصيرة، و هي أيضا لم تشأ في ذلك، وذلك لأنها رفضت أن تعيش بعيدا عن سادوم . لقد طلبت منها الملائكة ألا تنظر إلى الخلف، أي: أن تكف عن رؤية سادوم كواقع ملموس، و أن تنظر إليها باعتبارها مجرد ماض، ومجرد قطعة من تاريخها الشخصي . ولكن زوجة لوط لم تتخل عن هذا الوجود التلقائي، ورفضت أن تظل على مسافة منه، و حاولت كذلك إحياءه من جديد . لقد نظرت إلى الخلف لكي تبحث عن نفسها داخل المدينة التي تعرفها .

http://kotob.has.it

ولكن سادوم كانت قد بدأت في الاحتراق و في التحول إلى رماد صامت، وتضامنت زوجة لوط مع المدينة و تحولت هي الأخرى مع المدينة إلى جسد صامت.

ولا يحكي لنا "العهد القديم" شيئا عن تواريخ حياة زوجة لوط في سادوم ويبدو أن هذا الأمر ليس من قبيل الصدفة . إن زوجة لوط ببساطة لم يكن لها تاريخ، ولم يكن لها ذاتيا إدراك بالزمن ولا إدراك بالتاريخ . و من الجائز بالفعل أنها كانت تدير الأعمال المنزلية و كانت تعيش الحياة اليومية التقليدية في سادوم . ولكن كما أنهم لا يكتبون تاريخا عن الحركة الأبدية لأمواج البحر، فإنهم كذلك لا يلجأون إلى وصف حياة الذين لا يملكون زمام المبادرة والتي تجري بحكم الاستمرار الآلي . لقد عاشت زوجة لوط في العالم، وهذا بالمفهوم الذي يعطيه "هدجر" لهذا التعبير . لقد كانت مرتبطة بأسلوب الحياة التقليدية و متسقة مع مبادئ السلوك التي تختارها بصورة شخصية، لأنها لم تعرف كيف تحافظ على مسافة بينها و بين الأشياء . ولو عرفت هذه المرأة كيف تختار، ولو كانت تتميز ببعض المرونة أو القدرة على المبادرة، لكانت قد اختارت بالطبع المستقبل، كان ينتظرها خارج سادوم، وتوافق بالإضافة إلى هذا (ولو من خلال الألم) على أن تعتبر سادوم بمثابة ماض قد انتهى . ولكنها لم ترضى بالذكريات ورفضت أن تصل إلى مرحلة البلوغ، وسعت لأن تكون ذات ماض وأعتط ظهرها للمستقبل .

لقد استدارت زوجة لوط للخلف لكي تجمد سير الزمن ولكي تعيش مرة أخرى في استمرارية الوجود الأبدي الذي لا تاريخ له والذي تجلى في صورة حياتها الآلية والتقليدية، حيث كانت تقيم . كذلك فإن سكان سادوم أحبوا استمرارية طابع حياتهم، ومن الممكن القول بأنهم أيضا لم يكن لديهم تاريخ . إن "العهد القديم" يحكي فقط عن أنهم كانوا أشخاصا ذوي آثام، ولا يسعى لكي يذكر بالتفصيل شيئا عن أعمالهم في الماضي، وذلك لأن الاستمرارية في عاداتهم حولت كل حياتهم إلى ليلة أبدية مظلمة . إن زوجة لوط و رجال سادوم تحولوا في النهاية إلى جسد صامت، ولكن التحجر كان قد بدأ من قبل منذ أن كانوا على قيد الحياة بعد، وتجلى في تمسكهم التلقائي والذي لا بصيرة فيه بصورة معينة من الحياة . وحينما استدارت زوجة لوط إلى الخلف ونظرت إلى سادوم فإن نظرتها لم تكن إلا تعبيرا لتمييز المصير الذي انتظرها هي و السكان معا .

لقد رأى لوط الملائكة من على بعد، قبل دخولهم المدينة، وذلك لأنه كان يجلس حينئذ في مدخل المدينة. والحدود ترمز دائما إلى ما ورائها، وإلى الأفق الذي من المحتمل

http://kotob.has.it

أن تظهر منه الحقائق الجديدة. وبالفعل فإن لوطا كان مستعدا لمقابلة الجديد، وكانت عيناه حساستان بما فيه الكفاية لكي يتمكن من تمييزه. ورأى الملائكة: "فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض" (تك١٩ : ٢).

لقد استضافهم في بيته و قدم لهم وجبة أعدها بنفسه، وبعد ذلك خرج للدفاع عنهم ضد السكان، بأن أغلق خلفه باب بيته وعرض نفسه للخطر. لقد كان على استعداد للتضحية بنفسه من أجل الضيوف الغرباء الذين جاءوا من بعيد.

ونحن نلتقي بالفعل مع لوط قبل أن يستوطن في منطقة سادوم .

إنه يعود إلى فلسطين مع إبراهيم بعد أن عاشوا سويا في مصر، تلك البلاد التي نزحا إليها من فرط الجوع الذي ساد فلسطين في تلك الأيام .

إن إبراهيم ولوط يعودان وهما مليئين بالاحترام والممتلكات، ثمرة عمل أيديهما، وعلاقات الصداقة تربط كلا منهما بالآخر. لكن كمية الممتلكات التي كانت في حوزة كل واحد منهما لم تمكنهما من الاستيطان في مكان واحد، وعرض إبراهيم على لوط أن ينفصلا .

"فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأرض أن جميعها سقي قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب كأرض مصر حينما تجيء إلى صوغر. فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل شرقا" (تك ١٣ : ١٠)، إن لوطا قد "رفع عينيه" لكي يتطلع حوله ويختار مكانا يبني فيه بيتا لنفسه .

لقد تطلع نحو الأفق لكي يعرف احتمالات المعيشة التي تنتظره في المستقبل. إن هذه النظرة بعيدة المدى هي سر نجاح لوط وبفضلها حلت البركة بعمله. وبهذه النظرة كذلك عرف كيف يميز الملائكة الذين جاءوا من بعيد والذين أنقذوا حياة لوط . وحينما أخرج الملائكة لوطا من خارج المدينة، أمروه بأن يهرب خارج الجبل، ولكن نظرة لوط كانت بعيدة هذه المرة أيضا : "فقال لهما لوط لا يا سيد ... أنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل لعل الشر يدركني وأموت" (تك ١٩: ١٨).

واستجاب الملائكة لطلبه ولم يخربوا المدينة القريبة التي أراد أن يقيم فيها. إن لوطا حينما تطلع، فإن نظرته هذه منحته بصيرة ساعدته على الحياة والتجدد. إن نظرة زوجته في مقابل هذا، أدت إلى تحجرها، وذلك لأنها كانت خالية من آية بصيرة، وإذا كان لوط لديه بصيرة فإن ذلك بسبب المسافة التي حافظ عليها بينه و بين العالم، لقد

http://kotob.has.it

علمه تجواله أن الإنسان لا يمكن إلا أن يكون ضيفا في هذا العالم، و أن أية ممتلكات، وأي نظام اجتماعي، وأية حالة راهنة، كل هذا ليس أبديا . وتدل على ذلك قدرته على استقبال الضيوف، وصبره تجاه أبناء سادوم، واستعداده لأن يهجر و يترك كل شيء لكي يبدأ حياة جديدة في كل مرة . إنه لم يطلب من الملائكة أن تبقى له على أملاكه، وقد شكرهم في مقابل هذا، على إنقاذهم لحياته . لقد كانت حياته هي مشعل الحرية والمبادرة، لذلك فقد كانت الشيء الوحيد الذي حرص على المحافظة عليه .

ومن الجدير بالذكر في النهاية أن نشير إلى لحظة خاصة في حياة لوط حينما أخبره الملائكة عن رغبتهم في تخريب المدينة واستحثوه على الخروج منها.

إن "العهد القديم" يحكي أن لوط قد "توانى" لدرجة أن الملائكة أخذوا زمام المبادرة في أيديهم وأخرجوه من المدينة : "ولما توانى أمسك الرجلان بيده و يد امرأته ويد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة" (تك ١٩ : ١٧) . لقد كانت هذه بلا شك لحظة من لحظات الضعف في قلب لوط، لحظة من لحظات كتم الأنفاس، وذلك لأن لوط كاد أن يبقى في المدينة، وكاد أن يتحول إلى شيء متحجر . لقد بدى التنازل بالطبع أصعب من أن يحتمل، لأنه لم يكن شابا بعد، و كان من الصعب عليه أن يبدأ كل شيء من جديد . ولكن إمساك الملائكة بيده كان بمثابة صلة رقيقة ووديعة بواسطة "شفقة الرب"، و كان بمثابة لمسة تشجيع على كتفيه . وبالفعل فإن لوطا قد تماسك، وحينما غادر المدينة لم ينظر إليها على الإطلاق، وعاد إلى إدراكه الذاتي. وبالإضافة إلى هذا، فإنه من الواضح أن مساعدة الملائكة كانت حيوية وبدونها لا شك أن لوط كان سيبقى ويموت في سادوم. لقد كان لوط في حاجة إلى لمسة يد من الغير لكي يتذكر قوته ومقدرته وحريته، وإلى هذه اللمسة يحتاج كل إنسان يحاول أن ينتقل من صورة الحياة المتحجرة إلى حياة جديدة .

http://kotob.has.it

١٥ - التفسير الوجودى لقصص العهد القديم

ب - قصة النبي يونان (يونس) *

كان يونان النبي من الناحية الوجودية إنسانا معذبا، ويدل على ذلك سلوكه الذي سنلخصه على ضوء آراء كيركجورد وجان بول سارتر عن السلوك العاطفي للإنسان . . وقبل أن نخوض في الموضوع المتصل بيونان أو يونس، نود أن نشير إلى أن النقطة الأساسية في اهتمام الفلسفة الوجودية بكل تياراتها، وهى العلاقة المتبادلة بين الإنسان والعالم، وأن هذين العاملين ليسا منفصلين كل عن الآخر، بل العكس هو الصحيح، وهو أنهما في علاقة متبادلة يسميها هيدجر "الوجود في داخل العالم"، وهي التي يقصدها سارتر بتعبيره: "الوجود في داخل الموقف". وهناك مثال بسيط يبرز هذه العلاقة المتبادلة: هو أن الإنسان المكتئب الحزين يبدو العالم كله في نظره (حزينا) مكتئبا، والإنسان الثمل يظهر العالم كله أمامه كأرجوحة .. و من الناحية الوجودية ليس هناك معنى لأن نسأل من هو في الحقيقة المصاب بالإكتئاب، هل هو الإنسان أم العالم ؟ أو من هو الذي يتأرجح بالفعل، هل هو الشخص الثمل أم العالم ؟ إن هذا الموقف أو السلوك المعين للإنسان، يحدد بالتالي الصورة التي يتكشف بها العالم أمامه. إن الإنسان والعالم يشكلان نطاقا واحدا من الرابطة. وبالنسبة لسلوك الإنسان، فإن الفلسفة الوجودية تبرز في كل حالة الشكل العملي له، ولغايته. إن الإنسان يتصرف على هذا النحو أو غيره،

---

* يونس أحد أنبياء بني إسرائيل. نسب إلى أمه، حتى قال أبو الفداء: "لم يشتهر نبي بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام". وذكره أيضا ابن الأثير: "وقيل أنه من سبط "بنيامين" . و قد بعث الله يونس إلى أهل "نينوي"، وهي قبالة الموصل بينهما نهر دجلة، و كانوا يعبدون الأصنام و أوعدهم الله بالعذاب في يوم معين، ولما لم يترل العذاب فى موعده ذهب يونس غاضبا ودخل في سفينة وتعرض للإلقاء في البحر بعد إجراء قرعة ليهدأ البحر فالتقمه الحوت وسار به إلى "الأُبلة" (ترشيش التوراتية). وكان من شأنه ما أخبر الله به تعالى في القرآن، وله سفر يحمل اسمه في العهد القديم .

** نشر هذا المقال في مجلة الفكر المعاصر، القاهرة، العدد ٧٦، يونيو ١٩٧١ .

http://kotob.has.it

من أجل أن يحقق هدفا ما، اختاره بصورة حرة، وسلوكه حر في كل حالة، بالرغم من كونه خاضعا لظروف الوجود الذي يفرض نفسه عليه في كل لحظة . وصحيح أن الإنسان يواجه دائما بالعالم الذي لم يختره مقدما . إن الإنسان لم يختر مكان ولادته، ولكنه بالرغم من هذا، حر أن يعطي لهذا العالم مغزى أو مدلولا خاصا به، وأن يضع فوق مشيئته، أهدافا لا يشكل فيها العالم الموضوع، ولا العالم الاصطدامي، مصدر إرغام، بل على العكس من ذلك يشكل نقطة وثوب.

ولذلك يجب عدم التمسك، حسبما يقول سارتر، بالتوضيحات الآلية تجاه سلوك الإنسان، ولكن يجب صياغة توضيحات ذات غاية دائما. ولا يجوز القول بأن الإنسان قد تصرف على هذا النحو أو ذاك، بسبب أو من أجل أي فعل خارجي، وأن نعفيه بذلك من أية مسئولية عن أعماله، بل على العكس من ذلك، يجب أن نقول دائما: إن الإنسان تصرف على هذا النحو أو غيره، من أجل تحقيق هدفا ما . وهذا الأمر صحيح بالنسبة للسلوك العلمي العادي، مثل الكتابة أو السير وكذلك بالنسبة لانفعالات الإنسان العاطفية مثل الخوف و الغضب و السرور . وعلى عكس وجهة النظر الشائعة بين الناس، يرى سارتر أن العاطفة هي سلوك ذو غاية يختاره الإنسان، و ليست مجرد حدث داخلي محتمل، والإنسان صاحب الموقف اليقظ، والذي يسمى عادة "الإنسان المنطقي" أو الإنسان الذي لا تؤثر مشاعره على قوة رأيه هذا الإنسان يتكشف له العالم على شكل سلسلة من الواجبات العملية التي تنتظر التحقيق . إنه يقرر على سبيل المثال، أن يزرع حديقة ويلتزم بأن ينظف الحقل، وأن يقوم بالغرس و الري و التسميد، و يربط نفسه بذلك بصورة معينة من السلوك تتلقى مغزاها من الهدف الذي عليه أن يحققه.

ولكن يحدث أحيانا أن يصادف هذا الإنسان، شيئا غير متوقع، يفرض وجوده عليه، ويتطلب اهتماما، ويحول دون استمرارية الهارمونية فى العمل ذي الغاية .. فإذا كان هذا الإنسان إنسانا مرنا، فإنه سوف يعرف كيف يصارع بصبر وبصورة مدركة ويقظة تلك الصعاب التي أطلت عليه فجأة، و سيكون من الصواب أن يتحمل الجهد الذي ينطوي عليه هذا الصدام. ولكنه يمكنه أن يقرر كذلك أمرا أخر، هو أن يستسلم راضيا لعاطفة الغضب أو الانهيار النفسي لدى ظهور هذا العارض غير المتوقع .

http://kotob.has.it

وعلى نحو السلوك الآخر، فإن السلوك العاطفي لـه هـو الآخـر غايـة خاصـة بـه. إن الإنسان يغضب ويكتئب من أجل تخليص نفسه مـن الجهـد الـذي تنطـوي عليـه مـسألة تحقيق التزاماته. وفي كتاب سارتر عن الانفعالات العاطفيـة أورد عـددا مـن النمـاذج مـن أجل توضيح هذه النقطة. فعلى سبيل المثال، يوجد الإنـسان الـذي يـسعى لحـل مـشكلة معينة ولكنه لا ينجح، وهو يغضب في النهاية و يمزق الورقة التي سجل عليها المـشكلة . وفي الحقيقة، فإنه لا يمكن القول بأنه تخلص من الغضب، أو من الإكتئاب، ولكن يمكـن القول بأن هذا الإنسان استفاد من ناحيـة أخـرى . إن استـسلامه للغـضب يخلـصه و لـو لفترة من الزمن على الأقل من ضرورة حل المشكلة . إن العاطفة هـي فعـل غـيبي و عمـل من أعمال السحر . إن الورق قد تمزق و لم يعد له وجـود، و في نفـس طرفـة العـين هـذه تختفي المشكلة هي الأخرى، كما لو كان الإنسان قد خلص نفسه بواسطة عمل من أعمال السحر والشعوذة من التزاماته بالاستمرار و العمل . مثال آخر، هـو عاطفـة الخـوف الـتي يـسميها سـارتر الخـوف الـسلبي . إن الإنـسان يـصادف حيوانـا مفترسـا يهـدد وجـوده وحياته، وبدلا من أن يحافظ على رباطة جأشه، ويبحث عن طرق للدفاع عن نفسه، فإن يستسلم للخوف ويشحب لونه كالجير و يصاب بالإغماء. إنه يتـصرف بطريقـة النعامـة، أي: ما هو غير قادر، غير موجود ! وهذا الإنسان كان يمكنـه بـالطبع أن يتـشجع لكـي يغير صورة الأمور الخطيرة التي يواجههـا، ولكنـه اختـار الطريـق الأسـهل، وهـو تغـيير موقفـه الإدراكـي الـذي سمح لـه بـأن يجعـل إدراكـه الـيقظ ينـام عـن طريـق الخـوف، والهستيريا و الإغماء، ويعتقد أن عمله هذا هو الذي سيغير العالم الموضوعي، و هذا أيـضا هو دور أي عمل من أعمال السحر .

وفي الحقيقة، فإن عالم الرجل الذي يستسلم للعاطفة يتغير، والمقصود بذلك هـو أن ـــ موقفا أو سلوكا معينا هو الذي يحدد بالتالي شكل العالم الذي ينكشف. وبما يتناقض مع عالم الشخص اليقظ الواعي، نجـد أن عـالم الـشخص المنفعـل الحـساس ينقـصه التميـز، ويظهر بمثابة معيار واحد، ولون واحد بدون رتـوش، وتـدل علـى ذلـك التعـبيرات الـتي يوصف بها هذا الشخص في اللغة . إننا نقول: هذا الرجل "أعمته الكراهيـة"، و "جرفـه السرور"، و "رأسه في السماء من فرط الكبرياء"، و "أنفه في السحاب"، و "صعد الـدم إلى رأسه"، و "أظلمت الدنيا في وجهه" .. إلخ . ومثل النور المطلق، والظـلام المطلـق يطمـس الموقف العاطفي عمليات التمييز والفحص للعالم، وذلـك عـن طريـق حـصر هـذا العـالم في

http://kotob.has.it

نطاق معيار واحد، أو عن طريق تصغيره وتحويله إلى شيء هوائي لا وزن له، وبضياع عمليات التمييز يخلو العالم ولا يكاد نصادف أي شيء على الإطلاق .

إن هذا هو بالضبط مراد الإنسان الذي يستسلم للعاطفة : "أن يموت و أن ينام، ولا شيء آخر، وأن يصرخ في داخله هاملت المجنون و يحاول الهروب من نفس مواجهة المشاكل لكي يوفر على نفسه جهد العمل و المسئولية " . ومن الممكن القول بأن السلوك العاطفي هو في الحقيقة خديعة ذاتية، وذلك لأن الغضب والإكتئاب والهستيريا تجعل الإدراك اليقظ للإنسان في حالة من النوم و النعاس، ولكنها لا تغير بالفعل من حالة الأمور في العالم . إن العالم يظل على النحو الذي كان عليه ويتجاهل الرجل الذي يغلق عينيه والذي يصر على مواصلة النوم . ونذكر، بالإضافة إلى هذا، أن السلوك العاطفي الذي يتحدث عنه سارتر يميز أساسا موقفا طفوليا، هو موقف تام و"كامل" على أية حال . و من المحتمل، من ناحية أخرى كذلك، أن تكون هناك عاطفة من نوع أخر، عاطفة أعمق و أنضج وهي تلك العاطفة التي كثر حديث كيركجورد عنها .

إن الإنسان الديني لا يسمح لنفسه على الإطلاق بأن يستسلم بصورة كلية للعاطفة ذات ــ الطابع الانفعالي الواحد، وحينما يكون على سبيل المثال في حالة من حالات السرور، فإنه لا يفقد حواسه على النحو الذي يتصرف به الطفل وينسى نفسه، بل على العكس من ذلك، يتمالك نفسه ويقول :" الحمد لله الذي أحيانا إلى أن وصلنا إلى هذه اللحظة" .. إن الذي يقول هذه الجملة يدلل على أنه لم ينسى حياته حتى فى تلك اللحظة من لحظات السرور، و أن سروره عميق، بدليل أنه مازال يعايش إحساس الجهد و المعاناة الذي خبره فى لحظة كهذه .. وحينما يكتئب شخص كهذا، فإن إكتئابه يمتزج بالأمل، و حينما ييأس، فإن هذا اليأس يتهادى أمام الإيمان .. وفي كل حالة يظل هذا الإنسان يقظا وواعيا لعمليات التمييز في العالم،وذلك على عكس يونان (يونس) النبي الذي استسلم دائما للعواطف التي من النوع الأول :

"وصار قول الرب إلى يونان بن أمتاي قائلا، قم واذهب إلى "نينوي" المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي".

و لم تكن المهمة وفق هوى يونان. وكما يبدو فإن هذه المهمة، كان فيها بالنسبة له بعض ما هو غير متوقع و ما يتطلب منه جهدا زائدا .. و قام و هرب على الفور إلى "يافا"، و من هناك استقل سفينة، وذهب إلى "ترشيش" .

http://kotob.has.it

و قد كان تجاهل هذا الأمر بالنسبة له هو القضاء فعلا على هذا الأمر . وهكذا فإنه تخيل بصورة وهمية أن هروبه السريع، والانفعالي كذلك أيضا، سوف يغير بطريقة سحرية تلك الظروف، التي وضع فيها و سوف يعفيه دائما، و يوفر عليه التلاقي مرة أخرى مع العلامات التي يرسلها الرب . و لكن الرب لم يتخلى عنه، وأرسل "ريحا شديدة إلى البحر حتى كادت السفينة أن تتكسر"، ريح وأمواج واهتزازات تعم السفينة . إن الخطر يواجهه، ولكن بحارة السفينة لم يفقدوا صوابهم . و بدأوا على الفور في تفريغ شحنة السفينة، "ليخففوا عنهم"، فماذا فعل يونان حينئذ؟ "نزل يونان إلى جوف السفينة واضطجع و نام نوما ثقيلا" . لقد جعل يونان إدراكه ينام، حتى لا يشعر بالاهتزازات، وحتى لا يصبح في مواجهة عالم ذي تميز يدعوه للعمل .

لكن فترة راحة يونان كانت قصيرة، و لم تدم طويلا، لأن رئيس بحارة السفينة أيقظه و قال له : "مالك نائما . قم أصرخ إلى إلهك عسى أن يتذكرنا الإله فلا نهلك".. و مرة أخرى يواجه يونان نداءا صريحا، و مرة أخرى يقرر التجاهل . لقد صمت ولم يجب . لكن البحارة اضطروا لعمل قرعة بينهم لكي يعرفوا سبب البلبلة التي حلت بهم، ووقعت القرعة على يونان الذي اعترف أخيرا أن هذه البلية قد حدثت بسببه .

ولكنه لم يعرض مساعدته عليهم، وكذلك فإنه لم يقم الصلاة لإلهه أمامهم، و لم يعرب عن توبته . و حسب عادته بحث عن طريق للهرب و حاول أن يجد الهرب هذه المرة في النومة النهائية، نومة الموت :"وقال لهم خذوني واطرحوني في البحر فيسكت البحر عنكم..."

وعندئذ أخذوا يونان و طرحوه في البحر فوقف البحر عن هيجانه" . و قد كان باستطاعة الرب أن يرغم يونان على القيام بمهمته في ننوي، وأن يذهب به إلى هناك بالقوة. ولكنه لم يرغب في أسلوب الفرض، وذلك لأن هذا الأسلوب يحول النبي إلى مجرد أداة، ويجرده من طابع الذات اليقظة المدركة امغزى المهمة حينما يجعلها قضيته راضيا .

وحيث أن يونان لم يتبصر أقوال الرب، وأغلق عينيه دونها، فإنه قد أثبت بذلك قدرة فائقة وعجيبة، على تجاهل العلامات الصريحة التي تكشفت أمام ناظريه .

وعلى ضوء هذا، فإن يمكن اعتبار أن اهتزازات السفينة الغارقة، وتوجه البحارة إلى يونان، بمثابة محاولة من جانب الرب لإيقاظ إدراك يونان من نومته، ولتزويده

http://kotob.has.it

بحساسية زائدة تجاه العلامات، التي تظهر أمامه في الواقع . و كان لابد من مساعدة يونان على العودة إلى حالة اليقظة، لأن هذه الحالة هي التي يكمن فيها الأمل، في أن يفهم مغزى المهمة، التي ألقيت على عاتقه، ويقبلها راضيا . ولكن يونان زاد نومته عمقا وعمقا، إلى أن اختار، في النهاية، صمت الموت في أعماق البحر.

ومع هذا واصل الرب محاولة إيقاظ إدراك يونان، :" وأعد الرب حوتا عظيما، ليبتلع يونا، وظل يونان في أمعاء الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال".

ولم يعد في استطاعة نونان أن يموت، والاهتزازات أقوى من اهتزازات السفينة، هذا بالإضافة إلى أن الجلسة المتقوسة في أمعاء الحوت لم تسمح له أن ينام، و أن يهرب من مواجهة العالم . ولذلك فقد فتح فمه و صرخ مناديا للرب . لقد أراد أن يعيش خارج أمعاء الحوت، في مكان يمكنه أن ينام فيه و هو مرتاح . ولكن الحوت تقيأ يونان إلى البر، وعاد الرب و عهد إليه بالمهمة .

وفي هذه المرة أخذ "يونان" المهمة على عاتقه، ولكن الصورة التي نفذ بها "يونان" المهمة، لا يمكن أن تدل على الوعي أو اليقظة، وهي تثير هي الأخرى انطباعا مضحكا . لقد ورد في السفر أن مدينة "نينوي" كانت على بعد ثلاثة أيام من المكان الذي تلقى فيه "يونان" للمرة الثانية تفاصيل المهمة . ولكن يونان لم يكن يقظا ولا مدركا لا للمسافة ولا للزمن، وبدأ يصرخ بأقواله بعد اليوم الأول من مسيرته :

"بعد أربعين يوما تنقلب نينوي!" . هذه هي الجملة الوحيدة التي قالها بصوت عال، ومن الجائز والمعقول أنه نعتقد أن كررها مثل التاجر الجوال الذي يعلن عن بضاعته. ومن المفهوم أن الإشاعة وصلت إلى سكان المدينة، وأسرع هؤلاء السكان من صغيرهم إلى كبيرهم في التعبد إلى الرب والعودة إلى الطريق التوبة . وبالفعل فإن الرب قد غفر لهم، ولم يصنع بهم الشر الذي توعدهم به . ولكن، كان من الأيسر على شخصية نبي مثل شخصية يونان أن تتحرك في النطاق المحدود لها، والذي ظل عليها فقط، وأن تطلب من الرب ثوابا يشبه المواصلة الآلية . لقد كان إنقاذ المدينة بالنسبة له، أمرا غير متوقع، ولذا فقد استسلم على الفور لعاطفة الغضب :

"فغم ذلك يونان غما شديدا واغتاظ وصلى إلى الرب وقال :

والآن يا رب خذ نفسي لأن موتي خير من حياتي" .

http://kotob.has.it

مرة أخرى يفضل الهرب إلى منامة الموت، على مواجهة الحياة التي تتطلب منه المرونة والتكيف . ومن الجدير الاهتمام أن نفحص سائر الأقوال التي قالها في هذه اللحظة الغاضبة :

"وقال آه يا رب أليس هذا كلامي إذ كنت بعد في أرضي . لذلك بادرت بالهرب إلى "ترشيش" لأني علمت أنك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر "

ومن الصعب أن نعرف كيف عرف يونان مقدما أن الرب سوف ينقذ نينوي، لأن الرب نفسه لم يفكر في هذا الاحتمال في البداية، ولم ينقذ المدينة إلا بعد أن تاب سكانها عن المعصية والشر" .ومع هذا فإن أقوال يونان تعكس موقفه العاطفي تجاه العالم، وبالتالي فإنها تعكس بذلك طابع الظلم، الذي تجلى له عقب ذلك الموقف . إنه منذ أن قرر أن يجعل إدراكه و عينه ينامان، أخذ عالمه في الإعتام، والتجهم إلى أن طمست فيه كل معالم التمييز، بين احتمال معين و نقيضه. وبالذات فإنه قد تخلى عن العالم، وقد قصد بأقواله أن يقول : أيها الرب إنك قادر على كل شيء ورحيم و غفور .. إنك يمكنك أن تنقذ أو لا تنقذ المدينة الآن، ولكن المهم والأساس هو أن تتركني إلى حال سبيلي ! .

وبالفعل، فإن يونان يغادر المدينة، ويتركها لتلقى مصيرها . وخارج حدود المدينة، يبني لنفسه مظلة ويجلس تحتها، مستمتعا ببعض الظل، الذي انتشر فوق رأسه.

ولكن الرب لم يكف عن محاولة إيقاظ إدراك يونان المتجهم، وأنمى من أن أجل ذلك، بصورة مفاجئة شجرة "خروع" نشرت ظلها فوق رأس النبي : "ففرح يونان بشجرة الخروع فرحا عظيما". وبالطبع فإنه قد نسي في غمرة سروره الطفولي، قضية نينوي بأسرها، وأعفى نفسه من أي تفكير فيها. : "ولكن الرب أرسل على الفور دودة طلعت عند الفجر وخربت شجرة الخروع فذبلت". وبعد ذلك أرسل كذلك ريحا شرقية حارة لكي تضرب رأس يونان :

"وأغمى على يونان و طلب لنفسه الموت، وقال إن موتي خير من حياتي ".

مرة أخرى يطلب يونان الموت حينما فاجأه ما هو غير متوقع . إن النمو المفاجئ لشجرة الخروع و ذبولها السريع، والاهتزازات القوية التي مرت على يونان، سواء في بطن السفينة أو في بطن الحوت، كل هذا لم يكن إلا وسائل موجودة لدى الرب، وأعدت لكي تدق على الإدراك النائم لدى يونان حتى يشعر ويحس بوجوده . ولكن يونان كان

http://kotob.has.it

يغلق عينيه في كل مرة، و لم يشأ أن يفهم مغزى العلامات، التي أرسلت إليه من قبل الرب .

وأخيرا مع ذبول شجرة الخروع وحينما طلب يونان الموت مرة أخرى، توجه إليه الرب و أوضح له أنه أنقذ المدينة، لأنه يحب الخلق ولا يحب الهدم، وأنه يحب الوجود ولا يحب العدم . و لم يشأ الرب أن يزيل بضربة واحدة كل ما خلقه بنفسه، وحيث انه، على عكس يونان، يقظ للتمييزات و التغيرات، التي تحل بالعالم، فقد غفر لأبناء المدينة بمجرد أن تابوا.

هل استيقظ يونان؟ هل فهم أقوال الرب؟ إن العهد القديم لا يذكر شيئا بهذا الخصوص، والقصة تنتهي بأقوال الرب . ومن المحتمل أن يكون يونان قد تيقظ، ولكن من المحتمل أن يكون قد هز كتفيه في لا مبالاة مرة أخرى و عاد للنوم . وعلى أية حال، فإنه يبدو أن هدف كاتب العهد القديم، كان هو عرض شخصيتين متناقضين في طابعهما أمام القارئ، وأن يدفعه بذلك إلى التفكير و التأمل . فمن ناحية توجد صورة الرب اليقظة والمدركة لما يحدث، سواء من شعب إسرائيل أو بين الشعوب الأخرى . إنه ليس مجرد إله قومي، بل هو إله عالمي، يعرف كيف يبسط غضبه ويفرض حمايته على الأشوريين، أعداء إسرائيل حينما تابوا إليه . ومن ناحية أخرى، توجد شخصية يونان، شخصية الإنسان المغترب، الذي تبدو علاقته بالعالم علاقة غير يقظة، وغير مدركة وعلاقة عاطفية .. إنه ليس موضوعا يقظا يعرف كيف يربط نفسه بعمل حقيقي . إنه يشبه الغاية الصامتة . وقد عامل نفسه على هذا النحو في اللحظة التي أراد فيها من البحارة أن يرموه في البحر . وتشهد على ذلك حقيقة أن كل قصة يونان لم تكتب بضمير المتكلم بل بضمير الغائب .. إن سفر يونان هو السفر الوحيد من بين أسفر الأنبياء الذي لا يحكي فيه النبي أعماله بنفسه . إن كاتب العهد القديم هو الذي يتحدث عن يونان . ومن الممكن أن نعتبر ذلك رمزا لحقيقة أن يونان لم يكن له إدراك ذاتي بالمرة .

و من الجدير بالذكر أن "العهد القديم"، يتضمن الكثير من الإشارات التي تؤكد على شيوع مثل هذه الحالة، التي انتابت "يونس عند تلقيه الأمر الإلهي بالدعوة، و التي تتمثل في محاولة الهروب، من تنفيذ هذا الأمر الإلهي، ثم المثول في النهاية لهذا الأمر والاستجابة له بعد مرحلة التردد و الخوف والهروب.

http://kotob.has.it

وأبرز مثال سجله "العهد القديم" هو قصة اللقاء الأول بين "موسى" و الرب "يهوه" . ففي بداية الإصحاح الثالث من سفر الخروج نجد أن موسى "كان يرعى غنم يثرو حميه كاهن مدين فساق الغنم إلى ما وراء البرية حتى أفضى إلى جبل الله حوريب . فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة فإذا العليقة تتوقد بالنار و هي لا تحترق" (خروج ٣ : ١ ـ ٢) . وحينما استبد بموسى حب الاستطلاع ليرى كنه هذا المشهد، "ناداه الله من وسط العليقة و قال: موسى . . موسى . قال :هاأنذا . قال لا تدن إلى هاهنا اخلع نعليك من رجليك، فإن الموقع الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة . وقال أنا إله أبيك، إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب" (خروج ٣ : ٤ ـ ٦) . إذن فللوهلة الأولى تنتاب موسى مشاعر الرهبة و الخوف لدى تجلي الرب له، و هو الذي عبر عنه بمحاولة ستر وجهه، وكأن هذا الستر يمكن أن يلغي الحقيقة الموجودة التي فاجأته . ويمكن أن يجعل إدراكه اليقظ ينام عن طريق الخوف . و لم يقف الأمر عن هذا الحد من جانب موسى، في مواجهة إرهاصات تكليفه بالدعوة و تحميله رسالة الرب لتبليغها إلى إسرائيل . إن التردد يظل سمة ملازمة لمشاعر موسى و لسلوكه أيضا، عندما يتجلى له الرب، و يوضح له حقيقة الدور المنوط به :"هلم فأرسلك على فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر" (خروج ٣ : ١٠) . و يتجلى التردد في التعبير عن عدم الثقة في النفس، في محاولة هروبية، بأنه غير جدير بهذا الدور العظيم الذي كلفه الرب به :"فقال موسى للّه: من أنا حتى أمضي إلى فرعون وأخرج بني إسرائيل من مصر" (خروج ٣ : ١١) . ولكن مخاوف موسى لا تتوقف و يزداد بداخله الإحساس بالرهبة ومحاولة التهرب من أداء المهمة فيحاول أن يتعلل له بشتى العلل "فإن قالوا لي: ما اسمه؟، ماذا أقول لهم ؟ "(خروج ٣ : ١٤) . ولكن الرب يسد أمامه كل المحاولات فينبئه باسمه، "أنا هو الكائن" و يعده بتخليص بني إسرائيل من عبودية فرعون مصر "أخرجكم من مذلة المصريين إلى أرض الكنعانيين ..." (راجع خروج ٣ : ١٨). ولكن مرة أخرى رغم كل هذه الضمانات التأييدية من جانب الرب لتشجيع موسى على المضي في تبليغ رسالة الرب إلى بني إسرائيل، فإن عناصر عدم الثقة و الرهبة و الخوف تظل هي المسيطرة . فيظل يبحث عن الأعذار التي تجعله غير أهل لهذه المهمة الإلهية: "فقال موسى للرب رحماك يا رب إني لست أحسن الكلام مذ أمس فلا قبل ولا مذ خاطبت عبدك إني بطيء النطق وثقيل اللسان" (خروج ٤ : ١١). إنه يتعلل بأنه ثقيل

http://kotob.has.it

اللسان ولا يحسن الكلام، و هي صفات لابد و أن يتصف بها من يقوم بإبلاغ رسالة على هذا القدر من الأهمية إلى كل من فرعون مصر، وإلى بني إسرائيل، الذين قد لا يصدقونه ويصدونه .ولكن الرب الذي اختار نبيه لا ييأس من المحاولة ويظل يسد الطرق أمام موسى الذي لا يفتأ يبحث عن الأعذار لكي يجعل الرب يتراجع عن اختياره له: "والآن فامضي فإني أكون مع فيك وأعلمك ما تتكلم به " (خروج ٤ : ١٣)، ولكن موسى يعلن عما في نيته و يعرب عن دخيلة نفسه وإحساسه بعدم الاستعداد للقيام بهذا الدور: "رحماك يا رب إبعث من أنت باعثه" (خروج ٤ : ١٤) . و من هنا و عند هذه اللحظة يتقد غضب الرب على موسى وقال "ألست أعلم أن أخاك هارون اللاوي هو فصيح اللسان، و هو أيضا خارج للقائك وعندما يراك يسر في قلبه. فخاطبه و ألقي كلامي هذا في فيه فإني أكون مع فيك وفيه وأعلمكما ما تصنعانه . و هو يخاطب الشعب عنك، ويكون لك فما وأنت تكون له بمثابة الله " (خروج ٤ : ١٥ ــ ١٧) .

و بالرغم من استجابة موسى لرسالة الرب، إلا أنه لم يكن على اقتناع كامل بتوصيل هذه الرسالة و تحمل أعبائها، و يبدو أنه بالإضافة إلى ما ساقه من تعليلات و حجج بعدم قدرته الشخصية على القيام بهذه المهمة، كان مدركا لطبيعة بني إسرائيل الذين سيتعامل معهم وبأنهم شعب صلب الرقبة، دائم التمرد، و مكن هنا فإنه كان كلما واجه مشكلة يحاول التراجع عن دعوته ورسالته المكلف بها :"فرجع موسى إلى الرب وقال يا رب، لماذا ابتليت هؤلاء الشعب لماذا بعثتني " (خروج ٥ : ٢٢) . وذلك لأن بني إسرائيل أساءوا إليه و تأخر الرب في إنقاذهم: "فإني منذ دخلت على فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هؤلاء الشعب و أنت لم تنقذ شعبك" (خروج ٥ : ٢٣) .

و مرة أخرى يعيد على مسامع الرب ما هو مصاب به من ثقل في اللسان ليجعله يتركه وشأنه : ".. إن بني إسرائيل لم يسمعوا لي فكيف يسمع لي فرعون وأنا أغلف الشفتين " (خروج ٦ : ١٣ ــ ٣٠) .

و تتكرر تجربة موسى ببعض ملامحها الأساسية في التردد أمام قبول الاختيار الإلهي بتبليغ الرسالة، و الخوف من مواجهة القوم الذين ستبلغهم رسالة الرب، في تجربة عدد من أشهر أنبياء بني إسرائيل، هو إرميا: " لا أعرف أن أتكلم لأني صبي" (إرميا ١ : ٦) و لكن الرب يطمئنه بأنه سيضع الوحي في فمه ويجعله ينطق به :" فقال لي الرب لا تقل لي صبي فإنه لكل ما أرسلك به تنطق وكل ما آمرك به تقوله" (إرميا ١ : ٧)

http://kotob.has.it

وكذلك تكررت التجربة مع حزقيال وعاموس اللذين يفاجآن أيضا بالاختيار الإلهي المفاجئ، ولكنهما يستسلمان لقوة الرب الذي لا يقهر ويفصحان عما اعتقدا أنه كلام الرب .

١٦ - أسماء مستوطنات وفقا لفقرات في العهد القديم

زئيف فلناي

صاحب كتاب العهد القديم الرواد الأوائل من الصهيونيين، عند هجرتهم إلى فلسطين لاستيطان فيها، و تحقيقا لحلم أنبياء إسرائيل، أرادوا إقامة مستوطنات جديدة مستخدمين أسمائها من أقوال الأنبياء، لهذا أطلقوا على كثير من هذه المستوطنات أسماء مأخوذة من فقرات مختلفة من "المقرا" (العهد القديم)وبصفة خاصة آيات البركة والمزامير و أقوال النبوءة.

١ـ في القدس

١) إمونيم: " الأمانة"، مستوطنة قريبة من "كفر أفيف"، نسبة لما ورد في "مزامير" (٣١/ ٢٣): "أحبوا الرب يا جميع أتقيائه، الرب حافظ الأمانة، افتحوا الأبواب فيدخل الغريب الصادق حافظ الأمانة".

٢) إيفِن يسْرائيل: "صخر إسرائيل"، و تقع في قلب "أورشليم"، أسسها ثلاثة وخمسون فردا اختاروا هذا الاسم، تبركا ببركة يعقوب، التي وردت في "التكوين" (٢٤/٤٩) : "من يدي عزيز يعقوب من هناك مِنْ الراعي صخر إسرائيل". وتقول الأسطورة (مقدمة أيخا رباتي)، أن الرب قال: "من أجلك أنت يا راحيل ها أنذا أعيد شعب إسرائيل إلى مكانهم". وقد أقاموا تمثالا نصفيا لراحيل وسط مستوطنة "رامات راحيل" وهي تحتضن أولادها وتضيء لهم الطريق بمشعل في يدها، و مكتوب عل هذا التمثال عبارة من سفر "إرميا" تقول: "ويرجع الأبناء إلى تخمهم".

http://kotob.has.it

٣) بْصارون: "الحصن"، "موشاف" يقع في الشمال الغربي، أسسه صهاينة روسيا الذين كان أملهم التخلص من قيود الشتات، حيث كانوا في روسيا أسرى بسبب صهيونيتهم و تمنوا الهجرة إلى فلسطين للتحصّن فيها وأخذوا التسمية من قول النبي زكريا (٩/ ١٢): " ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء".

٤) تاروم: " ترتفع"، تاعوز: "تقوى"، مستوطنتان في نفس المنطقة الجبلية سميتا هكذا، وفقا لما ورد في "مزامير" (٨٩/ ١٣): "ذراع المقدرة، قوية يدك، مرتفعة يمينك".

٥) تَلْفيوت: "بناء حصين"، و تقع جنوب "القدس" حسبما ورد في وصف المحبوبة في "نشيد الأنشاد" (٤/٤): "عنقك كبرج داود". وقال الحكماء أن "تليفيوت" هي تل تتجه إليه كل الأفواه، أي يقصدونه عند الصلاة.

٦) تْموريم: "النخيل"، و تقع على الطريق المؤدي إلى "النقب" جنوباً، و "التموريم" هي منظر النخيل الزخرفي الموجود) (على حائط بيت المقدس، المنسوب للملك "سليمان" و قد اكتشفوا صوراً أخرى في إسرائيل للنخيل أثناء الاكتشافات الحفرية التي قاموا بها. سميت هكذا حسبما ورد في "أخبار الأيام الثاني " (٥/٣): "و البيت العظيم غشاه بخشب سرو...و جعل عليه نخيلاً". و قد ذكره النبي "حزقيال" عند وصفه لبيت المقدس، "حزقيال" (٤١/ ١٨): "و عمل فيه كروبيم و نخيل، نخلة بين كروب وكروب".

٧) جْيؤلا: "الخلاص"، سميت حسبما ورد في التوراة لبني إسرائيل، "اللاويين" (٢٤ /٢٥): "وتجعلون خلاصا للأرض".

٨) جيفِن: "كرمة. حقل"، وآخر مستوطنة في منطقة "لاخيش" و ترمز لما ورد في "مزامير" (١٤/٨٠): "يا إله الجنود ارجعن، و اطلع من السماء وأنظر وتعهد هذه الكرمة".

٩) رامات راحيل: "هضبة راحيل:"، مستوطنة قريبة من "تَلْيفيوت"، مبنية على هضبة، تشرف على قبر "راحيل" زوج سيدنا "يعقوب" من ناحية "بيت لحم"، و قد سميت هكذا تبركا باسمها، وتذكرة بكلام النبي "إرميا" (٣١/ ١٥ – ١٧): "صوت يسمع في الرامة... راحيل تبكي على أولادها... امنعي صوتك من البكاء... فيرجع الأبناء إلى تخمهم".

http://kotob.has.it

١٠) روحاما: "الرحمة"، و تقع بالقرب من مستوطنة "جيئولا"، وفقا لما ورد في سفر "هوشع" (١/ ٢): "قولوا لإخوتكم عمى ولأخواتكم روحامة". و نفس الاسم تحمله مستوطنة في النقب.

١١) روماما: "المرتفع"، سميت هكذا لأنها تقع في مكان مرتفع على حدود القدس الجديدة، و يشير الاسم لأقوال "المزامير" (١١٨ / ١٦) : "يمين الرب مرتفعة، يد الرب صانعة ببأس".

١٢) سْجولاه: "ميزة. خاصة"، مستوطنة جديدة تحمل هذا اللقب، الذي يطلق أيضا على شعب إسرائيل، حسبما ورد في "الخروج" (١٩/ ٥): "والآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب. فإن لي كل الأرض".

١٣) شعاري صيدق: "أبواب البر"، و تقع غرب القدس، تأسست عام ١٨٨٩ عند مدخل القدس الغربي، و تطلق عليها أيضا "مدينة البر" أو "القرية الآمنة"، حسبما ورد في المزامير (١١٨\١٩): "افتحوا أبواب البر، أدخل فيها و احمد الرب"، و "إشعيا" (٢٦\١): "بعد ذلك تدعين مدينة البر القرية الآمنة".

١٤) شِيفَت آحيم: "جلوس الإخوة"، حسبما ورد في "مزامير" (١٣٣/ ١): "هو ذا ما أحسن و ما أجمل أن يسكن الإخوة معا".

١٥) شيْلفا: "الهدوء"، و هي مستوطنة صغيرة، نسبة لما ورد في "المزامير" (٢٢/ ٧): "ليكن في أبراجك، و هدوء في قصورك".

١٦) عوزيه: "المؤيد"، تقع هذه المستوطنة في المنطقة التي دارت فيها معارك حرب ١٩٤٨ أمام مثلث الفالوجا، و كانت هذه المستوطنة حصنا للجيش المصري و أخذت التسمية من "مزامير" (٦٨/ ٢٨): "قد أمر إلهك بعزك. فأيد يا الله هذا الذي فعلته لنا".

١٧) عوصْم: "القوة. القدرة "، و تقع هذه المستوطنة أمام "مْصورات يوآب" (عراق سويدان)، التي اشتهرت في حرب ١٩٤٨، وفقا لما ورد في التوراة: "التثنية" (٨/ ١٧): "ولئلا تقول فى قلبك قوتي و قدرة يدي اصطنعت لي الثروة".

١٨) كْفار أَفيف: " قرية الربيع"، و تقع في نفس المنطقة ويسكنها اليهود الذين هاجروا من مصر حديثاً، حسبما ورد في "الخروج" (١٣/ ١٤): "لأنك في شهر أبيب (الربيع) خرجت من مصر".

١٩) كَنُّوت: "شتلات"، و تقع على السهل الساحلي و مستوطنة زراعية و الاسم مأخوذ من "المزامير" (٨٠/ ١٥): "و الغرس الذي غرسته يمينك".

http://kotob.has.it

٢٠) كِيوتس "نيتسانيم": "الزهور"، و يقع غرباً من السهل الساحلي و بجواره قرية للشباب تحمل نفس الاسم، و يشير الاسم لأبناء الشباب المهاجرين إلى إسرائيل، إشارة لما ورد في "نشيد الأنشاد" (٢/ ١٢): "الزهور ظهرت في الأرض".

٢١) لاه أوراه: "لها ضياء"، تقع هذه المستوطنة على أحد جبال القدس ومخصصة ليهود اليمن، و يرمز اسمها إلى فرحة المهاجرين إلى صهيون، حيث وجدوا فيه نوراً بعد ما ألم بهم من ظلمات الشتات، وقد سميت هكذا تبركاً بما ورد في سفر "إستير" (٨/ ١٦): "و كان لليهود نور و فرح".

٢٢) مِئه شْعاريم: أي "مئة ضعف"، وتقع خارج سور المدينة القديمة، و يقال أنها سميت هكذا لأن الشركة التي أقامت هذه المستوطنة تأسست في أسبوع تفسير "المواليد" الذي يحكي عن "إسحاق" في أرض "النقب". أما الأسطورة الشعبية فتقول، أن هذا الاسم يرجع لعدد "الشعاريم" (البوابات)، التي كانت مكانها؛ ولم يعد مكانها إلا سبعة بوابات، و يقال أن الاسم يرجع لمئة صِديق تصادقوا معا لإبقاء مئة مسكن لهم. من الفقرة الواردة فى سفر التكوين (٢٦/ ١٢): " فأصاب في تلك السنة مئة ضعف و باركه الرب، و من كل نواة زرعها إسحق أنبتت مئة نواة، "مئة شعاريم". وهذا رمز للإثمار و الكثرة.

٢٣) مْسيلات صِيَّيون: "طريق صهيون"، و تقع غرب مستوطنة "معوز تسيون" بجوار طريق "بورما"، الذي ذاع صيته في حرب ١٩٤٨، حيث كان اليهود يتدرّبون فيه على القتال واستطاعوا أن يقدموا مساعدة للقدس المحاصرة وينقذونها، وفقاً لما هو وراد في "إشعيا" (٦٢/ ١ — ١٠): " من أجل صهيون لا أسكت هيئوا طريق الشعب أعدوا السبيل... ارفعوا الراية للشعب".

٢٤) مِشْكَنوت شأنانيم: أي "مساكن مطمئنة"، بني هذا الحي خارج سور "أورشليم" القديمة على يمين حي "يامين موشيه" أمام جبل صهيون و سور "أورشليم" و بوابة يافا. حسبما ورد في سفر "إشعيا" (٣٢ / ١٨): "ويسكن شعبي في مسكن السلام و في مساكن مطمئنة وفي مَحَلات أمينة".

٢٥) مَشْميع شالوم: "المخبر بالسلام"، و تقع جنوب مستوطنة "نتيفا"، حسبما ورد في كلام "إشعيا" (٥٢/ ٧): " ما أجمل قدمي المبشر على الجبال، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك"، و هي أوصاف مسيح إسرائيل المنتظر.

http://kotob.has.it

٢٦) مْعوزِ صيِّون: "حصن صهيون"، و تقع هذه المستوطنة بالقرب من مستوطنة "لاه أوراه"، على الطريق المؤدي إلى القدس، وهى مبنية على حافة جبل

٢٧) الحصن (جبل القسطل) نحتاً، و يشير الاسم لقول النبي "إشعيا"(١١/ ١): "استيقظي استيقظي وارتدي قوتك يا صهيون، ارتدي لباس مجدك يا أورشليم".

٢٨) مْقور باروخ: "ينبوع مبارك"، أقيمت هذه المستوطنة تكريما لمؤسسة "باروخ هيرشنوف"، و هو الذي إختار هذا الاسم حسبما ورد في "الأمثال" (٥/ ١٨): "ليكن ينبوعك مباركا".

٢٩) مْقور – حييم: ويقع جنوب القدس، تكريما لاسم كاهن صهيوني روسي يدعى "حييم" ساهم في (الصندوق القومي) "كيرن كايميت"، وفقا لما ورد في سفر "الأمثال" (١٠ / ١١): "فم الصديق ينبوع الحياة..."، و في "مزامير" (٣٦/ ٩): "لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نورا".

٣٠) مْنوحا: "الراحة:"، بالقرب من نحلاه حسبما ورد في التوراة، "التثنية" (١٢/ ٦٠): "إلى الراحة وإلى الميراث الذي يعطيه الرب إلهك و تبقون في الأرض التي أورثكم إياها الرب إلهكم و أراحكم من كل أعدائكم من حولكم تبقون آمنين".

٣١) موشاف "قومِميوت": "القيام"، وفقاً لما ورد في التوراة: "اللاويين" (٢٦/ ١٣): "أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر، من كونكم لهم عبيدا و قطع قيود نيركم و سيركم قياما". وعند الأكل يتبركون بقولهم: "الرحمن هو الذي سينقلنا بسرعة قياماً إلى بلدنا".

٣٢) موشاف شْتوليم: "الغراس"، نسبة لما ورد في "مزامير" (٨٢/ ١٤): "الغراس في بيت الرب في أحواش النهار تزهر".

٣٣) نْتيفا: "السبيل"، تقع هذه المستوطنة بجوار الطريق النازل من القدس إلى الجنوب. وفقاً لما ورد في "مزامير" (١١٩/١٠٥) "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي".

٣٤) نَحلاه: "الميراث"، جنوب مستوطنة "تْموريم"، حسبما ورد في "المزامير" (٧٢/ ١٧): "و جعل بلادهم إرثاً. إرثاً لإسرائيل شعبه". والاسم "نحلاه" يطلق أيضا على القدس.

٣٥) نْحوشاه: "النحاس"، و تقع في أطراف منطقة "لخيش" على الحدود، وينتمي كل سكانها للـ "نحال" (اختصار عبارة: " الشباب الطلائعي المحارب"، وهو تنظيم

http://kotob.has.it

مهمته الأساسية بناء المستوطنات لاستيعاب المهاجرين الجدد و يرتبط هذا التنظيم بوزارة الدفاع حيث تقوم بإعداد الشباب عسكريا). وقد أخذت هذه التسمية من "مزامير" (٣٤/ ١٨): "الذي يعلم يدي القتال، فتحنى بذراعي قوس من نحاس". و قد أطلق اليهود اسم "نحوشا" على هذه المستوطنة بعد أن كانت معروفة بالاسم العربي "دير النحاس" الذي يطلق الآن على القرية الموجودة في هذه المنطقة.

٣٦) نفيه شأنَان: "المسكن الآمن"، و تقع هذه المستوطنة في أطراف القدس، ويطلق الاسم أيضا على "القدس" نفسها و تحمله مستوطنات أخرى في "تل أبيب" و"حيفا"، وفقا لما ورد في نبوءة "إشعيا" (٣٣ /٢٠): "أنظر صهيون مدينة أعيادنا. عيناك تريان أورشليم مسكنا آمنا خيمة لا تنتقل"

٣٧) نْفيه ِمْفطاح: " المسكن الآمن"، وهي "موشاف" قريب من " كنوت" حسبما ورد في "المزامير" (٨٢/ ١٤): "صوموا للرب خلاصى، الآمن لكل أقاصى الأرض".

٣٨) نيس هاريم: "راية الجبال"، و تقع على أعلى جبال يهودا، و في نفس المكان كان للمصريين قاعدة هجومية تغير منها القوات المصرية على المواقع اليهودية في منطقة سميت "نيس هاريم"، وفقا لما ورد في "إشعيا" (١٨/ ٣): "عندما ترتفع الراية على الجبال تنظرون و عندما يضرب بالبوق تسمعون".

٣٩) نيطَع: " الغرس"، جنوب مستوطنة "يشعي" نسبة لأقوال النبي "حزقيال" (٣٤/ ٢٩): "وأقيم لهم غرسا للذكرى فلا يطاردهم الجوع بعد في الأرض و ولا يحملون بعد تعيير الأغيار. [الأغيار، هم الجوييم: غير اليهود]"

٤٠) يانون: "يشرق"، و تقع بالقرب من "مَشْمِيَع شالوم"، حسبما ورد في المزامير: "ليكن اسمه أمام الشمس أمام الشمس، يشرق اسمه و تتبارك بيه كل الأمم". وورد في بابلي/سنهدرين/٩٨ قول الآباء أن "يانون" هو أحد أسماء المسيح، و قد أطلق على المسيح في الشعر العبري في العصر الوسيط، ويقول شاعرهم: " إسرائيل أنت و تنتظر مجيء المسيح و مرافقة إلياهو ألا تجلسين، شدد ساعدي لأنصر قومي و أنظر تابوتي، سيظهر فيه اسم عربي، سيرسل يانون وستهدئين ".

٤١) يْجيع – كَبَّايم: "يعب اليدين"، بالقرب من مستوطنة "ماكور باروخ"، وفقا لما وارد في "مزامير" (١٢٨\٢): "لأنك لا تكل من تعب يدك طوبى لك و خير لك". و الذين أسسوا هذه المستوطنة معظمهم من أصحاب الحرف الذين يأكلون من كدهم.

http://kotob.has.it

٤٢) يشْعي: " خلاصي"، أقيمت هذه المستوطنة، كذكرى لخلاص اليهود من الموقع المصري عام ١٩٤٨ و رمزا لصلاة الملك داوود في "مزامير (٢٧/ ١): "الرب نوري وخلاصي ممن أخاف".

٤٣) يْفيه نوف: "جمال الارتفاع"، و تقع بالقرب من مستوطنة "يفيه شأنان"، سميت هكذا وفقا لما ورد في "مزامير" (٤٨/ ٣): "جميل الارتفاع فرح كل الأرض جبل صهيون". و قد بنيت هذه المستوطنة على قمة الجبل و تطل على منظر طبيعي خلاب.

٤٤) يْمين موشيه: أي "يمين موسى"، بناه المليونير اليهودى "موشيه مونتفيوري"، أبو "أورشليم" الحديثة، تبركا بما جاء في نبوءة "إشعيا"(٦٣/ ١١ – ١٢): "ثم ذكر الايام القديمة موسى و شعبه. الذي سير ليمين موسى زراع مجده. ليصنع لنفسه إسما أبديا".

٢ـ في النقب

٤٥) بطْحاه: "الطمأنينة"، و تقع هذه المستوطنة في النفس المنطقة السهلية حسبما ورد في "إشعيا" (٣٠/ ١٥): "بالهدوء و الطمأنينة تكون قوتكم".

٤٦) تِفْراح: "تزهر".

٤٧) تْلاميم: "أخاديد"، موشاف زراعي جنوب مستوطنة "مِشْعَن"، حسبما ورد في "المزامير"(٦٥/ ١٠): "أَرو أتلامها مَهِد أخاديدها بالغيوث تُحللها. تبارك غُلتها".

٤٨) جيلات: "ابتهاج".

٤٩) خمس مستوطنات تقع في سهل واسع متقاربة في أرجاء النقب، وقد أخذت هذه التسميات من الأقوال التي وردت في نبوءة النبي "إشعيا" (٣٠/ ١ – ١٠)، عند وصفه للأرض التي أزهرت: "تفرح البرية و الأرض اليابسة و يبتهج القفر و يزهر كالنرجس ويرنم ... و تكون هناك سكه ... بل يسلك المفديون فيها، ومفديو الرب يعودون ويأتون إلى صهيون ... وفرح أبدي على رؤوسهم".

٥٠) رْفيفيم: "غيوث"، بالقرب من "مِشْأَفيم"، سميت هكذا نسبة لما ورد في نبوءة "ميخا" (٥/ ٦): "وتكون بقية يعقوب... كالوابل على العشب". و ما ورد في "مزامير" (٦٥ /١٠ – ١٢): "أرو أتلامها بالغيوث تحللها، تبارك غلتها... تقطر مراعي البرية... و تتنَطَّق الآكام بالبهجة".

http://kotob.has.it

٥١) رنين: "يرنم".

٥٢) روحاما: "الرحمة"، و تحمل نفس الاسم مستوطنة أخرى في القدس وفقا لم ورد في أقوال النبي "هوشع": "لن أرحم روحاما".

٥٣) زْروعا: "أرض مزروعة"، و هو "موشاف" جديد يقع في النقب الشمالي و يرمز إلى عمل اليهود فى هذه الأرض، التي كانت صحراء حتى استوطنها اليهود، حسبما ورد في أقوال "إرميا" (٢\١٢): "قد ذكرت غيره ... ذهابك ورائي في البرية في أرض غير مزروعة".

٥٤) شوفا: "العودة.الرجوع"، تقع هذه المستوطنة على الحدود الغربية لصحراء النقب حسبما ورد في التوراة و في المزامير. "العدد" (١٠/ ٣٦): "ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل". وفى"المزامير" (١٢٦/ ٤): "أرجعنا يا رب، لقد سبينا كالسواقي في الجنوب".

٥٥) صور ماعون: صخرة ملجأ، و تقع هذه المستوطنة في الشمال الغربي، وفقا لما ورد في أقوال الصلاة في "المزامير" (٧١/ ٣): "كن لي صخرة ملجأ... أنقذني . لأنك صخرتي و حصني"، و في (٣١/ ٢): " كن لي صخرة حصن لبيت ملجأ لتخليصي... لأن صخرتي و معقلي أنت".

٥٦) فْدوييم: "المفدون".

٥٧) مَسْلول: "طريق. درب".

٥٨) مِشْأَفيم: "السقاة"، وتقع في القطاع الأوسط من النقب جاءت هذه التسمية، نسبة لما ورد في قصيدة "ديبورا" في سفر "القضاة"(٥/ ١١): "من صوت المُحاصِّين (السقاة) بين الأحواض هناك يثنون على حق الرب ".

٥٩) مِشْعَن: "المسند"، و تقع في المنطقة الغربية في السهل الساحل وفقاً لما ورد في أقوال النبي "إشعيا" (٣/ ١): "كل سند خبز و كل سند ماء".

٦٠) مِفْطاحيم: "المساكن الآمنة"، و تقع في النقب الغربي، إشارة لأقوال "إشعيا" (٣٢/ ١٨): "و يسكن شعبي في مسكن السلام و في مساكن آمنة ".

http://kotob.has.it

٣ - في منطقة تل أبيب

٦١) بن شيمن: " الخصيب"، هذه مستوطنة قريبة من "اللد" و الهدف من إقامتها غرس أشجار الزيتون لاستخلاص الزيت منها، سميت هكذا وفقا لما ورد في "قصيدة الكَرْم" في سفر "إشعيا" (٥/ ١): "كان لحبيبي كرم على أكمة (مرتع) خصبة".

٦٢) بْني صِيُّون: "أبناء صهيون"، أُقيمت هذه المستوطنة على إحدى هضاب سهل "الشارون"، و قد ساهم في تأسيسها أعضاء منظمة أمريكية تحمل نفس الاسم، و يشير هذه إلى نبوءة النبى "يوئيل" (٢/ ٢٣): "يا بني صهيون، ابتهجوا وافرحوا بالرب".

٦٣) بورات وهى " شجرة مثمرة"، تقع شرق مستوطنة "نعاميم" على حدود ميراث يوسف في سالف الأزمان، وذكرى لبركة يعقوب لابنه يوسف، كما و رد في "التوراة"، "التكوين (٤٩\٢٢): "يوسف غصن شجرة مثمرة على عين ".

٦٤) بيتَح تِقْفاه: " باب الرجاء"، أسس هذه المستوطنة اليهود المتدينون الذين كانوا يقيمون في القدس، كانت نيتهم في البداية بناء "موشاف" في منطقة أريحا بالقرب من وادي "عاخور" المعروف منذ احتلال فلسطين في أيام "يشوع بن نون"، لذلك قالوا، نطلق على أول مستوطنة " بيتَح تِقْفاه " (بداية الأمل) رمزا لأقوال النبي "هوشع" (٢/ ١٧): "وأعطيها كرومها من هناك ووادي عاخور بابا للرجاء". و لكنهم لم ينجحوا في شراء الأرض في منطقة "أريحا"، فاشتروا قطعة أخرى في منطقة "يافا" ووضعوا فيها أساس مستوطنة " بيتَح تِقْفاه".

٦٥) بيلو: اختصار لعبارة: "يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب"، ويقال أن مجموعة صغيرة هاجرت من روسيا مع بداية الاستيطان اليهودي كتبت على رايتها عبارة "بيت يعقوب لْخو ونِلْخا" أو اختصارا "بيلو" أي "يا بيت يعقوب اذهبوا وسنذهب في إثركم"، وبمناسبة مرور خمسين سنة على هجرتهم أقاموا سوراً خارجياً و بنوا "موشافاً" جديداً باسم "كْفار بيلو" أي "قرية بيلو". وبمرور العام السبعين على أول هجرة لهم، أسسوا "موشاف" باسم "تْلامي بيلو": "أخاديد بيلو"، في منطقة "بئر سبع".

٦٦) جان رافاه: "جنة ريّا"، أخذت هذه التسمية من "إرميا" (٣١/ ١١): "فيأتون ويرنمون في مرتفع صهيون و يجرون إلى جود الرب و تكون نفسهم كجنة ريّا"، و"إشعيا" (٥٨/ ١١): " تصير كجنة ريّا و كنبع ماء لا ينقطع مياهه".

٦٧) جَنُّوت: "حدائق"، و تقع بالقرب من "مِفْعالون"، حسبما ورد في "إرميا" (٢٩\٥): "ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات و كلوا ثمرها".

http://kotob.has.it

٦٨) حِفْصي باه: "رغبتي فيها"، و هي مستوطنة صغيرة وسط مدينة "حداراه"، ونفس الاسم تحمله مستوطنة أخرى في وادي "يزرعيل "، بجوار "بيت الفا"، و نفس الاسم ورد كاسم علم في "المقرا" في "ملوك ثان" (١/٢١): "... واسم أمه حفصيباه"، و"إشعيا" (٦٢/ ٤): "لا يقال بعد لك مهجورة بل تُدعين حِفْصي باه".

٦٩) حفصيليت هَشَّارون: "نرجس الشارون "، موشاف صغيرة على ساحل البحر المتوسط.

٧٠) حوتير: "قضيب"، و يسكن هذه المستوطنة مهاجرين جدد، وفقاً لما ورد في "إشعيا" (١/١١): "ويخرج قضيب من جذع يسى و ينبت غصن من أصوله".

٧١) حيريف ليئيت: "سيف فأس"، و تقه هذه المستوطنة على مشارف مدينة "حداراه"، و يرمز لحلم السلام في النبوءة الإسرائيلية القديمة، و قد أسسها الجنود الذين أطلق سراحهم في الحرب العالمية الثانية ثم هاجروا و بنوا هذه المستوطنة و أخذوا اسمها من سفري "إشعيا" (٤/٢) و "ميخا" (٣/٤): "يطبعون سيوفهم فؤوساً... لا ترفع أمة على أمة سيفا".

٧٢) ريشون لْصِيون: " لْصِيون أولا"، أخذت هذا الاسم من أقوال "إشعيا" (٤١\٢٧) "أنا أولا قلت لصهيون، هاهم وجعلت لأورشليم مبشراً".

٧٣) سْدى حيمِد : "الحقول المشتهاة"، و تقع في نفس المنطقة و الاسم مأخوذ من "إشعيا" (٣٢/ ١٢) : "(النَساء) اللاطمات على الثدي من أجل الحقول المشتهاة و من أجل الكرمة المثمرة" .

٧٤) شَفْير: "سرادق. خيمة فاخرة"، موشاف أخذ اسمه من "ارميا" (٤٣/ ١٠): "فيبسط ديباجة عليها".

٧٥) شْفوت عَم : "سبي الشعب"، و تقع على الطريق الرئيسي في وادي "شارون"، و قد أُطلق عليها هذه الاسم كذكرى للقانون الذي وافق عليه "الكنيست الإسرائيلي"، والذي يقضي بحق كل يهودي في الاستيطان في أرض فلسطين المحتلة. والاسم مأخُوذ من سفر "إرميا" (٣/٣٠) : "سأرد شعبي إسرائيل "، و"إرميا" (٧/٣٣) (و أرد سبي إسرائيل و أبنيهم كالأول" .

٧٦) شوشنت هَعَماكيم: "سوسنة الأودية"، وتقع في حدود وادي "حيفر"، حسبما ورد في "نشيد الإنشاد" (٢/ ١): "أنا نرجس شارون سوسنة الأودية ".

http://kotob.has.it

٧٧) شيفات صِيون: "سبي صهيون "، هذه المستوطنة خاصة بيهود اليمن، سميت هكذا نسبة لما ورد في "المزامير" (١٢٦\١): "عندما رد الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين".

٧٨) عَدانيم: "النعيم"، و تقع هذه المستوطنة بالقرب من نهر "اليرقون"، وفقا لما ورد في " المزامير" (٣٦/ ٨) "يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمتك تسقيهم".

٧٩) كِيوبتس "شفييم": "الهضاب"، تقع في هضاب سهل "الشارون" المطلة على مناطق البحر المتوسط شمال "تل أبيب"، وهذا الاسم حديث، مأخوذ من وصف خلاص إسرائيل في نبوءة "إشعيا" (٤٩/ ٨ – ١٠): " لإقامة الأرض لتمليك أملاكك البراري... و في كل الهضاب مرعاهم"، و "إرميا" (٤/ ١١): "ولأورشليم ريح لافحة من الهضاب في البرية نحو نبت شعبي".

٨٠) مِفْعالون: "أعمال"، و بها مجلس المنطقة ويقع جنوب "بيتَح تِقْفاه" حسبما ورد في "المزامير" (٤٦/ ٨): "هلموا أنظروا أعمال الله".

٨١) مِقفِه يسْرائيل: "رجاء إسرائيل"، مستوطنة زراعية في منطقة تل أبيب سميت هكذا على أساس ما ورد في كلام "إرميا" (١٤/ ٨): "يا رجاء إسرائيل مخلصة في زمان الضيق لماذا تكون كغريب في الأرض و كمسافر يميل ليبيت"، (١٧/ ١٣): "أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركونك يخزون لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية".

٨٢) موشاف " تنوفوت": "الثمار"، بالقرب من "جْيئوليم"، المُسماة حسبما ورد على لسان سيدنا موسى في "التوراة"، "التثنية" (٣٢/ ١٣): "أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء".

٨٣) موشاف "أوديم": "شعلات"، و تقع شمال كيبوتس "شيفييم"، حسبما ورد في "عاموس" (٤/ ١١): "كشعلة منتشلة من الحريق"، و"زكريا" (٣/ ٢): "أفليس هذه شعلة منتشلة من النار".

٨٤) موشاف "جْيئوليم": "المفديون"، في نفس منطقة "هدر هشارون"، في الشارون الأوسط سُميت وفقاً لما ورد فى إشعيا (٥١/ ١٠ — ١١): "أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين و مفديو الرب يرجعون و يأتون إلى صهيون بالترنم".

٨٥) موشاف "يَرْحيف" : "يوسع"، و تقع في أطراف سهل "الشارون" على حدود إسرائيل و تشرف على جبال "إفرايم" العشر، أخذوا تسميتها من التوراة، "التثنية" (١٢/ ٢٠) : "لأن الرب يوسع تخومك كما كلمك" .

http://kotob.has.it

٨٦) نَعَاميم: "جميلة"، و تقع في منطقة زراعية بالقرب من مستوطنة " بْـني صِـيُّون" وسميت وفقا لما ورد في "إشعيا" (١٧/ ١٠): "لذلك تغرسين أغراسا جميلة".

٨٧) نْفيه شالوم: "مسكن السلام"، بنيت هذه المستوطنة قبل تأسيس "تـل أبيـب"، بجـوار "يافـا" و الاسـم مـأخوذ مـن "إشـعيا" (٣٢/ ١٨): "و يـسكن شـعبي في مـسكن السلام".

٨٨) نْفيه صيدق: "مسكن العدل. "مسكن البر"، بنيت أيضاً قبل تأسيس "تل أبيب" بجوار "يافا"، و الاسم مأخوذ من "إرميا" (٢٣، ٢٤ \ ٣١): "يباركـك الـرب يـا مـسكن البر يا أيها الجبل المقدس، سيسكن فيه يهوذا و كل مدنه معا".

٨٩) نيس صِيونا: "كالراية إلى صهيون"، حسبما ورد في أقوال النبي "إرميا" (٦\٤): "ارفعوا الراية نحو صـهيون احتمـوا لا تقفـوا". وقـد سميـت في البدايـة باسـم "نحـلات رؤبين": (منطقة رؤبين) على اسم مؤسسها "رؤبين لبرد"، حتى ظهـر في هـذه المـستوطنة الصغيرة المتواضعة "ميخائيل هلفرين" الذي ذاع صيته بين جمهور العمال أثنـاء "الهجـرة الثانية" وكان راكبا على حصانه سريع العدو، وبانفعال صعد على الهضبة القريبـة، ومـا أن بلغ أعالي الهضبة و معه بعض الصغار حتى أخرج من ملابسه راية صهيونية وجعلها ترفرف على المنطقة كلها... و قد فزع منها المسنون و الكبار خوفاً من الحكام الأتراك أمـا الصغار أحسنوا معاملة هذه الراية "القومية " و يقال أنهـا أول رايـة قوميـة رفرفـت علـى الهضبة، لذلك أطلقوا عليها اسم "نيس صِيونا".

٩٠) نيصير: "غصن"، تقع هـذه المـستوطنة في منطقـة "الرملـة"، و يـستوطنها بقايـا أحداث النازية.

٩١) هَدار هَّشارون: "مجد الشارون"، و تقع وسط هضبات الـشارون و بهـا المجلـس المحلي، ومناطق "تل موناد"، ونواحيهـا، كـذكرى لنبـوءة الخـلاص في أقـوال "إشـعيا" (٣٥\٢): "بهاء الكرمل و الشارون هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا".

٩٢) هَدار هَكَرْمل: "بهاء الكرمل"، أكبر مستوطنات حيفا المبنية علـى سـطح "جبـل الكرمل"، و تطل على خليج رائع يزيدها جمالاً، و الاسم مأخوذ من "إشـعيا" (٣٥/ ٢): "بهاء الكرمل و شارون..." .

٩٣) ياصيص: "يزهر"، و تقع بالقرب من مستوطنة "يشريش". وفقا لما ورد في نبـوءة "إشعيا" (٢٧\٦): "في المستقبل يتأصل يعقوب، يزهر و يُفرع إسرائيل".

http://kotob.has.it

٩٤) يِجأل: "يبتهج. يفرح"، و تقع في نفس المنطقة، و ترمز للخلاص والانتصارات المزعومة في حرب ١٩٤٨، أُخذت هذه التسمية من " المزامير" (١٣/ ٥): "أما فعلى رحمتك توكلت، ينبهج قلبي بخلاصك"، "المزامير" (٥٣/ ٦): "عند رد الله سبي شعبه يهتف يعقوب و يفرح إسرائيل".

٩٥) يشريش: " يتأصل"، تقع بالقرب من منطقة "الرملة".

٤ - في وادي "يزرعئيل"

٩٦) برازون: "القضاء"، مدينة مكشوفة غير مسورة، سُميت هكذا حسبما ورد في قصيدة النصر على الكنعانيين التي قالتها النبية "دِبُورة"، في هذه المنطقة. "القضاة" (٥/ ٧): (خذل القضاة في إسرائيل، خذلوا حتى قمت أنا دِبُورة".

٩٧) رَفْيا: "الريَّا الخصب"، و تقع في وادي "بيت شان" الجنوبي و في هذه المنطقة ينبع ينابيع الري للأرض المحيطة، وأحد هذه الينابيع يسمى " عين الريَّا"، و ينبع من أسفل جبال "جِلْبُوَع" التي ترتفع غرباً والاسم مأخوذ من "المزامير" (٥٦/ ١٢): "دخلنا في النار و الماء ثم أخرجتنا إلى الخصب". "المزامير"(٢٣/ ٥) "مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريَّا".

٩٨) سْدى تْروموت: "حقول تقدمات"، تقع هذه المستوطنة ناحية جبال "جِلْبُّوع"، و قد استخدم المستوطنون هذا الاسم لقلب "اللعنة" التي وردت في "صموئيل ثان" إلى "بركة"، و لكي يغطوا واديهم بالغرس و حقول التقدمات، "صموئيل ثان" (١/ 21): "يا جبال جِلْبُّوع لا يكن طل ولا مطر عليكن ولا حقول ولا تقدمات". و قد وردت هذه الفقرة في مرثاة "داود" على الملك "شاؤول" وعلى ابنه "يوناثان".

٩٩) قيرِن هاييشع: "قرن الخلاص"، و تقع على حدود الوادي، و قد دارت مكانها معارك بين العرب واليهود في حرب ١٩٤٨، هزم فيها العرب، فأُقيمت كذكرى للخلاص، حسبما ورد في "المزامير": (١٨/ ٣): " إلهي صخرتي به أحتمي، ترسي وقرن خلاصي ادعوه فأتخلص من أعدائي ".

١٠٠) مِرْحَفْيا: "الرحب"، أولى المستوطنات التي بنيت في وادي "يزرعئيل" و مقامة على هضبة صغيرة تطل منها على أنحاء الوادي وأخذت تسميتها من "المزامير" (١١٨/٥): "من الضيق دعوت الرب فأجابني من الرحب".

http://kotob.has.it

١٠١) نفيه إيتان: "المرعى الدائم"، و تقع هذه المستوطنة في وادي "بيت شان"، حسبما ورد في "إرميا" (٤٩/ ١٩): "هو ذا يصعد كأسد من كبرياء الأردن إلى مرعى دائم".

٥ - في جبال الجليل

١٠٢) حيلاه": "برج"، و تقع في قلب "الجليل الأدنى"، بجوار الطريق الذي يربط بين "الناصرة" و بحيرة "طبرية"، أُطلق هذا الاسم نسبة إلى "حايل"، وهو السور الحصين الذي يحيط الحصن، و الاسم مأخوذ من "المزامير" (٦٨/ ١٤): "اهتموا بالأبراج وعلّوا قصورها لكي تحلوا هذه لجيل آخر". (المزامير ٢٢/ ٧): "ليكن سلاماً في أبراجك، راحة في قصورك" .

١٠٣) دوفا : "الراحة و العزة "،أُقيمت هذه المستوطنة في الجليل الأعلى الغربي في حدود إرث سبط "آشر"، كما ورد في بركة سيدنا موسى لآشر في التوراة، "التثنية " (٣٣/ ٢١) : "حديد و نحاس مزاليجك و كأيامك راحتك" .

١٠٤) راميم: "الأعلى"، و تقع هذه المستوطنة على "مرتفعات الجليل" الأعلى في المكان الذي كان يسمى العربية باسم "المنارة"، و هي إحدى المستوطنات العالية في دولة إسرائيل والتي تشرف على مساحات شاسعة. أخذت تسميتها من "المزامير" (٧٨/ ٦٩): "و بنى مثل مرتفعات مقدسة كالأرض التي أسسها إلى الأبد ".

١٠٥) روش بنَّاه: "رأس الزاوية"، و هي أكبر مستوطنات "الجليل الأعلى"، بُنيت في البداية على حجارة وصخور متروكة و متفرقة في "الجليل" حسبما ورد في "المزامير" (١١٨/ ٢٢): "الحجر الذي رفضه البنّاءون قد صار رأس الزاوية".

١٠٦) شيئار َيشوف: "كالبقية تأتي"، تقع هذه المستوطنة في وادي "همولاه" الشمالي، بين " دان" و"دِفْنِه" في جبال "الجليل"، حسبما ورد في نبوءة "إشعيا" (٦/ ٢٠): " وحدث في نفس اليوم لم يعد بقية إسرائيل يعتمدون على ضاربة. بقية ترجع و بقية تتبع الرب الشديد لكي يكون معك إسرائيل كتراب البحر و البقية ترجع به".

http://kotob.has.it

١٠٧) شيفر: "الحُسن"، و تقع على حدود الجليل الأعلى في تخوم سبط "نفتالي"، في سالف الأزمان، نسبة لبركة يعقوب لابنه، كما ورد في التوراة في "التكوين" (٤٩/ ٢١): "نفتالي غزالة مدللة تعطي أقوالاً حسنة ".

١٠٨) عين يعقوب، آخر مستوطنة أُقيمت في شرق الجليل الأعلى على المرتفعات، و نفس الاسم يحمله كتاب مشهور بين اليهود، يدور حول مقتطفات من الأساطير، و الاسم مأخوذ من بركة سيدنا موسى في التوراة، "التثنية" (٣٣/ ٢٨): "فيسكن إسرائيل آمنا وحده. تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة و خمر وسماؤه تقطر ندى".

١٠٩) كْفار يوفال : "قرية النهر"، و تقع في أطراف وادي "همولاه" بجوار "نهر الأردن" وفقاً لما ورد في كلام "إرميا" (١٧/ ٨) : " فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه و على نهر تمد أصولها ولا ترى إذا جاء الحر، ويكون ورقها أخضر، وفى سنة القحط، لا تخاف ولا تكف عن الإثمار" .

١١٠) ماطِه عوز: "عصا العز"، و تقع شرق "روش بناه"، أعلى هضبة تطل على حدود إسرائيل من ناحية سوريا، أخذت اسمها من "المزامير" (٢/١١): "يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط في وسط أعدائك".

١١١) مْعوناه: "الملجأ"، أُقيمت هذه المستوطنة بجوار "كفار ترشيحة"، وقد تحصن فيها اليهود خوفاً من هجوم العرب في حرب ١٩٤٨، استخدمها العرب كقاعدة لهم بجوار مدينة "ترشيحة" في الجليل الأعلى الغربي، سميت هكذا نسبة لبركة سيدنا موسى التي وردت في التوراة، "التثنية": (٢٦/٣٣): "الإله القديم ملجأ، فطرد من أمامك العدو وقال اهلك".

١١٢) موشاف "يْسود هَمَعلاه" : "بداية الصعود"،أسس هذه المستوطنة مهاجرو الهجرة الأولى وأطلقوا عليها هذا الاسم كذكرى لما دار في هجرة أبناء الشتات من أرض "بابل"، و يحرص سكانها على كتابة اسم هذه المستوطنة بالكتابة الكاملة، خلافا لما ورد به الاسم ناقصا في العهد القديم لأن هذا الاسم يحمل أحرف اسم الجلالة "يهوه"، لذلك يجب أن تبقى أحرفه كاملة. وهذا له دلالة أخرى، لأنهم يعتقدون أن مجرد وجود هذه الأحرف في اسم مستوطنتهم سيكفل لها الحياة الأبدية في "آخرة الأيام"

http://kotob.has.it

حسب معتقداتهم، و الاسم مأخوذ من أقوال "عزرا" (١١٧/ ١) : "في الشهر الأول ابتدأ يصعد " .

http://kotob.has.it

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
الجزء الأول: قضايا إشكالية فى التاريخ اليهودى القديم	
* قراءة دينية للتاريخ اليهودى	٧
* بنو إسرائيل فى مصر	١١
* "يم سوف" الوارد فى سفر الخروج، هل هو البحر الأحمر؟	٢٠
* طريق الأيام الثلاثة فى الصحراء	٢٥
* الخروج من مصر نظرات جديدة. تاهوا أربعون عاماً فى أفريقيا	٢٩
* عواصف شديدة أظلمت النهار	٣٧
* المصريون اعتبروهم من البربر	٤٤
* الدين والسياسة فى دولة المكابيين اليهودية	٤٧
* مملكة الخزر وخرافة النقاء العنصري اليهودي	٥٨
الجزء الثانى: قضايا إشكالية فى الفكر الدينى اليهودى	
* اليهود يفضلون حياة الشتات	٦٩
* إشكاليات تدوين التوراة	٨٢
* من هو كاتب سفر يشوع ؟	١٠٣
* أثينا وأرض عوص ــ تأملات فى سفر أيوب وكتاب "السياسة " لأفلاطون	١١٧
* التفسير الوجودى لقصص العهد القديم أ ــ "قصة سادوم"	١٣٠
* التفسير الوجودى لقصص العهد القديم	١٣٩

http://kotob.has.it

ب ــ قصة النبى يونان (يونس)

* أسماء مستوطنات صهيونية وفقاً لفقرات فى العهد القديم ١٤٩

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.